عبد القادر بن طه
الملقب بدحاح البوزيدي
كتاب النوار القدسية الساطعة على الحضرة البوزيدية
الصنف : 4/074
رقم : 227/2000/1421
دار
للطباعة والنشر والتوزيع – الجزائر
34 حي لبروبار – بوزريعة – الجزائر
الهاتف : 36- 19 – 94 94-41-19 الفاكس : 75-17-94
جميع الحقوق محفوظة
الإبداع القانوني : 692/2000
ر.د.م.ك. 3 – 466 – 66 – ISBN . 9961
يمنع الإقتباس والترجمة والتصوير إلا بإذن خاص من الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل على رسولك الأعظم ونبيك الأكرم سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

قال المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم (من أرخ مؤمنا فكأنما أحياه) أو كما قال عليه الصلاة والسلام. فيالها من بشرى عظيمة ومن حافز قوي يستحث الهمم، ويدفع إلى إحياء ذكريات المؤمنين، وتسجيل مآثرهم ومناقبهم، لاسيما منهم أولئك الصناديد الذين قيل فيهم:

أسرد حديث الصالحين وسمهم
فبذكر هم تنزل الرحمات
واحضر مجالسهم تنل بركاتهم
وقبورهم زرها إذا ما ماتوا

ومن هؤلاء الصالحين الأشراف، المخصوص بهذا المصنف المبارك، الموضوع بين أيدينا لإلقاء بغض الأضواء الساطعة على حضرته بوصفه غوثا ربانيا حباه المولى عز وجل

علما لدنيا، وأهله لتربية مريدين ومشايخ أجلاه ذاع صيت بعضهم عبر أصقاع البسيطة أمثال القطب الصمداني سيدي أحمد بن مصطفى العلاوي رضي الله عنه الذي طبقت شهرته الآفاق.

إنه سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي المستغانمي المعروف بسيدي حمو الشيخ أفاض الله عليه من كرمه وجوده ما يرضيه وفوق الرضى، وأعاد علينا من بركاته وفيوضاته.

فجزى الله إبنه البار المؤلف عن هذه الثمرة اليانعة أحسن الجزاء في الدارين، وهنيئا لمحبي أحباب الله سبحانه وتعالى بهذا الخير العميم، المفعم بالأسرار، والمغمور بالأنوار التي يستهدي بها المؤمن السائر على درب من عاشوا بالله ولله ونذروا حيواتهم لخدمة الدين الإسلامي الحنيف ابتغاء وجهه الكريم سبحانه وتعالى.

بلقاسم آيت حمو

بسم الله الرحمان الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

مقدمة

الحمد لله القائل :"إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون" ، والشكر له شكرا جميلا حيث جعل لصيانة هذه الرسالة "رجال صدقوا ما عهدوا الله عليه" فطهر سريرتهم ونور بصيرتهم فكانت لهم وقاية من الزيغ عن الطريق السوي المستقيم، وصلّ اللهم وبارك على خاتم النبيين والمرسلين سيدنا محمد الذي بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، المبعوث رحمة للعالمين ومنقذا للإنسانية من الشقاوة والغواية، الذي قال فيه سبحانه عز وجل :"وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين"، "هو الذي أيدك بنصره وبالمؤمنين" وعلى آله الطيبين الطاهرين الذين بيّن الله فضلهم وحقهم بقوله تعالى :"قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا" لقرابتهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، القائل على وجه الخصوص لسيدنا علي كرم الله وجهه :" لا يبلغ عني إلا من كان مني وعلى الصحابة الكرام الذين لم يبخلوا بأنفسهم عن نفسه ففدوه بالنفس والنفيس وأيدوه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون" وبعد، فعلم التصوف فن من الفنون النبيلة ومن ثمة فلا يعود على كل من انتهجه من مشايخ ومريدين إلا

بسعادة الدارين والوصول إلى موطن رضوان الله والأنس به في جميع الحالات الجمالية أو الجلالية، وهو يصحح الإيمان ويعرج بصاحبه إلى اليقين وعلم اليقين وحق اليقين إلى عين اليقين.

فبعلم التصوف يتنوّر الباطن وتسخر الجوارح بدون مشقة في طلب الحق سبحانه عزّ وجل، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول :" ألا إن في الجسم مضغة إذا صلحت صلح الجسد وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب" وإنه الطيفية المزيلة للقواطع والموانع والسدود والحجب ما بينك وبين الله، أيها القارئ، سمّه كما شئت عاذلم المعرفة بالله او علم تطهير القلوب او علم التصوف فالغرض منه ان تكون ربانيا، في حصن منيع من هواجس النفس والشيطان ما بقي من عمرك حتى يختم لك بالتوحيد وحسن الختام. إلا أن ما يتفوه به المحجوبون والمحرومون القائلون بأنّ هذا التصوف خارج عن الإسلام، ولم يكن له وجود في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته، عصر كله نور وخير وقداسة وبركة، فقول المنكرين يدل على عدم معرفتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وعصره الزاهر وأصحابه النيرين.

وجاء القرآن تنويها وترغيبا للطريقة الموصلة والمبصرة لكل من سلكها فقال الله تعالى :"قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين" وأصبح هؤلاء البيادقة تستأجر ألسنتهم وأقلامهم وأبواقهم بدون شعور منهم، وكيف يشعرون بهذا الداء الذي استفحل فيهم ولا يرجى له شفاء إلا أن يشاء الله فيتوب على من يشاء منهم فسبحانه عز وجل فعال لما يريد.

وقد تأثروا بالعصرانية الغربية الماكرة للمستشرقين في تصوير الإسلام والرجال الربانيين من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وقالوا أن التصوف غير إسلامي وإنما هو فلسفة قديمة أكل الدهر عليها وشرب فهو (أي التصوف) مستمد من التصوف الفارسي والهندي والصيني والمصري واليوناني، فيالها من خيالات أوهامية بعيدة عن عالم الحقيقة إذ الغرض ذلك أن يصدوا المسلمين عن الإسلام والتخلق بالأخلاق المحمدية الربانية. التي يرى أعداء الله أن التمسك بها لن يبقى لهم باقية على الكرة الأرضية. وهكذا يتجلى أن الغربيين بالرغم مما يملكون من جميع

القوات، قوة التحكم في التكنولوجيا والتحكم في الإقتصاد العالمي وبسط النفوذ السياسي قهرا بقوة الحديد والنار (أي القوة العسكرية)، فإنهم مع ذلك يشعرون في أعماق كيانهم أن لا بقاء لهم على الوجود ما دام يفتقدون هذه السلطة الروحية والإتصال المباشر بحضرة الله والإستمداد من قوته ونصره، إلا إذا أسلموا واتبعوا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، وهذا بالنسبة إليهم محال حيث جهروا بالعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبناء عن آباء في القديم وفي الحديث.

وما دام هناك رجال صدقوا ما عهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا فلن يهدأ لأعداء الله بال، بل هم يعيشون كابوس الزوال والإضمحلال باستمرار والبقاء للأصلح وبداية الصلاح، إصلاح الباطن، وهو إشتعال القلب بذكر الرب، وهو سبب واحد في الصحوة الإسلامية وجمع شمل الأمة المحمدية وليأخذ القوي منهم بالضعيف ويعم التكامل والتكتل فهذا عصر التكتلات، وأما المداهنة مع جميع حركة الأديان من صهيونية ومسيحية وبوذية وسيخية وهندوسية فإنها لن تعود بالنفع على المسلمين أبدا وصدق الله العظيم إذ يقول : "ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل أن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير". وأما إشتقاق كلمة التصوف فقد قيل من الصفا أو من الصّوف أو من الصفة، إن هي إلا أسماء أطلقت وكل على حسب فهمه وإجتهاده، إلا أنّ الغاية من التصوف التخلق بأخلاق النبي صلى الله عليه وسلم وإن شئت أيها القارئ قل هي الأخلاق الكريمة الزكية حتى قيل من فاتك أخلاقا فاتك تصوفا.

وأما الذين نفوا التصوف بحجتهم الوهمية أنه لم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقول لهؤلاء الجهلة أي مادة علمية مصطلح عليها كانت في عهده صلى الله عليه وسلم تدون إن قلنا مادة العربية "بلاغة ونحو وصرف" فإنّ القرآن عربي نزل على نبي عربي وأصحابه العرب فهم أعرف الناس بأسرار اللغة العربية وذلك بالتواتر خلفا عن سلف وصدق الله العظيم إذ يقول :"وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم".

وكان صلى الله عليه وسلم ما من قبيلة إلا ويقرأ لها القرآن بلهجتها حتى وصل عدد روايات قراءة القرآن إلى أربعين رواية ثم اختصرت في أربع عشرة ثم إلى عشرة ثم اتفق العلماء على سبع روايات وهي أصح الروايات.

وأما الحديث أو مادة مصطلح الحديث فلم تدون في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الصحابة رضي الله تعالى عنهم كلهم أخذوا مباشرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل دونت في عهد السيد الفاضل عمر بن عبد العزيز الذي أمر بتدوين الحديث. بعد مدرسة المحدثين جاءت مدرسة الفقهاء، وهذا الفن لم يدون في عهده صلى الله عليه وسلم ومادة الأصول كذلك لم تدون، وكذلك مادة علم الكلام "التوحيد" كذلك هذا الفن لم يدون في عهده صلى الله عليه وسلم وهذه الفروع العلمية المتصلة بمصادر التشريع الأربعة "القرآن، السنة، القياس والإجماع" لم تدون إلا بعدما إنتشر الإسلام في الآفاق وأسلم الفرس والعجم، وذلك صيانة ومحافظة على هذه المعاني القرآنية والأحاديث النبوية من سوء الفهم لما اختلاط العرب بالعجم، وظهر اللحن في اللغة العربية فاشتغل سادتي العلماء في تدوين هذه المصطلحات والإختصاصات العلمية لتبقى الرسالة المحمدية محفوظة من التحريف والتغيير. ولما أقبلت لحذافيرها على المسلمين وأصبح فيهم الملوك والأمراء وحولهم يتجمع أهل الدنيا، وإن شئت أهل الطمع، وقل فيهم الزهد والورع بقيت حسنة من هذه الأمة المحمدية يحافظون على السيرة النبوية قولا وفعلا وهم يمثلون الإسلام الرفيع فأقبلوا على الله ولم تؤثر فيهم الدنيا وزخارفها لأن همتهم أعلى وأقدس فهي معلقة بالله القدوس السلام.

وقال أبو الحسن الشاذلي رحمه الله تعالى :" التصوف تدريب النفس على العبودية وردها لأحكام الربوبية" وقال إبن عجيبة رحمه الله تعالى :" التصوف هو علم يعرف به كيفية السلوك إلى حضرة ملك الملوك وتصفية البواطن من الرذائل وتحليتها بأنواع الفضائل وأوله علم ووسطه عمل وآخره موهبة" من كتابه معراج التشوف إلى حقائق التصوف.

وقال صاحب كشف الظنون :

علم التصوف علم ليس يعرفه

إلا أخو فطنة بالحق معروف

وليس يعرفه من ليس يشهده

وكيف يشهد ضوء الشمس مكفوف

للعلامة حاجي خليفة

ففي هؤلاء تقولت جميع ملل الكفر وهي ملة واحدة وأعانهم على ذلك الذين ليس لهم شعور من المتشوقين من إخواننا علماء القشور إلى كل محدث وخاصة إذا كان للغربيين من الصهيونية والمصونية فأنكروا على رجال الصوفية حالهم الرباني المحمدي وصدق البصيري إذ يقول : وقد تنكر العين ضوء الشمس من رمد، وينكر الفم طعم الماء من سقم اللهم رب أهد هؤلاء الغافلين إلى صراطك المستقيم والتمسك بحبلك المتين واتباع سيرة سيد المرسلين بتطهير سريرتهم وتنوير بصيرتهم إنك إذا شئت قدير وما ذلك عليك بعزيز.

الإمضاء القائم بمشيخة زاوية سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي المفتقر إلى الله عبد القادر بن طه الملقب بدحاح البوزيدي

بسم الله الرحمان الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

أحمدك اللهم يا من تفضلت بفضلك العميم على عبادك الصالحين وهديتهم إلى الطريق المستقيم والسبيل القويم، فهاموا في حبّك وطلب رضوانك وضحوا بالنفس والنفيس حتى غابوا عما سواك فيك وأغشيتهم من نوال رحمتك وفاضت من السنتهم أسرارك الدالة عليك وأصلي وأسلم على سيدنا محمد شمس الهداية التي أنارت قلوب المحبين وبها صح لهم الإقتداء والإهتداء وبقدرها كان لهم نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين وعلى آله أئمة التقوى والدين ورحم الله سيدي البصيري القائل في همزيته:

يا آل رسول الله قد سدتم الناس بالتقوى والدين

وغيركم سودته البيضاء والصفراء

وعلى أصحابه نجوم الهداية وعلى سائر التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.
وبعد، يقول عبد ربه عبد القادر بن طه البوزيدي المعروف بدحاح والمفتقر في كل لحظة إلى خالقه الساعي في طلب عفوه والتأييد بحكمته في تحرير هذه الوريقة الرافعة الستار على رجل من الأخيار الراسخ في حضرتي النبي المختار والحبيب الرحمان الرحيم الغفار. وسميتها على بركة الله ورسوله "الأنوار القدسية الساطعة على الحضرة البوزيدية" وأعني بذلك شيخ الشيوخ ومربي السالكين وموصل إلى حضرة رب العالمين العارف بالله والمستغرق في المحمدية والأحدية والموصول بصلتي كمال الإيمان والنسب والحسب لحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي المعروف بسيدي حمو الشيخ، ومن الحوافز التي دفعتني إلى هذا المسعى الطلب الملح لجماعة إخواننا في الله، عمار هذه الزاوية البوزيدية ومن سائر البوازيد بني عمومي المنتشرين في الجزائر داعين إياي أن أقيد في هذه الرسالة المتواضعة تاريخ حياة سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي، فأجبت دعوتهم وإن كنت لست أهلا لذلك. ومما قوى عزمي وإقدامي على الإدلاء بدلوي في هذا البحر الزاخر باللآلئ والمرجان المكنونة في هذه الشخصية الروحية النورانية الربانية المحمدية، عدم طبع كتاب "برهان الخصوصية في مآثر الحضرة البوزيدية" للشيخ سيدي أحمد بن مصطفى العلاوي رضي الله تعالى عنه، ومن العجب العجاب أن جميع كتب الشيخ سيدي أحمد بن المصطفى العلاوي قد طبعت ما عدا هذا الكتاب الذي أوصدت في وجهه الأبواب !!
وهذا الكتاب موجه لأهل الشوق والذوق السليم وفن معرفة أحوال الصالحين رضي الله تعالى عنهم. وأما المنتقد والجاحد لهذا المشرب فلا نعنيه "قد علم كل أناس مشربهم"، فإن أنكر علي هذا فهو معذور.
وكما قيل "الناس أعداء لما جهلوا" وصدق سيدي الأمير عبد القادر ابن محي الدين إذ قال :" لكن جهلت وكم في الجهل من ضرر". هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن الغرض هو إبطال قول المبطلين الذين سبقت لهم الشقاوة والغواية وانطمس منهم البصر والبصيرة فصدوا عن مذهب الشكر لموالي النعم أرادوا أن يجحدوها وأن ينسبوها لغير أهلها فقالوا فثي حضرة سيدي شيخ الشيوخ أي سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي أنه عاجز وقاصر

عن التعبير على هاته المعاني الدالة على الله والدالة على جمال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتقولوا الأقاويل ولفقوها، بل تمادوا في زعمهم حتى ادّعوا أن المنظومات التي جاءت في ديوانه منسوبة إليه، ليست له، بل هي منسوبة له مفهومة من غيره نسبت له لقد اتفق أهل الجحود السابقون واللاحقون على هذا المعنى! كما قيل قبلهم إن كل التآليف التي ألفها سيدي أحمد المصطفى العلاوي رضي الله تعالى عنه والمنسوبة إليه، إنما ألفها علماء بعوض ونسبوها إليه، وهذا ينتفي تماما مع القاعدة الموجودة في إصطلاح الصوفية :"ما كان الله أن يتخذ وليا جاهلا وإذا اتخذه علمه" وصدق الله العظيم إذ يقول :" يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبي الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون". من سورة التوبة الآية 131.

وأتعجب كل العجب من الذين يقطعون صلتهم بهذه التصرفات (سوء الآداب إلى مشايخنا موالي نعمتنا ومددنا ومعرفتنا) كيف يزعمون أنّ الله قد فتح عليهم وينصبون أنفسهم في مقام الإرشاد؟! وذهب بهم غرور المتملقين لهم، الطامعين النيل من جاههم ومكانتهم التماسا لحطام الدنيا، فوسوسوا لهم بأنكم لا يلحقكم لاحق ولم يسبقكم سابق في درجتكم العالية وبيسلابيسانامكم الرفيع في حضرة المولى عز وجل، فأنتم محطة لأسرار الله القدسية ومنكم تسطع الأنوار المحمدية وأعلموا أن الميت لا بركة له ولا يرجى منه شيء وأن الدجاجة الميتة لا تحض ولا يتفقص بيضها، وأن البقرة الميتة لا حليب لها فلا تسقى أحدا ولا ينتفع بها أحد! وهذا الكلام الساقط السخيف يعنون به مشايخنا الذين انتقلوا إلى جوار ربهم موالي نعمنا وصدق من قال :

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته

وإن أنت أكرمت اللئيم تمرد

ولو كان فيهم خير لجعلوا نصب أعينهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "اذكروا موتاكم بخير". وهذا مطلوب منا بحيث لا نذكر أموات المسلمين عامة إلا بخير وناهيك من خاصة الخواص من أمة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كالعلماء الصالحين وموالي نعمنا مشايخنا فالواجب علينا أن نثني عليهم بالخير ولا نذكرهم إلا بالذكر الذي

يليق بمقامهم الكريم وسيرتهم المحمودة ومجاهدتهم وجهادهم في سبيل توصيل الرسالة والسيرة المحمدية للأجيال الآتية.

فكيف بهؤلاء انتهجوا منهاج الجحود وذهبوا مذهب المغامرات والمتاهات حتى اعتقدوا بهذا الإعتقاد السقيم الذي يبين أن عقلهم عديم وصدق الله العظيم إذ يقول :"إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون". ألم يسمعوا ما قال أبو العلاء المعري :

وقبيح بنا وإن طال العهد

هو أن الآباء والأجداد

وكيف يجري الماء في عروق الفرع المقطوع من أصله فآخر مطافه يذبل ويموت ويتعفن، بل لا يجري الماء في العروق إلا إذا كان الإتصال موصولا بحضرة مشايخنا بالإحترام والتبجيل والتقدير، فيصح هذا وصدق من قال :

وهل رأيت الأغصان تذبل والماء يجري في

عروقها وهل رأيت الأشبال ألا تتأسد

(للشيخ سيدي عاشور بن محمد من العقد الفريد)

نسبه الشريف :

يمتد نسبه الشريف إلى سيد الوجود صلى الله عليه وآله وسلم، وهو سيدي محمد بن سيدي الحبيب بن سيدي عبد الله بن أحمد ابن سيدي زيدان بن سيدي الصغير بن سيدي الجيلالي بن سيدي عبو بن سيدي عبد الله بن سيدي أحمد بن سيدي أمحمد بن سيدي عبد الرحمان بن سيدي علي بن سيدي عبد المالك بن سيدي براهيم بن سيدي عامر بن سيدي عثمان بن سيدي إسحاق بن سيدي علي بن سيدي بوزيد دفين آفلو بن سيدي علي بن سيدي المهدي بن سيدي سفيان بن سيدي يسار بن سيدي موسى بن سيدي عيسى بن سيدي محمد بن سيدي موسى ابن سيدي سليمان بن سيدي موسى بن سيدي محمد بن سيدي عيسى ابن سيدي ادريس الأزهر بن سيدي إدريس الأكبر بن سيدي عبد الله الكامل بن سيدي الحسن المثنى بن سيدي الحسن البسط بن سيدي علي بن أبي طالب وسيدتي فاطمة الزهراء بنت سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولقد أحسن وأصاب الشيخ سيدي عاشور بن محمد الملقب كليب الهامل في منظومته المسماة العقد الفريد في فضائل البوازيد.

وحاصل الذكر إن البوازيد كلهم

فإما شجاع بالسلاح مغمد

وإما كريم يرص الضيف للقرى

وإما ملك سائس يتهدد

وإما همام العصر سلطان وقائد

وإما تقي بالتقى يتعبد

وإما ولي كامل يرشد الورى

وإما عليم للعلوم مجرد

وإما فتى حامل قرءان ربنا

وإما إمام وخطيب مصرهد

واما اتصاله الروحاني بشيوخه من السلسلة الذهبية للرجال الصوفية الأتقياء على حسب ما جاء في منظومته التي يعبر فيها عن سلسلة شيوخ طريقته وهم على حسب الترتيب:

الحمد لله الواحد القدير

الأحد الصمد والعظيم

وأفضل الصلاة والتسليم

على النبي المصطفى الكريم

وآله وصحبه الخيار

ما دام ملك ربنا الغفار

فهذه سلسلة طريقتي

وما لها من أركان التحقيق

ذكرتها بحسن الترقي

بإسناد الرجال أهل الشوق

أولهم شيخنا الكامل

محمد بن قدور الوكيلي

على يديه كان لي وصالي

وشربت من كؤوس الجمال

حتى وصلت غرف الأمان

منال أشياخ التداني

صار فياضه مني يسري

ومن عنصره مياه تجري

بلغني الفنا مع البقا

ونوره مني نال الآفاقا

عن شيخه أبي عزة المهاجي

من نسل الهادي صاحب المعراج

يسقي طريق الجمع والصواب

فهو من شيوخنا الأقطاب

عن شيخه مولاي العربي

بن أحمد الدرقاوي المربي

ثم عن مولى علي الجمال

هو قطب الشريف الكامل

ثم إلى الغوث الشيخ العربي

بن أحمد الشريف النسب

عن أبيه أحمد بن عبدالله

أفاضها بدون ما تناهي

ثم إلى أبي السعد اليماني

له العناية من المنان

وهو أخذ عن أبرقاوي الجامع

أبو الفضل سره تابع

عن أبي الفيض قاسم الخصاصي
فإنه مفرد للخواص
عن محمد بن عبدالله الفاسي
غاب وافن كل الإحساس
قد فنا عما سواه
ولم يجد في الكون غيره
عن عبد الرحمان غوث الزمان
هو الساقي كؤوس المعاني
بسقي المريد سقيه الوصال
من بحبه يرقى للكمال
ثم إلى القطب الرباني يوسف
الفاسي الصوفي العارف
ثم إلى القطب الرباني
أبي الفيوضات غوث الزمان
عن أبيه أبي الفضل علي المعروف
الصنهاجي بحر التصوف
ثم إلى الفحام القطب الناصح
صاحب الشفا والسر الواضح
عن أبي محمد أحمد الزروقي
الغارف في بحر المعاني والتحقيق
ثم إلى يوسف لاح
نور الحقائق والسر باح
عن شيخه علي بن وفا
عن أبيه محمد بحر الصفا
فكل هؤلاء عارفين

وكلهم للشراب يهدون
عن الشيخ داوود بن باخلي
عن أحمد بن عطاء الله الكامل
ثم إلى الصمداني المرسي
فهو الوارث أسرار القدس
عن الشاذلي مجمع البحرين
وبرزخ لا يبغيان دون مين
له الكلام في طريق العالي
ولطيف التحقيق عنه غالي
وهو عبد السلام بن مشيش
هو القطب الجامع بلا تفتيش
عن العطار الزيات المضيء
سر معناه في القلب يضيء
ثم عن نقى الدين الصوفي
هو القطب الكامل الشريف
وهو أخذ عن فخر الدين
هو الكنز المشهور بالتبيين
ثم عن نور الدين أبي الحسن علي
القطب الشراب إمام التكميل
ثم عن محمد تاج الدين
وهو عن محمد شمس الدين
وكلهم أقطاب كاملين
في بحر المعاني عارفين
ثم عن زين الدين القزويني
هو من زاد في الشكر تمكين

ثم عن أبي إسحاق المرويني
جمع البحرين ظاهر وباطن
عن المربي سعيد قطب الصوفية
وكلهم يسقي شراب الأصفيا
عن شيخه سيدنا سعد
عن محمد فتح السعود
ثم إلى الفرد الغزواني
عن محمد جابر بحر المعاني
ثم إلى الحسن القطبي الزاهد
في الملك برهان له شواهد
عن القطب الأكمل جمع الجميع
وبرزخ البحار أصل النفع
له الجزا بالرضا والرضوان
آل وصحب شمس العرفان
سيدنا علي الأمير
وصهر المصطفى بذا خبير
إذ هو باب حضرة الرحمان
وعنه كل أمداد العرفان
ثم عن محمد واسط الوجود
فلولاه ما بدا من وجود
صل يا رب عليه والآل
والصحب وأقطاب العرفان
وصل عليه عدد الأحجار
ورمل الأرض وأمواج البحار
وصلينا على الحبيب المصطفى

آل وصحب مع أقطاب الصفا
صلاته جاءتنا في الكتاب
شرعها لنا رب الأرباب
فصلوا على الهادي صلاة السر
إذ فيه سواء العبيد والحر
فالحمد لله وصلى الله
على نبيه ومصطفاه
وآله سادتي الأصفيا
وصحبه أقطاب الأوليا
لنزول التطهير في القرءان
فلا عليهم من كيد الشيطان
ثم عن الأمين جبريل
عليه سلام الله صاحب الرسائل
يبلغ الإسلام إلى الرسول
محمد أصل كل الأصول
عليه صلاة الله في كل لحظة
والآل والصحب أفضل أمة
ثم إلى رب العزة والجبروت
الواحد الأحد الذي لا يموت
المنزه عن الإطلاق والتقييد
المصدر بالعظمة والتفريد
إله الخلق ذو الجلال
وموصوف بأوصاف الكمال
الحمد لله منزل الكتاب
على عبده بالحق والصواب

اللهم بحق هذه السادات

وبحق صاحب المعجزات

اغفر لمن آمن بالإسلام

وبما أتى خير الأنام

واغفر لمحمد بن الحبيب

البوزيدي لرحمة المولى رغيب

والحمد لله على التمام

والصلاة بلا انفصام

على طه سيد الأنام

وآله وصحابه الكرام

نشأته :

ولد سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي بمدينة مستغانم جنوبا بقرية تسمى البساتين المعروفة بدبداية وبالضبط بجنان تكارلي سنة 1824م.

نشأ في تربية أبيه سيدي الحبيب الذي كان من أشهر الفقهاء والهارفين بالله، إذ ذاك وتلقى تعليمه الإبتدائي عن والده، ثم انتقل إلى الزاوية السنوسية الموجودة بقرية بوقيراط ضواحي مستغانم وتتلمذ على الشيخ سيدي الشارف بن تكوك العارف بالله الرباني، وهذا التالي رحمه الله كان من أنجب وأبرز وأخلص لمحبة شيخه سيدي بلقندوز القداري رحمه الله تعالى الذي صحبه في أحرج وأعسر اللحظات التي كان يقاد فيها الشيخ سيدي بلقندوز مكبلا إلى الموت من طرف بعض الظّلام والبغاة من الأتراك وكان الشيخ سيدي الشارف بن تكوك رحمه الله ورضي الله عنه يصاحب الشيخ ليقدم بعض الخدمات ولما أحس سيدي بلقندوز أنّ الأوان أنّ للقاء ربه أمر سيدي الشارف أن يرجع إلى أهله مصحوبا بدعواته الصالحة والبركة بهذا أسس الشيخ سيدي الشارف بن تكوك هذه الزاوية على تقوى الله ورضوان وأصبحت منارة المسلمين يشد لها الرحال.

ففي هذه الزاوية أتم شيخنا سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي دراسته (لغة دراسات قرآنية – فقه حديث).

وكان من حين إلى آخر يتفقد أهله في مستغانم وذات يوم تسوق مع أبيه إلى السوق لإقتناء بعض المواد الضرورية للحياة، قبضت عليه السلطة الإستعمارية الفرنسية بتهمة أنه يتسوق إلى المدينة وينقل الأخبار لرجال المقاومة، لأن مقاومة الأمير عبدالقادر رضي الله عنه كانت لم تخمد وقد تسبب له في هذه الكارثة رجل عميل للسلطات العسكرية الفرنسية كان يطلق عليها إسم مكتب عرب (بيرو عراب)، فمكث في سجونها بعض الأيام تحت التعذيب وعمره لا يتجاوز العشرين إذ ذاك، وسبقت له النجدة من الله تعالى إذ أفرج عليه بتدخل أخواله الخواخة، لأن والدة سيدي محمد بن الحبيب كانت من أبناء يخو وأرشدوه إلى مغادرة هذه المدينة وإلا سيقتل، فخرج منها خائفا يترقب وتوجه نحو الغرب. وتلك العناية الربانية إذا شاءت خيرا بعبد من عباد الله تهيء له أسبابا متسببة في إنقياده إلى الله من حيث لا يدري. فهذه الجاذبية الإلهية التي تجذب لحضرتها من كان لها أهلا فتقهره بالجلال وتقطع جميع الصلات بينه وبين الأنام حتى لا يبقى ملجأ ولا معول عليه إلا خالق الأنام، ويقف عاجزا حائرا أمام هاته التجليات الإلهية، بلا حول ولا قوة، فلما يتحقق بعجزه ولا فرار من أمر الله إلا إليه يلهم عندئد الهجرة وتلك سنة الله في الذين خلوا من قبل من الأنبياء والمرسلين وعباده الصديقين والصالحين ولن تجد لسنة الله تبديلا.

كما قيل ما تنبأ نبي في قومه ولا أدرك ولي الولاية في أهله إلا إذا هاجرهم ليلا. يقال للنبي نبّأه قومه واللولي ولاّه أهله.

فأشد الناس يتحرشون عليه بالجحود والإنكار وإفتراء الأقاويل والبهاتين فالأقارب حتى قيل "الأقارب عقارب" إلا ما رحم الله منهم ولا تتحقق نصرة الأنبياء والأولياء إلا برحمة الله وتوفيقه "وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم". صدق الله العظيم، وبهذا لا يدعي بالمزية على الأنبياء والأولياء أحد ولا فضل العظيم. فيتربيقلب المهيّأ لمعرفة الله بالإطمئنان والإستئناس بخالقه سبحانه عز وجل، ويستوحش ويفر من جميع المخلوقات ليكون إتصاله بالله موصولا، وبغيره مفصولا، فهنالك تأتي الإشارات والإلهامات الربانية لتقوده إلى من يأخذ بيده إلى حضرة الله، فإذا وجده تمّ مقصوده وارتاح باله، فيكرمه الله تعالى بالعزيمة القوية التي لا تثنيها صعوبات الإمتحانات التي تعترض السائر في سيره إلى الله فيرزقه الله فيذلل الله تعالى له العقبات، ويسهل له الصعوبات والمر يجد فيه حلاوة

وفي الخدمة والشقاء راحة فيخرج عن عادة البشر ويصبح روحانيا إلى أن يلج عالم الروحانية. وصدق سيدي شعيب أبو مدين رضي الله عنه في حكمه الغوثية

من كانت لنفسه عليه بقية   لا تعطي له الحرية

وكما قال سيدنا عيسى عليه السلام :" من لم يولد مرتين لن يلج ملكوت السموات" والمراد بالولادة الأولى هو نسبه من حيث بدنه. ولادته الشرعية أي المنبثقة من نكاح شرعي صحيح لا من سفاح، لأن أبناء السفاح تكره بهم الصلوات الخمس وتبطل بهم صلاة الجمعة.

وهذا ما روي عن الإمام مالك وما سار عليه الشيخ سيدي خليل في مختصره في بيان شروط الإمامة والولادة الثانية نسبه الروحاني وهذا يتمثل في شيوخه الموصولين إلى حضرة الله.

وقد ساقت الأقدار الإلهية سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي من مدينة مستغانم إلى مدينة سيدي شعيب أبي مدين رضي الله عنه (تلمسان) فنزل زائرا متبركا بهذا الولي الكامل الذي أدرك الغوثانية وبات تلك الليلة بضريحه فرأى في المنام جده سيدي أبي زيد بن علي الغوث الدافن بجبل العمور قرب آفلو بولاية الأغواط وسيدي شعيب أبي مدين فأشارا إليه بالذهاب إلى المغرب الأقصى فقال لهما وكيف وأنا غلام ولا قوة لي وأخاف من الحيّات والعقارب الموجودة أثناء الطريق فقالا له اذهب ولا تخف فأنت مأمون، وهذا ما رويته عن أبي سيدي بوزيد بن سيدي أحمد بن سيدي طه الذي أدرك سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي وهو في سن الرابعة عشر وهذا التالي أي أبي رواه عن عمه سيدي محمد بن طه مقدم سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي بلدية سيدي خطاب دائرة المطمر ولاية غليزان وهذه الأخبار متواترة عند جميع الفقراء الكبار الذين أخذوا عن الشيخ سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي وعن الشيخ سيدي أحمد بن سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي وعن الشيخ سيدي أحمد بن المصطفى العلاوي رضي الله عنهما. وشاءت الأقدار الإلهية أن يسير شيخنا "سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي" إلى أن وصل زاوية سيدي الشريف النسب المنحدر من سلالة رسول الله صلى الله عليه وسلم العارف بالله والدال على الله السالك ومربي المريدين الذي جمع الله له بين التشريع والتحقيق التقي النقي الزكي بنراس

العلم ومنبع أسرار الحقيقة ومعلم من معالم الطريقة ذلك الطود العظيم الشامخ الراسخ في حضرة رب العالمين والمقتدي بسيد المرسلين في الأقوال والأفعال.

هو سيدي ومولاي محمد بن عبدالقادر المعروف بابن قدور الوكيلي رضي الله عنه.

ترجمته :

فهو العارف بالله، الحامل كتاب الله، المنقطع إلى الله، الشريف من شرفاء بني أوكيل، سيدي محمد بن أحمد بن عربي بن المختار بن الحاج محمد هذا جدّه الرابع، كان جدّه هذا رجلا صالحا من أهل البركة والكرامات الظاهرة أما القطب الشيخ سيدي محمد بن قدور فهو ملقب بهذا الإسم ابن قدور، كان رضي الله تعالى عنه قد تعلم الكتابة والقراءة في أيام شبابه، اتصل بفقيه بقبائل قليعة من أهل البركة والصلاح، فكان الفقيه يكتب لسيدي محمد بن قدور القرآن في اللوح ويرسم له في الأخير إسم الجلالة الله، ويقول له : إذا حفظت اللوح فغمض عينيك وقل الله، فكان الشاب على ذلك كلما حفظ حصته من القرآن يقول "الله" ويكررها فنزل به حال مرة فغشي عليه، فأتاه الفقيه فوجده ملقى على الأرض غائبا فحركه، فلم يتحرك، فظن أنه مات، فخاف على نفسه، فهرب من ذلك المسجد، فلما أفاق الشاب، خرج هائما على وجهه إلى أن دخل الجزائر فلقيه بعض أهل الله تعالى، فقال له : لولا جدك المصطفى لما قلت لك شيئا وأنا رجل عقيم، ولكن حاجتك عند القطب سيدي محمد بن عبدالقادر الباشا يعني في الغرب في بلد الخروب، فرجع قافلا بسرعة، فاتصل بالشيخ المذكور، فتجرد لخدمته فحسده بعض أقارب الشيخ، فأمره الشيخ بالذهاب فذهب رضي الله تعالى عنه إلى محلة تحت جبل، وكان بالنهار يختفي وفي الليل يأتي الكلأ لمواشي دوّاب الشيخ وبقي على ذلك مدة، وكان إذا غلب عليه الجوع يأكل الحلزون، وذات ليلة رآه بعض أقارب الشيخ يتحرك بين المواشي والدواب، فظن أنّه سارق ، فأخبر الشيخ، وكان الشيخ يحرسه، فلما رأه ناداه وقال: من هذا ؟، فقال : أنا ابن القدور، فاستدعاه وجلس بجانبه وكان يتحدث معه وإذا بالخادمة جاءت، تكلمت مع الشيخ وقالت : يا سيدي ليست لدينا تلك الآنية التي نخبز عليها الخبز، فلمّا سمع الشيخ كلام الخادمة، ذهب من حينه إلى بعض أسواق قليعة، فاشترى تلك الآنية وحملها على ظهره وجاء بها وهو يمشي على رجليه إلى بلد الخروب مسافة طويلة، فلما رآه الشيخ سأله : من أين

جئت بهذا ؟، قال : من بعض أسواق قليعة، فتعجب الشيخ في هذا الشاب الصابر وهو يطلب بذلك رضى شيخه وأمره بالذهاب إلى بلدته لنشر الطريق، وقال له : اذهب إلى بلدك ولك الإذن ولكن كن كريما، واحذر إخوانك الشرفاء الحسدة فجاء إلى بلده بني وكيل، فتزوج هناك واستقل بالدعوة إلى الله والدلالة وتلقين الأوراد فكثر أتباعه ومريدوه فحسده إخوانه الشرفاء ودسوا عليه من يقتله وبينما سيدي محمد بعيد عن العمران في الجبل، وإذا برجل معه سكين يريد قتله، فجعل يعظه ويخوفه من عقاب الله فلم يرجع الرجل ولم يتذكر وقصده شاهرا عليه سكينه فبادره سيدي محمد فرماه ببندقية كانت معه فقتله، ثم نزل إلى داره وهاجر بأولاده من حينه، فنزل بجبل عين زورا، فحفر في الأرض كهفين أحدهما ليسكنه والثاني لتعليم الأطفال القرآن الكريم، واجتمع عليه الفقراء لذكر الله تعالى، فاشتهر بعد ذلك أمره وذاع بين القبائل ذكره، فجاءته جماعة من قبيلة بني يوحيي كانوا قد سبق لهم الإنتساب إليه فحملوه إلى بلدهم وهاجروا به ليلا، ولما وصل إلى جبل كركر، قال : هذا هو المستقر إن شاء الله تعالى، فأمرهم بإنزاله، فنزل هناك، وبنوا له زاوية، وصار يدعو إلى الله تعالى ويلقن الإسم الأعظم لمن يريده، فانتفع به خلائق لا يحصون كثرة وتخرج على يده رجال ومشايخ، وبقي على حاله كذلك إلى ن توفي رضي الله تعالى عنه، ودفن بزاويته التي لا تزال قائمة بجبل كركر، وله قبة شهيرة رحمه الله عليه عدد ما جاهد في سبيل الله، وجعل البركة في أولاده وأحفاده إلى يوم القيامة آمين.

أخذت من كتاب ذوي النهي والبصائر بتراجم الشيخ العلاوي وشيوخه وبعض خلافائه الأكابر لعبد ربه البوزيدي الساكن بإقليم الناظور المغرب. وبصحبة هذا الشيخ العظيم قضى جل حياته أربعين سنة في خدمة شؤون هذه الزاوية المملوءة بالدارسين والذاكرين والزائرين كأنه عبد مملوك لا يطالب بشيء لأنه يرى أن ليس له شيء كما في اعتقاد ساداتي الصوفية (إن المملوك لا يملك مع الملك العلام سبحانه عز وجل) حيث باعوا أنفسهم وملكهم الله. لله تصديقا وعملا بقوله تعالى "إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة" صدق الله العظيم الآية 111 من سورة التوبة.

فباعوا النفس الأمارة واللوامة فعوضهم الله وأبدلها بالنفس الراضية المرضية تلذذت بقضاء الله حلوه ومره خشية أن يقعوا في نهي الله تعالى "لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما أتاكم والله لا يحب كل مختال فخور" صدق الله العظيم الآية 21 من سورة الحديد.

فرضوا بقضاء الله فحصلوا على رضوانه "رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه" الآية 7 من سورة البينة صدق الله العظيم.

فالبينة والمحبة والتعظيم والتصديق والتسليم. نال سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي من شيخه مفاتيح معرفة أسرار الحقيقة الدينية الدالة على الحقيقة المحمدية وبتحصيلها وبالآداب معها حسا ومعنى وسرا وعلانية قولا وفعلا إلى الحضرة الأحدية فباب حضرة الله هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكل من لم يتأدب في هذه الحضرة بالآداب اللائقة بها ويمتثل في أداء الواجبات والفرائض والمحافظة على السنن والمندوبات لن يكون على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم. وصدق ورحم الله سيدنا أمحمد بن عيسى قدس الله سره دفين مكناس بالمغرب الأقصى القائل :

" كل من يهوى ولا يهوى الرسول كيف يعبأ به

أم كيف يعبأ به وما الدخول إلا من بابه"

والمقصود من قوله رضي الله عنه كل من يدعي أنه يحب الله ولم يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا بعيد من الله ورسوله وصدق الله العظيم إذ يقول :" قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم" الآية 30 من سورة آل عمران.

ولما قرب انتقال الشيخ سيدي محمد بن قدور الوكيلي رضي الله عنه إلى جوار ربه كان يردد هاته الكلمات.

أخذ البوزيدي القربة برباطها والقربة هي وعاء من جلد الأنعام للسقاية. وهذه إشارة بأن سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي أخذ السر كله من شيخه، فأذن لبعض المريدين بالإنصراف إلى أهلهم كأمثال سيدي الشيخ عبدالقادر بن عدة البوعبدلي دفين غليزان بالجزائر وسيدي محمد بن مسعود من الغزوات وسيدي الشيخ محمد الهبري دفين آحفير

بإقليم وجدة بالمغرب الأقصى، فكلف سيدي الشيخ محمد بن قدور الوكيلي سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي أن يخلفه في مقامه ويشرف على زاويته وتربية أبنائه لأنهم كانوا إذ ذاك صغارا، فعمل سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي بوصية شيخه وكان في مستوى الثقة التي وضعها فيه شيخه سيدي محمد بن قدور الوكيلي، فكان معلما ومرشدا وموجها وحكيما في التربية وتلقين الإسم الأعظم للمريدين والمتسولين به إلى الله ولما يكثر عليه عدد المريدين ولا يجد ما يفرشه لهم يأمر بقطع القطف وهو نوع من الحشيش الأخضر الغليظ ويقول للمريدين : أجلسوا هذا سندس واستبرق وهو نوع من الحرير الأخضر أعده الله لباسا لأهل الجنة في الجنة. وبقي سيدي وشيخي ومولاي سيدي محمد ابن الحبيب البوزيدي على هاته الحالة مؤديا لما ألزمه به شيخه سيدي محمد بن قدور الوكيلي إلى أن تصدر أبناء شيخه، فبوشاية من بعض الأشقياء حرضوا أبناء الشيخ سيدي محمد بن قدور الوكيلي على قتل سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي لأنهم كانوا يظنون أنه تيلط عليهم وأخذ زاوية أبيهم وحلّ مكانهم ولما علم الشيخ سيدي محمد ابن الحبيب البوزيدي بما كانوا قد بيتوه ضده، عزم على الرحيل قائلا لمن أخبره من المريدين المخلصين له "هذه علامة الإذن والإنصراف حيث شاء الله والحمد لله قد وفيت بما كلفني به شيخي في تصدير أنبائه والآن علمت علم اليقين أن أبناء شيخي فد بلغوا سن رشدهم فلا خوف عليهم" وهذا حال العارفين بالله فإنهم دائما يدرجون المظاهر المزعجة على مدارج التسليم لله تعالى ويتقبلون بقبول حسن ما لو حدث لغيرهم لسخطوا منه وانزعجوا. والخيار لسادتي العارفين بالله ما اختاره الله لهم. فلا يحزنهم ذهاب ما كان بين أيديهم ولا يكرهون ذلك ويتركون أمرهم لمشيئة الله تعالى مصداقا لقول الله تعالى :"وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون" صدق الله العظيم الآية 215 من سورة البقرة. فيفوضون أمرهم إلى الله ولا يدافعون عن أنفسهم ولا عن حظوظهم فيسلمون الأمر لله غاية التسليم معتصمين بقول الله تعالى "إن الله يدافع عن الذين آمنوا" صدق الله العظيم الآية 27 من سورة الحج.

وتوجه الشيخ سيدي ومولاي محمد بن الحبيب البوزيدي ساريا بالليل من قرية إلى قرية ولا يتحرك بالنهار لئلا يدركه طلابه ليقتلوه إلى أن وصل إلى قرية إسمها "وردانة" بإقليم

الناظور فدخل على أهلها عشاء بالمسجد وطلب منهم الضيافة فسألوه عن نفسه ومن أين أتى وعن شغله ومهنته فقال إني فقيه ومعلم الدين للصبيان لأن في عقيدة سادتي الصوفية من لم يبلغ مقام الرجال فهو في مقام الصبيان والرجولة عرّفها المولى في محكم التنزيل "رجال صدقوا ما عهدوا الله عليه" الآية 22 من سورة الأحزاب. " رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة" الآية 36 من سورة النور. "رجال يحبون أن يتطهروا" الآية 107 من سورة التوبة.

وهذه الصفة موجودة في بعض النساء المؤمنات الطاهرات الزاكيات لأن عند الصوفية ليس كل ذكر رجلا لأن الذكورية موجودة في بني الإنسان والحيوانات والنباتات.

فلما أكرموه بطعام العشاء وصلى بهم صلاة العشاء أخبروه بعدم إيوائه في منازلهم خفية من بعض الغارات لبعض القبائل وطلبوا منه المبيت في المسجد باعتباره مسكونا من شيطان جان، قد فتك بكثير من معلمي القرءان للصبيان، وقالوا له: إن كنت كما زعمت فها أنت والمسجد وإلا فانصرف لتنجو بحياتك فأجاب بقول الله تعالى " وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله" الآية 144 من سورة آل عمران صدق الله العظيم، أنا وهذا الظالم تجري علينا جميعا مقادير الله.

فتفرق الناس إلى منازلهم وبقي شيخي ومولاي سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي في غاية الأنس بالله حتى ظهر له هذا الشيطان في صوت مرعب، يخرج من فيه وانفه النار والدخان فألهم تلاوة الإخلاص، فثبته الله بها وربط على قلبه وصار يتلو سورة الإخلاص ويوجه سبابته اليمنى حيثما تحرك الجان الظالم فأحرقه الله تعالى بنور وبركة هذه السورة وهو يرددها "قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد" صدق الله العظيم. إلى أن صار هذا الشيطان حفينات من رماد فنام، وقرب الفجر قام وتوضأ وتلا ورده من النوافل وصلى صلاة الصبح بالمسجد وجاء أهل القرية يهرعون ليرووا ما آل إليه حال شيخي ومولاي سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي، فوجدوه في رحمة يذكر ورده، فتعجبوا وسألوه عما كان من الظالم فقال لقد طهر الله منه هذا المسجد وأشار إلى تلك الحفينات من الرماد فقال إدفنوها. ثم طلب منهم الإنصراف لينصرف فقسموا بالله

عليه ألا يفعل حتى يعلمهم ويعلم أبناءهم وتقدم كبير القوم وهو سيدي محمد بن يحي الورداني فزوجه إبنته فاطمة الوردانية وهنا في هذه القرية أي وردانة لقب بسيدي حمو الشيخ لأن إسم محمد في شمال المغرب هو حمو عندهم وعند الآخرين محمد يساوي موح، فانتشر خبر سيدي مولاي محمد بن الحبيب البوزيدي وما أجراه الله على يده من هذه الكرامة وعم الخبر جميع شمال المغرب فلما سمع أهل كركر أي الفقراء أو المريدون بزاوية شيخه سيدي محمد بن قدور الوكيلي ذهبوا إلى وردانة فأمرهم بالرجوع إلى زاوية سيدي محمد بن قدور الوكيلي ليعمروها بالإجتهاد في العبادات والعلم والتعلم قائلا "إنني لست من الماكثين هنا بل أنا عازم على الرحيل إلى وطني" وبعد حين تنورت قرية وردانة وصارت قبلة معنوية يتوجه إليها الناس في طلب العلم والمعرفة، وكون فيها الشيخ سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي إطارات في علم الشريعة وفي المنهاجية الموصلة إلى الحقيقة وتخرج على يده عدد كبير من العلماء والعارفين بالله.

ولما رأى في قرارة نفسه أن الدعوة إلى الله قد تمت وأقبل عليها جمهور غفير ونور الله به قلوب العباد وعم النفع على البلاد، أدرك أن مهمته إنتهت في هذه القرية. ومن هذا المنطلق فإن صحبة الصالحين لا تعود إلا بالصلاح على من اهتدى واقتدى بهم وصدق الله العظيم إذ يقول "يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين"صدق الله العظيم.

ولقول الإمام سيدنا علي كرم الله وجهه ورضي الله تعالى عنه "عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه، فكل قرين بالمقارن يقتدي". ورحم الله سيدي شعيب أبي مدين إذ يقول ما أفلح إلا بصحبة من أفلح ونور الله ضريح سيدي محمد بن عاشر الذي جاء في متنه المرشد المعين.

يصحب شيخا عارف المسالك

يقيه في طريقه المهالك

يذكره الله إذا رآه

ويوصل العبد إلى مولاه

عندئذ توجه الشيخ سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي مرفوقا بزوجته فاطمة بن حمو زوجة الشيخ وفاطمة شقيقتها إبنة سيدي محمد بن يحي الورداني ففاطمة زوجها الشيخ

رحمه الله تعالى برجل شريف فقيه صالح من بني عموميته أي من أبناء سيدي بوزيد وهو سيدي المختار بن سيدي عبدالقادر بن سيدي بوزيد. ونزل بمدينة مستغانم التي هي مسقط رأسه وكان يسكن بمنزل بحي تيطلقين أمام مسجد سيدي يعقوب وكتم أمره ولم يدع أحدا إلى علم القوم، وكان يعلم القرءان للصبيان، فإذا برجل صالح من مدينة صفاقص بتونس الشقيقة ينزل ضيفا على مدينة مستغانم. وأهالي مستغانم كانوا يحتفلون برجال الخير والصلاح والعلم ويلتفون حولهم حتى صارت مستغانم تلقب بمصر الصغيرة، ورفع النداء من المنادي أن سيدي محمد المداني الصفاقصي نازل بزاوية سيدي الحراق بن كريتلي الموجودة بحي المكسر بتجديت قرب ضريح سيدي السنوسي فهلموا إلى الإجتماع والإنتفاع.

وكان السيد الحراق بن كريتلي من أهل الخير والصلاح ذا مال انفقه في سبيل الله وفي المشاريع الخيرية وهو الذي كانت على نفقته مأدبة الضيافة للشيخ سيدي محمد المداني وأهالي مدينة مستغانم.

توضيح :

سيدي محمد المداني الصفاقصي هو شيخ أبي محمد المداني القصبي لأن أباه كان امقدم عند الشيخ الصفاقصي فلما ولد له ولد سماه بمحمد المداني راجيا بركة شيخه أن تعم إبنه وفعلا قد حقق الله ذلك وصار من كبار علماء الزيتونة وبالتالي أخذ الطريق على الشيخ سيدي أحمد العلاوي الذي أذن له في المشيخة والدعوة إلى الله وأن يسمى الطريقة بالمدانية أي على اسمه ولا زالت بحمد الله زاويته بقصيبة المديوني قرب المونستير بتونس كعلم في رأس جبل تدل السائرين في الطريق إلى الله والله الحمد والشكر.

ولما تغيب، بعض اللحظات عن الجلسة، صاحب الزاوية الشيخ الحراق ليأمر ببعض الخدمات للضيوف، نادى الشيخ سيدي محمد المداني الصفاقصي بأعلى صوته بالحراق ثلاث مرات فرد عليه شيخنا وكان في مؤخرة المجلس لا يكون حراق دراقا في طريقتنا حتى يحرق الكون من عرشه إلى فرشه.

والمقصود من كلام شيخنا لا يكون الرجل يؤمن على سر روحانيته ولا يطلع على عجائب غرائبها وسر الكون والكائنات إلا إذا أحرق بنور الذكر وأنواع القروبات إلى الله

من عبادات وأعمال البر والفلاح جميع الموانع والقوطع والصفات الرذيلة المكمونة في نفسه الأمارة فيشق السدود ويحطمها ويخرج من ظلمات الأطماع والشهوات وحب الرياسة والأنانية إلى نور الأحد الفرد الصمد الذي قامت به الكائنات وصدق الله العظيم إذ يقول :"يأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما" صدق الله العظيم. فهناك يكون ربانيا إذا قال لشيء بالله كن فيكون. حرقا نعم والقصد من العرش إلى الفرش ليس المقصود العرش والفرش أي ملك الله وإنما بداية النفس من فرشها إلى عرشها وهي نهايتها فتنقلب روحانية نورانية.

فتعجب الشيخ سيدي محمد المداني الصفاقصي من هذا الكلام وسأل من الرجل؟ فأجابه من كانوا بحاشيته من علماء أن هذا الرجل يسمى بلابوزيدي درار (يعلم القرآن للدراري) فأجاب الشيخ سيدي محمد المداني بل هذا معلم للكبار فأتوني به فتقدم الشيخ سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي وجلس بقربه وبدأت المناقشة في علم القوم بين الشيخين.

ولما تبين في غاية الوضوح أمر الشيخ سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي للشيخ سيدي محمد المداني الصفاقصي قام خاطبا في الناس إعجابا بأمر سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي، ثم نادى (الشيخ سيدي محمد الصفاقصي) : أيها الإخوان غدا إن شاء الله كل واحد منكم يكتب في ورقة كلما خطر بباله ويأتي بها إلي وقد كلف سيدي محمد البوزيدي تلميذه (الشيخ سيدي أحمد العلاوي) أن يكتب هذه الورقة، فلما كان الغد، حضروا ومعهم الأوراق ووضعوها أمام الشيخ، كل واحد كتب ما خطر في قلبه وجاء سيدي أحمد بن عليوة بورقة وألقاها بين الأوراق وكان الشيخ محمد المداني الصفاقصي يطالع الوراق واحدة بعد واحدة، فسقط على ورقة فيها هذا البيت :

إن شئت بنظرة تسقي الأنام

وإن شئت بلمحة تغني العالم

فأمسكها وقبض عليها بيده وقال : خذوا هذه الأوراق وأحروقوها بالنار، ثم قال : من كتب هذه الورقة ؟ قالوا له : هو مريد ذلك الرجل الذي تكلم بالأمس وهو سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي.

وتعجب من أمر أهالي مستغانم فبعدما حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسول الله وآله وصحبه قال : يا أهالي مستغانم كيف غفلتم عن رجل إمام عصره وواحد في زمانه.
وقسم بالله قائلا احتراما وتعظيما لشأن سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي فوالله الذي لا إله إلا هو لو علمت أن رجلا مثل هذا وأشار بكل إحترام وتواضع (لشيخنا) موجود في هذه المدينة لا أدخلها وإن دخلتها إلا بإذنه ثم ختم وقال : يا أهل مستغانم، إن كان مرادكم الله فبلدكم عامرة وأنا لا تنظروني هنا بعد هذا اليوم فذهب ولم يرجع إلى بلد مستغانم من ذلك الوقت، فالله يؤتي الحكمة من يشاء.
وفي هاته الليلة وهذا الجمع الغفير ظهر أمر شيخنا البوزيدي وتعلق به وتتلمذ عليه بعض الأفراد من أبرز وأخير وأطهر عائلات مستغانم.
وهذا حال سلوك العارفين بالله. أنهم يستترون عن الخلق حتى لا يشغلهم شاغل عن الله ويتلذذون في خلواتهم بالمناجات والمشاهدات التي تزيدهم شوقا ومحبة لله ورسوله وتجذبهم من عالم الحس والماديات الفانيات إلى عالم الصفا الروحي والسعادة الأبدية فإن خيروا ما بين هذين العالمين اختاروا عالم راحة الضمير والأنس بالله اشتغلوا بالإله وتركوا الملاهي وتحقق فيهم قول الله تعالى "هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم" صدق الله العظيم.
إلا إذا كانوا مجبرين أن يعودوا إلى الخلق ليأخذوا بأيديهم إلى حضرة الحق.
وقدس الله سر سيدي محمد البوزيدي إذ يقول :

فو الله من دنا وذاق سر الفنا
لباح بما حنا قهرا وهو المعذور

والمعنى الموجودة في هذا البيت من كلام شيخنا من دنا : من الدنو وهو القرب أي من تقرب إلى الله فسقاه الله تعالى باللطف والتوفيق لفناء الصفات الرذيلة المشينة لأن هذه الصفات تعوق صاحبها عن الوصول إلى حضرة الله والرسول صلى الله عليه وسلم إلا إذا كان كتجملا بلباس الفضائل وهو ما جاء في قوله تعالى " ولباس التقوى ذلك خير" صدق الله العظيم.
وكما هو في مصطلح الصوفية لا يكون التحلي إلا بعد التخلي.

لا يتحلى الرجل بالحلة المرضية شرعا إلا بعدما يتخلى عن الصفات المذمومة شرعا فهنالك، بأمر من الله ورسوله يعود إلى الخلق ليدعوهم ويعرج بهم من مقام الحيوانية السفلى إلى أسمى وأعلى مقام الإنسانية ليتمم مكارم أخلاقهم. وما التصوف إلا مكارم الأخلاق وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق. او كما قال عليه الصلاة والسلام وجزى الله خيرا سيدي أحمد العلاوي وقدس روحه فهو القائل:

فلنا الإذن سابقا واليوم

بنشر ما خفى على العوام

من رسول الله كان يا قوم

إذ قال لي بشراك يا غلام

فشيوخ التربية ما هم إلا خلفاء رسول الله صلى عليه وسلم "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي فعضوا عليها بالنواجذ ". صدق الله وصدق حبيب الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وسامح الله بعض إخواننا المنتمين إلى بعض الطرق، إذ يزعمون أن باب الولاية قد ختم بشيخهم ولا شيخ بعده. ولعل ذلك في إعتقادي عائد إلى الفناء في محبة شيخهم. وهم لا يلامون على ذلك أي على محبة شيخهم. ولكن يجب علينا أن نحترم ونتأدب مع جميع أهل النسبة على إختلاف طرقهم ومشايخهم وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول : "الآداب أفضل من النسب" وإن اعتقدنا بمثل اعتقادهم لإصطدمنا مع قول الله تعالى :"ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ألم تعلم أن الله على كل شيء قدير" وقال صلى الله عليه وسلم "لا ينقطع الخير من امتي إلى يوم الدين". صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فنرجو من إخواننا أن لا يتعصبوا وأن يسموا إلى معنى قول الله تعالى :"يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا " صدق الله العظيم. ولا زال فضل الله كما كان يتفضل الله تعالى به على من شاء من عباده بلا حصر على طائفة من طوائف ما، ألا ترى كم من شقي صار بفضل الله تقيا. وكم من تقي أمسى شاقيا وصدق الشيخ اللقاني في جوهريته:

وإن يثب فبمحض الفضل   وإن يعذب فبمحض العدل

والفضل وهو العطاء من الله بلا مقابل ولا عوض.

وبعد هذا التوجيه والتوضيح فلنرجع إلى شيخنا سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي إذ حين ظهر أمره في زاوية سيدي الحراق بن كريتلي شعر الشيخ بالوجوب عليه أن يتم المشوار إلى الله بمن تعلق به من الإخوان في الله إيمانا واعتقادا ومقتديا بسيد الوجود صلى الله عليه وسلم وما جاء عنه لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم، وفي رواية أخرى خير لك مما طلعت عليه الشمس، فشمر على ساعد الجد ونهض يدعو إلى الله سرا أفرادا أفرادا. وأول من اتصل بشيخنا سيدي بن عودة بن سليمان كان منخرطا في الطريقة العيساوية وكان له دكان يبيع فيه الجلد المعد لصناعة الأحذية وكل اللوازم التابعة لهذه الصناعة والمحل موجود بوسط مدينة مستغانم قرب الداشرة في عمارة ملك بلعيدوني إذ ذاك الزمان فكان يتردد الشيخ من حين إلى حين بطلب من صاحب الدكان ليستفسر الشيخ عن السير إلى الله تعالى والوسائل والمنهاجية الموصلة إلى حضرة الله بسلام وأمان.

فهنالك وقعت البيعة من طرف سيدي بن عودة بن سليمان للشيخ سيدي محمد البوزيدي وتم العهد على محبة الله والإخلاص لله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم في القول والعمل. بعدما ألزم الشيخ البوزيدي سيدي بن عودة بن سليمان بذكر الأوراد العامة بعد صلاة الصبح وصلاة المغرب، ثم أوصاه أن يختلي في مكان خاص لينقطع لذكر بسم الله الرحمان الرحيم وتارة يدله أن يذكر الإسم المفرد الأعظم بالمد والشد والتشخيص والإهتزاز من اليمين إلى الشمال ومن الفوق إلى الأسفل الله الله الله عملا بقوله تعالى :" واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا" صدق الله العظيم. وبعدما فتح الله على سيدي بن عودة بن سليمان وصار مقدما أي نائبا الشيخ في هذه الطريقة البوزيدية بدأ يدعو بدوره الأحباء والإخوان وكان محل الإجتماع في مؤخرة الدكان أمثال سيدي حمادي بن قارة، سيدي محمد بن ثرية، سيدي أحمد بن اسماعيل وسيدي مصطفى بن كريتلي وسيدي أحمد العلاوي وسيدي عبدالقادر القناوي وسيدي عبدالقدر بن عبد الرحمان المستغانمي وسيدي أحمدر بن ثرية وهؤلاء في مدينة مستغانم وغيرهم كثير.

- وبلاية غيليزان دائرة المطمر
- بلدية سيدي خطاب أولاد سيدي بوزيد
- المقدم سيدي محمد بن طه
- وبقرية المحافيظ بلدية بلعسل
- سيدي الموفق بن عمر
- سيدي جلول الصافي
- الخديم بن يسعد أخوه
- سيدي عبدالقادر الهاشمي المحفوظي
- بقرية الشواقرية بلدية سيدي خطاب
- العربي الكيلالي وابنيه
- الحبيب بن سي العربي
- الكيلالي بن العربي
- وبقرية تاحمد المعروفة بعتبة بلدية يلل
- المقدم سيدي بوزيد بن مولاي بن حوى
- سيدي شعبان بن حوى
- سيدي عواد بن محمد
- وبعين بلدية سيدي خطاب الطيايبة وفي مقدمتهم
- سيدي الحبيب بن طيب
- سيدي عواد بن محمد
- سيدي قويدر بن طيب وسيدي محمد بن طيب
- وبقرية زقيل ببلدية بلعسل
- سيدي الحسين بن هندة
- سيدي عبدالقادر بن هندة

- سيدي بوعزة
- ويتامسان سيدي العربي الشوار
- سيدي محمد بن يلس

وهؤلاء الرجال الذين تحققت فيهم شروط الرجولة المذكورة سابقا، كانوا كلهم من المفتوح عليهم، العارفين بالله والدعاة إلى الله وبفضلهم انضم إلى هذه الطريقة البوزيدية كثير من العروش والقبائل أمثال بني زروال أولا أحمد السلاطنية السدايرية آل العتبي وجمع غفير من الخلائق أفرادا وجماعات.وهؤلاء الرجال الذين تحققت فيهم شروط الرجولة المذكورة سابقا، كانوا كلهم من المفتوح عليهم، العارفين بالله والدعاة إلى الله وبفضلهم انضم إلى هذه الطريقة البوزيدية كثير من العروش والقبائل أمثال بني زروال أولا أحمد السلاطنية السدايرية آل العتبي وجمع غفير من الخلائق أفرادا وجماعات.

سلوكه :

كان الشيخ البوزيدي رحمه الله تعالى معروفا وموصوفا بالزهد. فحال الزهد يدفع صاحبه إلى أن يترفع عن جميع ما لذ وما طاب من هذه الدنيا إذ لذتها خسيسة وقصيرة المدى وهي من الأمور الخسيسة التافهة التي ليست لها قيمة عند الله تعالى ونور الله روح الإمام علي رضي الله تعالى عنه إذ يقول "لذة الدنيا خسيسة حيث جعل الله ألذ الطعام وهو العسل وهو خلاء نحلة وأفضل ملبوس الحرير وهو خلاء دودة وأعظم لذة لذة الجماع وهي مبال في مبال" وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم. إذ قال ما معناه :"لو كانت الدنيا تساوي عند الله جناح بعوضة ما سقى منها الكافر شربة ماء" أو كما قال عليه الصلاة والسلام وقدس الله سر الإمام الشافعي إذ جاء عنه :

إن لله رجالا فطنا

طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا

نظروا فيها فلما علموا

أنها ليست لحي وطنا

جعلوها لجة واتخذوا

صالح الأعمال فيها سفنا

والزاهد ليس كما يتبادر في فهم العامة من أنه هو الفقير والمسكين والمحتاج الذي ليس له شيء إلا اليد والتراب وإنما الزاهد هو الذي أقبلت عليه الدنيا بجاهها وسلطانها ومالها وحذافيرها. ولم يأخذ منها إلا الضروريات مما يسد رمقه ويستر بدنه وما يبقي أنفقه لوجه الله تعالى معرضا عن الدنيا غير ملتفت إليها لئلا تشغله عن الله تعالى. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول :" اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا" والزاهد كذلك ليس كما يتصوره الغافلون من انه العاري الحافي الأشعث الأغبر بل قد يكون تارة في صورة جميلة نظيفا في بدنه وهيئته ولباسه وهو لا يستأثر بهاته الزينة بل يجعلها من وسائل الدعوة إلى الله كما قيل :

زينة الظهور   تجلب أرباب الدهور

وأما ترقع أهل الزهد عن الدنيا فلأن الله سبحانه عز وجل أكرمهم بأفضل ملبوس ألا وهو "لباس التقوى" ذلك خير من كل لباس، كما أكرمهم بأعظم وأفضل وأكمل لذة ألا وهي لذة مشاهدة لجمال الله ورسوله فأنستهم جميع صور الجمال البشري والطبيعي بحيث لا يشاهدون في هذه المخلوقات إلا نور الخالق إذ وجود الأشياء من العدم إلى ما كان إلا بالله عز وجل، فلقد قامت جميع الأشياء بربها. وأعظم وأكرم سلطان أكرم الله به عباده الصالحين هي عزة لا تضاهيها أية عزة، فالإعتزاز بالله كما قال الله تعالى :" ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين" ولكن المنافقين لا يعلمون! لقد توج الله تعالى عباده الصالحين بتاج الطاعة ووفقهم بفضله إلى طاعته في جميع ما أمر وما نهى فوفقوا عند حدود الله. سالمين من سخطه وغضبه.

فبتلك السيرة المحمودة ساروا في الخلق فأكسبتهم تعظيم الله تعالى وملائكته وكثير من عباده (من إنس وجان).

وهذه السيرة مستمدة من منهاج الرسول صلى الله عليه وسلم إذ جاء عنه في كتب السيرة أن الجبال عرضت عليه كنوزها من ذهب وفضة فأباها ولم يرض بها عليه الصلاة والسلام. ورحم الله سيدي البوصيري وجعل الجنة مثواه إذ جاء في بردته :

وراوته الجبال الشم من ذهب

عن نفسه فأراها أيما شمم

وأكدت زهده فيها ضرورته

إن الضرورة لا تعدو على العصم

ورحم الله شيخ الشيوخ سيدي عبد السلام بن مشيش إذ كان في مكانه يبحث عن ماء يتوضأ به وحيثما ضرب بزانته الأرض أخرجت ذهبا وفضة. فقال لها "لست بحاجة إلى ذهب أو فضة وإنما حاجتي لماء به أتوضأ"! لقد وفقهم الله تعالى على التخلص من جميع القيود والمؤثرات فصاروا من الذين ليس للماديات عليهم سلطان وبذلك استحقوا عن جدارة الخلافة في الأرض. حتى قال سيدي شعيب أبو مدين رضي الله عنه :

ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا

فهم السلاطين والسادات والأمرا

ومعنى ما جاء في هذا البيت :

جمع الله لهم جميع اللذات في صحبة المفتقرين إلى الله وهم الأغنياء به "إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع عليم" صدق الله العظيم. وهم السلاطين والسادات والأمراء فهم ذو سلطة، وسادوا وتحكموا في الطبيعة والماديات بسر "كن فيكون" ولقد ثبت في الحديث القدسي " يا عبدي اتقني أجعلك ربانيا تقل لشيء كن فيكون" فجعلهم الله تعالى بفضله من الذين أشار إليهم الرسول صلى الله عليه وسلم فيما جاء عنه "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي فعضو عليها بالنوجذ" فكانوا أدلاء بالله على الله فهم الموصلون إلى ساحة رضوان الله ورسوله لكل من تمسك بهم، فهم الدعاة إلى الله والخلفاء الأمناء على روح الشريعة المحمدية.

هكذا ترى بإيجاز كيف يرقي الزهد وينهض بمن تحلى به من أسفل مقام الحيوانية إلى أسنى مقام الإنسانية أو الإنسان الكامل، هذه الدوافع والحوافز هي التي أدت بشيخنا سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي إلى سلوك مسلك الزاهدين، لا عجب إذ كما يقال : إذ عرف السبب زال العجب. أتاه رحمه الله تعالى، ذات يوم، مريده الفقير لله والعارف بالله المرحوم سيدي أحمد بن سماعين قال : إن الحاكم للإدارة الفرانساوية يطلب منك الحضور عنده فأجابه الشيخ رحمه الله تعالى : مالي والحاكم الفرنساوي؟ وما حاجته

عندي؟ فرد عليه : مقابلة ودية واستطلاعية على حالك فقط فجمع الشيخ قوته وأنفاسه وذهب بشق الأنفس إلى مقابلة الحاكم الفرنساوي، ولما وصل الشيخ إلى مبنى الإدارة وجد رجلا من المستخدمين عند الحاكم ينتظره فأدخله على الحاكم وبعد دردشة قصيرة جرت بينهما، قدم الحاكم للشيخ هدية تتمثل في برنوسين موضوعين في ظرف، وبمجرد خروجه من عند الحاكم مشي خطيوات رأى الشيخ رجلا عريان فأخذ برنوسا وستره به، ثم مشى قليلا فظهر له رجل آخر في حالة الأول فكساه الشيخ البرنوس، الثاني، ورجع إلى زاويته، فجاء المستخدم من الإدارة الفرنساوية ليطلع على ما فعل الشيخ بالبرنوسين الإثنين فوجده على هيئته العادية، فسأل المريدين والفقراء فأطلعوه على قصة الشيخ مع العارفيناالإثنين وما قاله رضي الله عنه فيذلك " جاء الرنوسان من الله وعادا إليه والله لا يضيع أجر المحسنين". ومن أخلاق الزاهدين إيثار الغير على أنفسهم ولو كانوا في مس الحاجة إلى ما يقدمونه لغيرهم، وسبحان الله القائل:" ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون صدق الله العظيم.لقد كان شيخنا ومولانا لا يملك إلا بذلة واحدة وذات يوم جاء بعض المريدين (الفقراء) يطرقون في باب منزل الشيخ، خرج مرتديا عباءة زوجته فتحيروا وتعجبوا وسألوا الشيخ وما هذا اللباس؟ فأجاب الشيخ لقد غسلت ثيابي وليس لي لباس إلا هذا وأشار إلى عباءة زوجته ! فالزاهدون مع شدة الإحتياج والإضطرار لا يسألون أحدًا من خلق الله، حيث أغناهم الله تعالى بالقناعة فصاروا يرضون بالقليل ولا يسألون شيئا من الجليل عز وجل إلا ما هو ضروري للحياة عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم المأثور من رزقه الله لقمة يسد بها رمقه وخرقه يستر بها عورته فهو من أغنى الناس، فإذ كان الغني مقرونا بالقناعة، والفقر مقرونا بعدمها حلّ محلها الطمع وهو أخطر على الإنسان فيدينه وعرضه، ولنرج إلى سادتي المريدين مع شيخهم، وكانوا من كبار الأغنياء الأثرياء في مدينة مستغنم، فقد لاموا أنفسهم عن الغفلة عن أبيهم الروحي، وهم يلبسون أفخر الثياب وبيد أن الحاجة اضطرته رضي الله عنه إلى ارتداء عباءة زوجته، يقول الله تعالى:" يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا" صدق الله العظيم .

فتسارعوا كلهم ورجعوا في الحين إلى الشيخ كل منهم محمل بأفخر الثياب، وما أخد الشيخ إلا بذلة واحدة ونصح المريدين أن يتصدقوا بالبقية على ذويهم وأهاليهم المحرومين .

ولنواصل مع شيخنا بعلو همته لنرى كيف يضر لنا أروع الأمثلة في سلوكه ومحافظته على توطيد المحبة البشرية وحسن تسييره للعلاقات الإنسانية .

كان الشيخ ذات يوم مدعوا إلى وليمة زفاف فأجاب الدعوة وحضر المأدبة، ولكن ما شاء الله وكما قيل "المعاصرة حرمان"إذ جاء شيخ من شيوخ التبرك مع تلامذته وقبل أن يدخل المنزل أخبروه بأن الشيخ سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي حاضر، فأقسم بالله أن لا يدخل المنزل هو وتلامذته حتى يخرج منه البوزيدي !!فأخرج صاحب الوليمة بها بها لموقف ورجع إلى زوجته وأخبرها بالواقعة فأجابته الزوجة الصالحة سأصنع طعاما للشيخ البوزيدي يتغذى به هو وأهله فأصرفه بهذه الكيفية الجميلة ! فلما أحضر صاحب الوليمة طبق طعام من كسكس ولوازم التمعة إلى الشيخ سيدي البوزيدي تقبله القبول الحسن ودعا للعريسين بالمودة وحسن المعاشرة على الدوام ولصاحب الوليمة بالخير والبركة وانصرف .

ولم يقصد الشيخ رضي الله عنه منزله ليطعم بهذا الطعام أهله لا، بل أطلعه الله تعالى على سوء المعاشرة والعداوة التي كنت بين صاحب الوليمة وأخت له لم يدعها لحضور وليمة زفاف ابن صاحب الوليمة وأخت له لم يدعها لحضور وليمة زفاف ابن أخيها ! فذهب الشيخ البوزيدي إلى منزل هذه المرأة وطرق بابها ولما خرج زوجها قدم له الطبق وقال له : إن صهرك أخا زوجتك يعتذر لكما عن هذا النسيان ويدعوكما فورا إلى الوليمة، فلما سمعت زوجة الرجل حديث الشيخ البوزيدي غمرتها الفرحة والسرور وزغردت وذهبت لتشارك في هذه الفرحة .

وتساءل أهل الوليمة عمن دعاها، ومن صنع هذا الصنيع الجميل وما عرفوا ذلك إلا من خلال الطبق الذي قدموه للشيخ البوزيدي حيث عادإليهم مملوءًا بالحلويات، عندئذ علموا صاحب الفعلة الفعل الحسن مصلح ذات البين إنما هو الشيخ سيدي محمود ابن الحبيب البوزيدي عملا بقول الله تعالى :" يأيها الذين آمنوا اتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم" صدق الله العظيم.ويعكس مثل هذا السلوك الشفقة والرحمة التي أودعها الله تعالى قلوب عباده

الصالحين وسماهم الرسول صلى الله عليه وسلم بالرحمان، " الرحمان يرحمهم الله". " ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء" وقد قال صلى الله عليه وسلم من في الأرض من غير تخصيص طائفة دون طائفة، وبغير تمييز عنصري فقد كانوا يحذرون الوقوع في قوله صلى الله عليه وسلم " لا تنزع الرحمة إلا من قلب شقي".من ذلك أن شيخنا كان رحمه الله تعالى يمشي ذات يوم وسط المدينة عبر شارع يسمى بشارع الأسود في عهد الإستعمار (ري دِلِيُو)، أما الآن فقد أطلق عليه اسم بوشارب بلقاسم، وكان تجار هذا الشارع اسرائيلين وبينما شيخنا سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي يمشي إذ سقط يهودي أمامه على الأرض وكان متقدما في السن فأسرع إليه الشيخ وساعده على القيام وهو يمسح له ثيابه من الغبار، ووضع على رأسه قباعته وكان الشيخ يردد هاته الكلمة مخاطبا بها اليهودي بكل شفقة! لبأس عليك! فإذا بالتجار الإسرائليين يندهشون من هذه المعاملة الحسنة طرف رجل حامل لواء الشريعة المحمدية. ومنذ ذلك اليوم كان كلما مر عليهم الشيخ البوزيدي حيوه بأسمى التحية والتقدير والإحترام، وإن كان هذا منهم مجرد مراوغة وتضليل لأنهم في الحقيقة لا يغايرون في معاملة آبائهم وأجدادهم اليهود مع أكمل الخلق خلقا وأرأف الناس بالناس والرحمة المهداة من الله تعالى حتى قال فيه ربه عز وجل "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" صدق الله العظيم.

تلك المعاملة الموسومة بالخيانة والمكر والدسائس، وكذلك معاملة لاحقيهم لجميع المسلمين ويكفينا قول الله تعالى :"ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم" صدق الله العظيم.

وآن أن نمعن ونغوص في أعماق شخصية سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي وكيف كان يعامل حاسديه إذ كل ذي نعمة محسودا إلا ما رحم ربي من الذين سبقت لهم العناية الربانية فكان لهم حظ أوفر وسهم أكبر في المعاملة الحسنة لشيوخ عصرهم وقدوة زمانهم.

ومن هذا ما جرى بين شيخنا وشيخ من مشايخ البركة، وأعني بشيخ البركة شيخنا سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي إذ قال له شيخ ذات يوم رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في المنام وقال لي إن البوزيدي من أصحاب النار. فرد عليه شيخنا سيدي محمد

البوزيدي بكل رحابة صدر وبوجه طلق وبالإبتسام والبشاشة سيدي أصحيح رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقال لك بأنني من أصحاب النار؟! جازاك الله خيرا فقد كنت أظن أن أمثالي ليسوا مذكورين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يعبأ بهم ولكن الحمد لله على كوني مذكورا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه مهتم بذكري وأمري فهو الشفيع المشفع في العصاة والمذنبين أمثالي جازاك الله عني خيرا والسلام عليكم.

وصدق الله العظيم إذ يقول :"وعباد الرحمان الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما".

والذي دفع بسيدي محمد الحبيب البوزيدي أن يرد هذا الرد الجميل على إدعاء هذا العليل الذي لا يشفى من علته وعلى هذا الكليل الذي لا يستطيع السير على أقوم سبيل هو كون أمر سيدنا محمد البوزيدي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم اتصالا موصولا عن يقين مشاهدة لأن هؤلاء الرجال الكمل في إتصال مستمر ودائم لا يفتر ولا ينقطع ولو طرفة عين عن الحضرتين حضرة الله وحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما قال سيدي أبو العباس المرسي "ولو احتجب علي رسول الله طرفة عين لحكمت بردتي".

وهل من الممكن أو المعقول أن تترك إيمانك ويقينك ومشاهدتك بسبب ظنون الناس وقال الله تعالى :"بل الإنسان على نفسه بصيرة " صدق الله العظيم. ولهذا، فلا غرو أن يصدر من سيدي البوزيدي مثل هذا الرد اللطيف على ذلك المخلوق المسكين الذي يدعي الكمال وهو لم يزل في مقام الصبيان.

وسادتي الكمل لا يركنون لمن جمل لهم الحديث وذكرهم بالجمال والكمال ولا يعبأون بمن قال فيهم عكس ذلك بالتجريح والطعن في شرفهم بهتانا وزورا فهم لاينفعلون لهؤلاء ولا لأولئك. لأنهم عرفوا قدرهم وقدر الناس والناس هم الناس تارة معك وتارة عليك فتركوا معية الخلق واكتفوا بمعية الحق الذي هم معهم أينما كانوا ولو ظلام القبر وبها استغنوا عما سواها، فاشتغلوا بالحق وتركوا الخلق واستوى عندهم المدح والقدح ! هذا، وكان سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي حريصا على النهوض بمن تعلق به من عالم الغفلة والأنانية والغرور وعن طريق إماتة شهوات النفس وإزالة عللها وفك قيودها وبالحكمة

وبالملاطفة وعلاج الذين توسلوا به إلى الله تعالى من الأمراض الخفية الباطنية التي تعوق السائرين أثناء سيرهم إلى الله عز وجل كأنه حكيم ماهر بحيث لا يستعصي عليه أمر بفضل الله وجوده، وكان المريدون يتقبلون منه جميع النصائح والإرشادات ولو جاءت مخالفة عاداتهم وطبائعهم حتى يعتادوا عادات السادات الكرام ويتأسوا بالأسوة الحسنة النبوية وصدق الله العظيم إذ يقول :"لقد كان لكم في رسول الله إسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا" صدق الله العظيم.

فكان رضي الله عنه كالطبيب الجراح يجري العملية الجراحية على المريض فلا يشعر بها إلا بعد زوال سكره، وعلته، فيحمد الله ويشكره على ذلك. والجدير بالذكر في هذا الموضوع الحدث الرائع الذي يبهر العقول وتتقبله النفس لولا لطف الله سبحانه عز وجل بصاحبها ويتمثل في ذلك الإمتحان العظيم الذي لا يتحمله أحد أبدا وخاصة إذا كان من ذوي المال والسلطة والجاه إلا الذين سبقت لهم من الله السعادة والحسنى كما قال الله تعالى :"للذين أحسنوا وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون".

ذلك أن سيدي مصطفى بن كريتلي كان عضوا في مجلس الأمة في زمان الإستعمار الفرنساوي. لما تهيأ في زيه الرسمي لإستقبال الوالي العام الفرنساوي الذي كان في زيارة تفقدية لمدينة مستغانم، أتاه شيخه سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي وقال له حاويتين وهي أمعاء الضأن بكبدهما ورئتهما وقلبها فحملها والدم يتقاطر منهما والذباب يتطاير حولهما، وسيدي مصطفى بن كريتلي على قدر جلاله وعظمته في مجتمعه يتجول به الشيخ على تلك الحالة في أكبر شوارع مدينة مستغانم إذ ذاك، فلما وصلا إلى المطمر أو باب المجاهر ما بين حي الأروبيين الفرانسيس وحي الجزائريين المسلمين أوقفه الشيخ وقال يكفيك يا بني شكرا لك وأبشر يا بني لقد شفاك الله تعالى وعفاك من علة الكبرياء والعجب بالنفس والإعتزاز بالسلطة والجاه فنعم العبد لله أنت ! وإن الله تعالى جمع لبعض أنبيائه بين النبوة الملك ولبعض أوليائه بين الولاية والملك فما زادهم ذلك إلا إفتقارا إلى الله تعالى وانكسار له مستمطرين رحمته وعافيته فيما بقي من أجلهم وعمرهم حتى يلقوه وهم أفقر الناس إليه سبحانه عز وجل، فتلك نعمة عظمى يتفضل الله بها عز وجل على الذين

أهلهم إلى حضرة محبته ووداده التي لا يدخلها متكبر وأرضيت مولاك عز وجل وفزت بسعادة الدارين حفظك الله ورعاك بعين رعايته فيما بقي من أجلك ! (نسأل الله حسن الخاتمة).

وفي يوم من الأيام أتاه مريد من البادية وهو متشوق إلى الأكل اللذيذ الذي سيأكله في ضيافة الشيخ من لحم طري وسمك نهري وبحري، وحساء من حريرة وشربة وغير ذلك من الفواكه والمشروبات، فلما وصل إلى الشيخ نهض به من مقام أسفل إلى المقام الأسنى كأنما يقول له في هاته الإشارة البسيطة التي سأذكرها لك من بعد، (لا تجعل همتك في الملذات والإنهماك في الشهوات فتحجبك عن الغايات وهي السير في سبيل الله وإذا انتهى هذا إبتدأ سير تأخر وهو السير في الله والسائر إلى الله لا يتلذذ بأي لذة مهما كانت وكيفما كانت فراحته قبل الوصول إلى الله شقاوة وعناء ولا تتم له الراحة الحقيقية والسعادة السرمدية الأبدية إلا بعد الوصول إلى عالم الأنس بالله والرسوخ في حضرة القدس والتربع على بساط التوحيد فيوحد الله تعالى في جميع المخلوقات وفي جميع الحالات ولا يرى في الوجود إلا رب الوجود). لقد أتاه بصحن فيه فول وقال تقدم يا بني وكل وأشار إلى الأمعاء فقال: ما هذا إلا مصران ذو رائحة كريهة فملأه بما وجدت وانهض في طلب الله تعالى بذكره ليلا ونهارا فلعل رحمة الله تشملك فتجذبك من سباتك وغفلتك إلى يقظة المعرفة ومشاهدة أنوار ربك ببصيرتك فإذا انجلى ليلك منك طلع نهارك وأشرقت شمس هدايتك فلا تأفل ولا تحول ولا تزول أبدا حتى تلقى الله وهو راض عنك.

وكان يحذر رضي الله عنه من النفس ضاربا المثل بنفسه ويقول : لا زالت تحدثني حديث سن الشباب أي بالمخالفة والعصيان، وأنا قد بلغت ثمانين عاما وإني لأرى الشيطان يحتال لمخادعتي كما يحتال السارق بالليل على صاحب الدار.

وهذا حرص العارفين بالله أن لا يأمنوا مكر الله "فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون" صدق الله العظيم.

وكان سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه يقول فلا أؤمن ولو كان لي رجل في الجنة وأخرى خارجها، مع أنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار إذ هو ثاني اثنين كما قال الله تعالى :"إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني

اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا". ومع أنه رضي الله تعالى عنه مبشر بالجنة ومن البدريين وهو أول من آمن في الرجال وكان يصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع ما أخبر حتى لقب باسم الصديق ! فالمقربون هم أشد خوفا من الله تعالى والخوف به حفظ الله تعالى الذين إصطافهم للمقام الأسنى وحال بينهم بين الرذائل والوقوع فيما لا يحمد في دنياهم ودينهم فالعصمة للأنبياء والحفظ للأولياء.وصدق الله العظيم إذ يقول :"إنما يخشى الله من عباده العلماء". وقال صلى الله عليه وسلم "أنا أخوفكم من الله" صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم. والخوف من الله عقل العقول فإذا كان العقل يعقل فعل الفاعل الذي لا يعود بالخير على فاعله في أخراه. فإن الخوف من الله تعالى يردع الفكرة الشر كما قال الله تعالى :"إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون" صدق الله العظيم.

من كراماته :

وإذا ذكرت ما أجراه الله تعالى على يده من الكرامات فحدث ولا حرج. والكرامات أيد الله تعالى بها أولياء كما أيد رسله بالمعجزات كما هو معروف، فالمعجزة أمر خارق للعادة وخارج عن طوق البشر وهي طلب من الرسل على وجه التحدي والإعجاز. فيسأ الرسول مطلوبه أو سؤله على وجه التصديق والتأييد "ولله الحجة البالغة" صدق الله العظيم.

وأما الكرامة فيجريها الله تعالى على أيدي أوليائه عند الضرورة والحاجة بعد سؤال الولي من الله تعالى أن يستجيب لدعوته في قضاء حوائج الناس. فالكرامة لا تطلب من الولي على سبيل الإعجاز بل تطلب منه لأن الناس توسموا فيه الخير والصلاح وغلب عليهم الظن أن هذا الولي مستجاب الدعاء عند الله تعالى، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول "إن لله رجالا لو أقسموا على الله لأبرهم" أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

وصدق سيدي ابراهيم اللقاني إذ يقول في جوهرته:

وأثبتن للأولياء الكرامة   ومن نفاها فانبذن كلامه

والشيء بالشيء يذكر ولا طاقة لي على حصر البحر وإنما أكتفي ببعض الكرامات التي وقعت في حياته والتي وقعت بعد وفاته.

وينبغي ألا نظن أن أمثال هؤلاء الرجال إذا انتقلوا إلى جوار ربهم انقطعت بركتهم وانطفأ نورهم. بل العكس هو الصحيح فما تزال الأمم تتغذى علميا وروحيا من أفكار العلماء الصالحين وقداسة الربانيين الذين وكل أرواحا طاهرة يستغفرون لصاحب الضريح ولكل من زارهم الزيارة الشرعية بوضوء وطهارة وبعد صلاة ركعتين لله تعالى في البقع المطهرة التي طالما غمرها صاحب الضريح بأنوار العبادات والقروبات إلى الله تعالى من أذكار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في قيام الليل والتهجد في مناجاة ربه فتصبح الدعوات في هذه الأمكنة ومستجابة وصدق الله بن مسعود " يا عبد الله اقرأ القرآن وعلمه للناس حتى إذا مت تأتي الملائكة تطوف بقبرك كما تطوف ببيت الله المعمور".
صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن الكرامات التي وقعت في حياة شيخنا سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي رحمه الله تعالى واجعل الجنة مثواه. تلك الواقعة التي وقعت لتلميذه وابنه الروحي سيدي مصطفى بن كريتلي. إذ كان في سفر إلى فرنسا بصحبة سيدي محمد ابن سماعيل وأثناء هذا السفر مرض مرضا شديدا مما جعل سيدي محمد بن اسماعيل يتردد مصحوبا بالأطباء على سرير صاحبه عدة مرات وفي المرة الأخيرة دخل كذلك مصحوبا بطبيب ليقدم بعض العلاج للتخفيف من ألم المريض فإذا بهما يجدان (الطبيب وبن سماعيل) السيد مصطفى بن كريتلي قائما على رجليه وفي صحة جيدة فتسآل الطبيب أين المريض الذي هو في حالة الموت كما قلت لي يابن اسماعيل، فأجاب بن اسماعيل الطبيب والله لا أدري ما أقول لك قبل لحظات كان في حالة الإحتضار في درجة حرارة عالية وهو يئن والآن اندهشت وأنا أراه على هذه الحال من الصحة فتدخل سيدي مصطفى ابن كريتلي قائلا لسيدي بن اسماعيل أدفع أجرة الطبيب وأصرفه وأخبرك بالذي جرى. بعدما خرج الطبيب وأصرفه وأخبرك بالذي جرى. وبعدها خرج الطبيب أطلع سيدي مصطفى بن كريتلي سيدي بن إسماعيل على ما جرى له وهو في استبشار وغاية الإطمئنان وهو يثني على الشيخ الثناء الجميل، هل تدري من دخل علي قبلكما بوقت قليل. وهل تتخيل على أي مطية طوى المسافة التي بيننا وبين مستغانم شيخي الأخذ بيدي ملاذي في اليسر والعسر، إنه ذاك الخامل المتواضع الذي تحققت فيه العبودية لله وتحققت نسبتنا فيه سيدي محمد بن

الحبيب البوزيدي لقد دخل علي والباب مغلق كما أغلقته أنت فمسح على رأسي وجسمي كله وقال لي شفاك الله ولا بأس عليك وانقطعت صورته أمامي بتمام كلمة لاباس عليك فنهضت كما رأيتني أنت والطبيب.

ولما عادا المسافران من فرنسا بعد انتهاء مهمتهما أخبرا بهاته الكرامة فتعجب كل الفقراء أي التلاميذ وقالوا إن الشيخ لم يغادر مدينة مستغانم ولقد حضر معنا الصلوات الخمس في أيام سفركما ما عادا سيدي حمادي بن قارة رحمه الله تعالى، فسأل سيدي مصطفى بن كريتلي سؤال التدقيق في أي يوم وفي أي ساعة وقعت لك هاته الواقعة مع الشيخ؟ فلما أطلع سيدي مصطفى بن كريتلي السائل (أي سيدي حمادي بن قارة) وقال سيدي حمادي ابن قارة للجماعة إن في هاته الساعة التي ذكرها سيدي مصطفى بن كريتلي دخل علي في الدكان وكان من التجار الكبار في القماش والملابس، "شيخنا سيدي محمد البوزيدي في حالة لم أعهد عليها أبدا، كان وجهه منقبضا وجبينه يتفصد عرقا وهو في حال اضطراب وقال لي ناولني كأس ماء بسرعة فإن ابني مريض فإن ابني مريض فإن ابني مريض، كررها ثلاث مرات فلما انتهى من شرب الماء قال الحمد لله لا بأس عليه ! إن أهل المنطق يستبعدون هذه الأمور لأن عقولهم قاصرة وعاجزة على إدراك الأسرار الروحانية وغيب الملكوت وهم يجهلون كون هذا العقل البشري لا يدرك بوسائل إدراكه من سمع ورؤية وشم وذوق ولمس إلا ما هو مرئي ومسموع وملموس ومشموم وما كان له مذاق "الظاهر لا الباطن" وإن تعطلت حاسة من هاته الحواس تعطل إدراك هذا العقل بقدر ما تعطل منه من الحواس بينما للروحانية عقل آخر ومنطق آخر لأن عالم الروحانية غير عالم الأشباح، فله نظام آخر غير نظامنا فمن ذاق صدق ومن لم يذق تعوق.

ولنا من عقل العقول عقلا فياله

جوهر فريد الحسن يعتبر عقلا

لا يعقل ما سوى الله جل ثناؤه

فهذا هو العقال يعقل ولو قلا

ومما يتشوق إلى سمعه أهل الذوق السليم تلك الكرامة التي أجراها الله على يد شيخنا سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي بقرية المحافيظ بلدية بلعسل دائرة المطمر ولاية غليزان والذي وقعت له الكرامة هو الفقير إلى الله والغني به سيدي الموفق بن عمر حيث كان هذا الأخير من حين إلى حين يترر زائرا شيخه سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي ويقضي في زاوية الشيخ بعض الليالي والأيام حتى يستأذن في الإنصراف فيأذن له الشيخ ويعود إلى أهله مصحوبا بالبركات والدعوات الصالحة.في ليلة من الليالي كان سيدي الموفق بن عمر ضيفا على الشيخ في الزاوية كعادته إذا بالشيخ سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي يأتيه ويأمره بالإنصراف إلى أهله عاجلا، فعاد على وجه السرعة إلى أهله وهو يتساءل في قرارة نفسه لماذا أمره الشيخ بالرجوع إلى أهله وهو الذي كان يقضي الليالي والأيام فلا يضيق الشيخ بوجوده وتارة يتهم نفسه لعلة أصبح والعياذ بالله من الذين ليس لهم حظ في صحبة العارفين بالله وهل هي مصيبة سماوية ستصيبه حتى تفرق بيده وبين الصالحين؟ وهل أطلع الشيخ على أمره مستقبلا كيف سيكون من الأشقياء؟إلى غير ذلك من التساؤلات إلى أن وصل إلى منزله بقرية المحافظين في بداية النهار واستقبلته زوجته تعنف له الكلام بصوت مرتفع قائلة له كيف تتركني وحدي وفي هاته الليلة جاء اللصوص وفتحوا الباب وأخرجوا بعض الرؤوس من من الضأن فرفعت صوتي طالبة الغوث الغوث الغوث فأخذ أحد اللصوص حجارة بيده ليضربني بها ولكن حينئذ جاء رجل كبير متقدم في السن فنزع الحجارة من يده، فرد المواشي إلى مكانها وقال لي لا تخافي إنني معك وأغلق الباب وذهب باللصوص الثلاثة، وما كان اللصوص إلا من أهل القرية وقد عرفتهم زوجة سيدي الموفق بن عمر، وبعدما أخبرته زوجته بالواقع حمد الله وعرف أن سبب انزعاج الشيخ من حاله وحال عياله وعرف وأدرك الدافع الذي دفع بالشيخ ليأمره بالرجوع إلى أهله، ولما خرج الشيخ سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي في فصل الربيع إلى السياحة(والسياحة هو سفر وانتقال الصالحين من قرية إلى قرية ومن بلدة إلى بلدة يدعون الخلق إلى الله عز وجل)، ويختارون فصل الربيع للدعوة إلى الله، لأن في هذا الفصل يفتح الله على جميع الكائنات بالزيادة نباتات وحيوانات، فكذلك قلوب الناس تكون أقرب إلى تقبل الدعوة إلى الله ويشملها بالتالي الفتح من الله حيث الخير مبسوط والمناخ

معتدل ما فيه قساوة حرارة ولا برودة، وكذلك السياحة عندهم في فصل الخريف يتفقدون حال الذين دعوهم في فصل الربيع، وعندما وصل الشيخ البوزيدي إلى قرية المحافيظ واجتمع أهل القرية عليه شكا سيدي الموفق بن عمر من اللصوص الثلاثة فسأل الشيخ اللصوص الثلاثة هل صحيح ادعه عليكم سيدي الموفق ابن عمر فأجابوا بأنها اتهامات وليست له حجة، فأجاب الشيخ رحمه الله تعالى صحيح كما قلتم يا أبنائي كما هو شرعا الحجة على من ادعى ولكن اليمين على من أنكر، فهل تقسمون بالله أنكم أبرياء من هاته الإتهامات فأجابوا كلهم نعم يا سيدي نعم يا سيدي ! وهناك كشف الشيخ أمرهم قائلا توبوا إلى الله وأشار إلى أحدهم أنت من نزعت الحجارة من يدك التي أردت أن تضرب بها زوجة سيدي الموفق بن عمر وقد أخذتكم وأنتم لا تبصرون حتى طلع عليكم الصباح، ثم أردف الشيخ بالقول إن اليمين الغموص هو القسم بالله على الكذب في حال التعمد فهو أقبح عند الله من هاته المخالفة، لأنه يؤدي بصاحبه إلى الردة وهو الكفر بالله بعد الإيمان فيحبط الله جميع أعمال الخيرات وتصير هباء منثورا فأي المخالفة أحق عصيان الله أم الكفر بالله؟ فالمعصية تكفر بالله؟ فالمعصية تكفر بالتوبة إلى الله فأطلبوا العفو من أخيكم سيدي الموفق بن عمر واستغفروا الله إن الله غفور رحيم، وفعلا اعترفوا بجرمهم فتابوا إلى الله وطلبوا الصفح من سيدي الموفق ابن عمر وهو الذي لا يرد عنده جاه الشيخ، وأخذوا الطريق عليه والأوراد وعاشوا وماتوا ذاكرين بفضل الله عليكم عملا بقول الله تعالى:ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة" صدق الله العظيم .

فتأمل أيها القارئ الكريم في هذه الشخصية" سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي" .

وذات يوم كان سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي وسيدي المقدم ابن مولاي لقرية عتبة وهو دوار بلدية يلل ولاية غليزان وهو سيدي بوزيدي بن مولاي حفيد لسيدي الطاهر بن حوى البوزيدي .

كان يسيران على أقدامهما مشيا ينتقلان من دوار إلى دوار يدعوان الناس إلى الله فلما وصلا إلى قرية من القرى ليدعواهم إلى الله لم يرحب بهما أهل القرية ورموهم بالحجارة وأطلقوا عليهما كلابهم ليصدوهما عن دخول القرية فابتعدا شيئا عن القرية وجلسا تحت الشجرة يستظلان بها ولما غربت الشمس رجع سيدي المقدم بوزيد بن مولاي

إلى القرية مصحوبا بعلبة كبيرة من حديد يستخدمها (كقلال) ودخل يغني بأعلى صوته في قصيدة غزالية تهيج بالأفراح أسماع هؤلاء الغافلين عن الله فهرعوا إليه وتسابقوا ظنا منه أنه شيخ مداح ما يسمى بشيخ السماع وهو معروف عند أهل البادية وهو الشيخ الذي ليس له جوق موسيقي ولا مزمار ولا آلة أخرى موسيقية فيجعل هذه العلبة جنب أذنه اليمنى وينظر إلى السماء ويجيب بالطول والعرض حلقة المتفجين وهو ينادي بأعلى صوته بألحان بادية التي يتغزلون بها وهي محبوبة عند أهل البادية، فالتفوا حوله حينما سمعوا تلك الألحان صغارا وكبارا أهل القرية فتكلم كبير القوم قال أرجوك أن تسمح لنا سوء مقابلتك أول ما نزلت بنا اتهامناكم وظننا أنكم من هؤلاء الذين يأكلون أموال الناس بالباطل وباسم الدين ولم نعرف بأنك شيخ مغني الرجاء منكما أن تقضيا أياما وليالي عندما عدة حفلات من زفاف وختان لصبياننا فأكرموه غاية الإكرام وقدموا له ما طاب ولذ من المأكولات والمشروبات ثم استأذن سيدي المقدم سيدي بوزيد بن مولاي أهل القرية ليأخذ شيئا من هذا الطعام لصاحبه وهو الشيخ سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي فلما وصل إلى الشيخ وبعدما أكل الشيخ وشرب وقص عليه القصة استأذنه هل يرجع إلى أهل القرية فقال نعم لأنهم اقبلوا عليك فأجاب سيدي المقدم الشيخ فقال حاشا يا سيدي الشيخ بل أقبلوا على علبة من حديد فارغة .

ورجع سيدي المقدم إلى أهل القرية وهو يداعب عواطفهم بالأغاني الغرامية البدوية ولما كانوا في غاية النشاط والبهجة والسرور توقف الشيخ المغني قائلا لأهل القرية أليس من سوء حظكم وأسوء حالكم أنكم طردتم شيخا عارفا بالله من كبار المحققين صاحب الشريعة والحقيقة وكل من تعلق به وتوسل به إلى الله عز وجل، خيمت عليه سعادة الدارين، وأقبلتم على علبة فارغة ومغنيها فارغ فاستبدلتم الفراغ بالعامر بالخير والظلمات بالنور والشقاء بالسعادة والخيالات بالحقيقة، وعندئذ شعر أهل القرية بأنهم قد ارتكبوا سيئة عظيمة لا تكفرها إلا التوبة إلى الله سبحانه عز وجل فطلبوا من المقدم بأن يأتيهم بالشيخ قال والله لا أفعل بل اذهبوا أنتم إليه واستسمحوه ورجعوا به إلى قريتهم فجعلوه وسيلة إلى الله وأصبحوا من الذين أنعم الله عليهم بالخير .

ومن الكرامات أيضا الواجب عليّ أن نقيدها في هاته الوريقة ذلك الحوار الذي جرى بين سيدي الحاج بن اسماعيل المستغانمي من مريدي سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي وصهره سيدي الحاج محمد العشعاشي التلمساني المنتمي إلى الشيخ سيدي محمد الهبري المغربي وكل منهما أي المريدين (يثني على شيخه بالثناء الجميل وهذا من صفات المريدين الصادقين لمشايخهم)، ولما كان سيدي الحاج أحمد بن اسماعيل فانيا في شيخه البوزيدي التي لا تحصى ولا تعد، عزم سيدي الحاج محمد العشعاشي أن يزور سيدي الشيخ البوزيدي ليطلع على حاله عيانا ولا يكتفي بالسماع وفعلا جاء سيدي الحاج محمد العشعاشي زائرا مرفوعا بمريدين من كبار مقادم سيدي الشيخ محمد الهبري ولكن أثناء الطريق قال بعضهم للبعض إن زيارتنا هذه للشيخ البوزيدي على سبيل الإطلاع والمحص في حقيقة ولايته فإن كان من المقبولين عند الله المؤيدين بنصره فإنه يأتينا عند فطور الغذاء بمأكولة خاصة لكل منا واشترطوا وبيّنوا لبعضهم البعض الغذاء المختار من كل منهم وكان في لقائهم سيدي الحاج أحمد اسماعيل وأتى بهم إلى الشيخ سيدي البوزيدي فلما وصل الوفد رحب بهم الشيخ وأدخلهم إلى منزله وذهب إلى زوجته قائلا لها هذا سيدي الحاج محمد العشعاشي ورفيقاه من تلمسان فهل لك شيء أقدمه لضيوفنا فردت عليه قائلة كيف تستدعي أهالي تلمسان وأنت ليس لك في بيتك بصلة وقالت بصوت عال سمعه الضيوف، (وكان سيدي الحاج محمد العشعاشي يقسم بالله لقد سمع زوجة سيدي محمد البوزيدي عندما يحكي هاته الكرامة) فبينما نحن جلوس مع الشيخ في مذاكرة شيقة على عجائب قدرة الله التي لا يعجزها شيء في الأرض ولا في السماء كأنه يشير إلينا على ما أبطنّاه في سر أنفسنا فإذا بقرع على باب منزل سيدي حمو الشيخ فخرج وأتى بطبق فيه أكلة للذي اشترطها وجعلها بين يديه وقال هذا لك سيدي كما طلبته، وللمرة الثانية يقرع على بابه فيخرج الشيخ ويلأتي بطبق فيه الطعام المطلوب كذلك يجعله بين يدي طالبه ويقول له هذا لك كما اشترطته علينا ثم في المرة الثالثة كذلك حتى وصل إلى كل منا ما اشترطه وتحققت رغباتنا نحن الثلاثة وعلمنا علم اليقين أن سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي من الراسخين ومن المشايخ الكمل المؤيدين بالعناية الربانية وطلبنا منه الدعاء الصالح واستأذنا في الإنصراف، فدعا لنا بالخير والصلاح ثم انصرفنا .

ومن الكرامات التي وقعت لجدي سيدي الطيب بن طه والد والدتي والعم لأبي كان جدي سيدي الطيب بن طه رحمه الله تعالى في طفولته مبتدئا في حفظ القرآن وفي ليلة من الليالي نظمت مأدبة كبيرة فاجتمع طلبة القرآن ومشايخ وعلماء وفتحوا في تلاوة القرآن جماعة وكان سيدي الطيب إذ ذاك لا زال لم يحفظ القرآن كله فخرج من حلقة تلاوة القرآن وجلس مع العوام الذين لا يقرؤون فتهجموا عليه باللوم والتوبيخ أنت شريف من أبناء سيدي بوزيد ولا تجتهد في حفظ القرآن كفلان وفلان مشيرين إلى الذين كانوا في سنة ويحفظون القرآن، فأنت كسول لئيم تكره التعليم ولا يرجى منك خير إلأى آخره فازداد غما على غم ولمل رجع إلى منزله وأصبح الصباح قال لوالدته إني ذاهي إلى زيارة أختي المتزوجة أزورها بقرية كذا ... فهل لك شيء من هدية أوزاد لأدخل على ابنتك السرور، فجمعت له والدته رحمها الله ما لذ وطاب من المأكولات المتنوعة فأخذ تلك الفقه متوجها إلى المغرب الأقصى وكانت محطة رحلته مدينة طنجة فمكث بها عدة سنوات حتى انقطع خبره ويئس منه سيدي الطيب بن طه إلى أخيه الكبير سيدي محمد بن طه المقدم للشيخ سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي بقرية سيدي خطاب بولاية غليزان يخبره فيها بأن الله قد فتح عليه، في هذه السنين الثمانية بحفظ القرآن بالروايات السبع والتفقة في الدين ولم يبق له إلا الرجوع إلى ذويه وأهله ولهذا يطلب منه أن يبعث له بحوالة تغطي له مصاريف الرجوع إلى الوطن الحبيب فجاء سيدي محمد بن طه بهذه الرسالة إلى الشيخ سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي قائلا للشيخ سأبيع الفرس وأبعث بثمنها إلى سي الطيب ليعود إلينا فقال له الشيخ لا تفعل والطيب سيعود الله به سالما .

ثم يروى سيدي الطيب لأهله ما جرى له بمدينة طنجة فقال: فبينما أنا في المسجد الذي أطلب العلم فيه حتى قوي عزمي كأنما قوة تجذبني إلى زيارة ميناء مدينة طنجة فبينما أتجول فإذا بي أسمع صوتا يناديني يالطيب يالطيب فلما التفت رأيت رجلا متكئا على كرسي طويل بزي تركي أي لباس الأتراك فسألني على نسبي فقلت من أبناء سيدي بوزيد ثم سألني مرة ثانية أوتريد أن تذهب إلى مدينة وهران فأجبته نعم يا سيدي بسرعة كدت لا أصدق هل أنا في يقظة أم منام فرد علي إن السفينة قد ذهبت إلى مدينة وهران وستعود يوم الأربعاء فستسافر فيها إلى وطنك إن شاء الله، فرجعت إلى المسجد مبتهجا

مسرورا حامدا الله وشاكرا له على هذه الملاقة بهذا الرجل الكريم قال فرجعت إلى الميناء مساء الثلاثاء لا في يوم الأربعاء كما وعدني فيه الرجل الكريم فلما وصلت إلى الميناء وجدت نفس الرجل على هيئته فقال لي يالطيب لقد وعدتك يوم الأربعاء فما أعجلك، فقلت يا سيدي والله خشيت أن أتأجر عن الموعد وستنطق السفينة ولن أكون من ركابها المسافرين فأخذ بيدي وذهب بي إلى الخباز واشترى لي خبزتين كبيرتين وذهب بي إلى تاجر آخر في المواد الغذائية فاشترى لي عسلا وزبدة وذهب بي إلى صانع الشاي فأمره ودفع له الأجرة مسبقا مقابل الشاي حتى قلت يكفي وأعد لي مكانا أنام فيه وفي صبيحة الأربعاء عند الضحى وجدت نفس الرجل يتفاوض مع قائد الباخرة فدفع له الثمن وقال له خذ هذا إلى مدينة وهران فأخذت متاعي وصعدت على مدرج الباخرة وأنا مغمور بالفرحة لم ألتفت إلى السيد الكريم فأشكره على صنعة الجميل فنادني يالطيب نسبك نسبي أي نحن كلنا من أبناء سيدي بوزيد ولكن رست بنا الباخرة في ميناء الغزوات وأنا ظننت أن هذه وهران فنزلت بها مسرعا نتيجة فرحتي بالوصول إلى وطني الحبيب فلما وصل وقص القصة التي وقعت بينه وبين الذي تحمل عنه مصاريف السفر قال سيدي محمد بن طه لأخيه سيدي الطيب ذلك الرجل الكريم هو سيدي الشيخ محمد بن الحبيب البوزيدي جزاه الله خيرا على هذه الصنيع الجميل فحينما أردت أن أبيع الفرس وأبعث بثمنها لك أمرني أن لا أفعل قائلا سيعود الله بالطيب إن شاء الله، فإذا تأملنا في هذه التصرفات لسادتنا الصالحين من إغاثة المخلوقات المتعلقين بهم في مشارق الأرض ومغاربها فذاك بسر من أسرار الله تعالى علمهم الله إياه ولم يفشوه لأحد يفعلون الخيرات ويكتمونها حتى على الذي استغاث بهم لئلا يفتتن الناس بهم وينسبون إليهم القدرة والتأثير ويخرجون من دائرة التوحيد وهذا بالنسبة للعوام، وأما بالنسبة لسادتي الصالحين فلقد أمنهم الله على سره وأجب عليهم الكتمان والمحافظة عليه وعدم الإفشاء به إلا لأهله وذويه أي الراسخين الثابتين في حضرة التوحيد حتى قال الصحابي الجليل سيدي عبد الله بن مسعود وثت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرين من العلم وقر أبثه بين الناس ووقر لو أبوح به لقطع مني هذا الحلقوم، ولقد صدق من قال من باح بسر الله فقد باء بغضبه، ورحم الله شيخنا سيدي أحمد العلاوي إذ يقول:

عملنا على كتم الحقيقة وصونها

ومن صار سر الله أخذ بالشكر .

قلبي لا تغفل عظم وبجل

إياك تعْجل تفشي سر الله

كتم الحقائق حفظ الوثائق

حسن العلائق بحضرة الله

ومما يبهر العقول وتندهش منه النفوس الأبية وتهتز له الأرواح النيرة ويضرب أروع الأمثلة في ايمان هؤلاء الرجال الكاملين الذين خصهم الله تعالى بالتوحيد الخالص ويحمدون الله في البأساء والضراء لا تزعزع أواصر ايمانهم الاحداث المؤلمة، لا يرون الفاعل في الأشياء إلا الله تلك الواقعة المؤلمة لسيدي محمد بن الحبيب البوزيدي في مصيبة ورزية ابنه الذي قتل خطأ في احتفال المولد النبوي رميا بالرصاص !كما هو معلوم كان يقام في مدينة مستغانم الإحتفال بالمولد النبوي من أول ليلة شهر ربيع الأول إلأى ليلة الثاني عشر من هذا الشهر المبارك وكل يعبر على فرحته ومحبته لسيد الوجود صلى الله عليه وسلم ففي المساجد والزوايا تدرس السيرة النبوية وتتخلل الجلسات الأناشيد الدينية في مدح خير البرية من همزية وبردة والبرنزجي إلى آخره والعامة تحتفل بالشوارع بنقر الطبول والمزامير والبارود ويقيمون حلقات حلقات، ففي احدى الحلقات قتل خطأ بأسلحة نارية سيدي محمد بن الشيخ سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي فلما حضر سيدي الشيخ محمد بن الحبيب البوزيدي إلى مصرع ابنه ورأى ابنه ملقى على الأرض ودمه ينزف قال له أحد الحاضرين :سيدي تعالى أرك قاتل ابنك، فرد عليه سيدي الشيخ بهاته العبارة "اذهب يا كلوفي فإن قاتل ابني أعرفه وهو الذي حكم على كل نفس الموت" وحمل ابنه ميتا وأقيمت له جنازة ولم يرفع أي شكوى ضد قاتل ابنه ميتا وأقيمت له جنازة ولم يرفع أي شكوى ضد قاتل ابنه ودفنه محتسبا بقول الله تعالى:" وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون" وإني إن تكملت عن صبر سيدي الشيخ ابن البوزيدي على المكاره وتحمل الأذى والكف عن الأذى فهذه ميزة العارفين بالله إذ

يعتقدون أنه مهما كان المظهر جماليا أو جلاليا فمصدره واحد وأنّ الفاعل الحقيقي أحد وهو الله سبحانه عز وجل ويعتبرون ذلك امتحانا من الله وابتلاء فيصبرون ولا ينتقمون لأنفسهم .

ذات يوم وقف أمامه رجل في السوق على مرأى ومسمع من الناس، والشخص يعرف بأنه مقدم على مغرور مثله إذا ادّعى المشيخة وما دفعه إلى القيام بهذه الفعلة النكراء في حق الشيخ سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي إلا محبة واخلاصه لشيخه المغرور لأن شيخه كان يكنّ العداوة والبغضاء للشيخ سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي ومن ثم رباه على سوء الأخلاق فبئس الشيخ، والحادثة والحادثة على النحو التالي :

شتم هذا المقدم أو على الأصح المهدم الشيخ سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي بكلام فاحش وقبيح، ثم بصدق على وجه الشيخ فما كان من الشيخ إلاّ أن مسح وجهه متملكا أعصابه عملا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم" ليس بالصرعة إنما الشديد من يملك نفسه عند الغضب" أو كما قال عليه الصلاة والسلام نعم إن السادة العارفين بالله أقوياء بالله ورسوله، وكذلك عملا بقوله تعالى:" والكاظمين الغيظ والعارفين عن الناس والله يحب المحسنين" ولكن الله عادل ويجزي كلا من الظالم والمظلوم بالعدل والإنصاف ولما صبر الشيخ كان الله هو المدافع عنه .

وصدق الله العظيم إذ يقول : " إن الله يدافع عن الذين آمنوا" فما مضت إلا ليلة واحدة حتى ابتلى الله هذا الظالم بسرطان في وجهه وفي نفس الموضع من الوجه التي وقعت بصقته على وجه سيدي الشيخ محمد الحبيب البوزيدي، فلم ينفعه أي علاج حتى مات وصورته مشوهة عافانا الله والمسلمين أجمعين .

هناك مستهزئ آخر بسيدي حمو الشيخ ! كان هذا الرجل من كبار التجار بالسويقة بحي تجديت كان كلما مر عليه الشيخ وعلى حين غفلة من أمره يرميه بالمفرقعات فحينما تتفرقع يذكر الشيخ الأسم الأعظم الله الله فيعجب المستهزئ هذا المنظر ويسليه ويقهقه ملء ضاحكا مستهزئا بسيدي شيخ الشيوخ، كذلك الشيخ لم يقل شيئا ولم يرد على هذا الظالم ولو بكلمة واحدة، وقعت هذه الواقعة بالنهار واحترق متجره بالليل ولم يبق لهذا المستهزئ شيء، فسبحان الله أحكم الحاكمين أعدل العادلين وأنصف المنصفين .

وأما الكرامات التي وقعت بعد انتقاله إلى الآخرة إلى جوار ربه فهي لا تحصر بعدد وإنما أقتصر على ذكر البعض منها، ومنها ما ذكره سي الحاج بن اسماعيل كما هو معلوم أن هذا التالي كان من كبار التجار من مدينة مستغانم وله دكاكين ومخازن للبضاعات التجارية ففي ليلة من الليالي جاءت جماعة من اللصوص قاصدين المخزن المطمر ولما وقفوا عند باب المخزن وحاولوا أن يفتحواه انفتح الباب على مصراعيه وظهرت للصوص صورة الشيخ سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي على هيئته المعروف بها هو يعاتبهم قائلا ألا تتقوا الله؟ أتخذعون أخاكم؟ وكررها ثلاث مرات ، عندئذ استحى اللصوص فأغلقوا الباب وذهبوا، ولما أصبح الصباح ذهب رئيس جماعة اللصوص إلى سي الحاج أحمد بن اسماعيل وبعدما سلم عليه وأثناء الحديث الذي جرى بينهما، قال رئيس اللصوص أبشرك إن أمنتني، فقال سيدي أحمد عليك الأمان التام، فرد عليه رئيس اللصوص نعم الشيخ شيخك فهو حريص عليك وعلى متاعك في الممات كما كان في الحياة وقص عليه القصة، فرد عليه سيدي أحمد بن اسماعيل بقول الله تعالى: " الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله" صدق الله العظيم .

ثم أقسم بالله ما شككت في أمر شيخي بأنه محمدي رباني (أي قائم بما جاء به سيدنا محمد بالتشريع فعندئذ أكرمه الله تعالى بالحقيقة فيسمى عندئذ ربانيا في اصطلاح القوم)ومما وقع حديثا للأخ في الله السيد الفاضل المتفاني في محبة أهل الخير المفتقر إلى الله والغني به ذاك الشاب الزكي النقي سيدي بوزيان بن محمد ود غيري الساكن بحي حيدرة الجزائر أطال الله أجله وبسط في عمره ورزقه، قال لي ذات يوم في منزله أنه قد رأى رؤيا وحينما أراد أن يعبر على ما رأه احمر وجهه وفاضت عيناه بالدموع وكان من حين إلى حين يغلب عليه الحال فيسكت بعض اللحظات ثم يواصل الكلام فيما رآه في رؤياه، وهي كما حكاها لي كا يلي: لقد رأى في المنام أنه جاء هو وأبوه إلى زاوية سيدي حمو الشيخ بمستغانم، قال فلقيتنا وفتحت لنا الباب جعل الله الزاوية كبيرة فسيحة مملوءة بالفقراء الكبار وبعد هنيهة قلت لنا تعالوا أركما بين الشيخ سيدي حمو الشيخ فانطلقت بنا وفتحت لنا الباب في محل غير الأول فرأينا فيه جمهوا غفيرا من الصالحين وعند الإنصراف نادتني ابنة سيدي حمو الشيخ يابوزيان أترك ابنتك زينب عندي وثم بعد ذلك

خذها، انتهت الرؤيا ثم قال لي بعد الرؤيا بثلاثة أيام وقعت الواقعة لقد سقطت ابنتي زينب من الطابق الثاني أو الثالث من عمارة موجودة أمام مسكني إلى الأرض سالمة لم تصب بسوء أو أذى فحمدت الله على ذلك، وقلت هذه من كرامات سيدي حمو الشيخ رحمه الله تعالى وجعل الجنة مأواه .

ولنكتف بهذا وأما الكرامات التي أجراها الله على يده سواء في حياته أو بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى فهي لا تحصر ولا تعد، فذلك تأييد الله ونصره لهؤلاء الرجال الذين تفضل عليهم بفضله لما كان في باطنهم من الخير الذين تفضل عليهم بفضله لما كان في باطنهم من الخير وحبهم للناس أجمعين وسعيهم من أجل الصالح العام والنصيحة لكافة خلق الله.

ولقد طهر الله قلوبهم من الحسد والأنانية وشر النفس اللوامة، فخلد الله تعالى ذكرهم، وأما الكرامة فما هي إلا شهادة الله لعباده الصالحين بأنهم قد صدقوا وأخلصوا له تعالى في جميع حركاتهم وسكناتهم وأقولهم وأحوالهم وأتهم قد ذكروه في جميع المشهودات لديهم، فاستغرقوا في بحر الوحدة فلم يكن يحجبهم حاجب عن صنع الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن كفؤا أحد" هو الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم". صدق الله العظيم .

وهم في حياتهم فلا يظهرون للعامة ولا يدعون أنهم من المقبولين في حضرة الله ولا من مستجابي الدعوات عند الله ولا يطلع أحد من العباد على علاقتهم الخاصة بينهم وبين الله، فلا يخاطبون العامة إلا بما هو مقبول شرعا (أي بالشريعة) وهم أشد الناس خوفا من الله إذ جعلوا نصب أعينهم قول الله " فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون" فهم على حذر ووجل أن يكونوا من المدعين فيكتمون أمرهم وشاع في مصطلحهم عند مماتنا تظهر حياتنا مصداقا ما جاء في القرآن حكاية عن دعاء سيدنا ابراهيم عليه السلام وعلى سيدنا محمد أفضل الصلاة وأزكى التسليم" واجعل لي لسان صدق في الآخرين" صدق الله العظيم، كذلك أهل الله تعالى ففي حياتهم يوجد لهم الحاسد والناقد والقادح لأن المعاصرة حرمان وبعدما يغيبون جسدا وأشباحا، يشهد لهم الودود والحسود بأنهم كانوا على هدى من الله، وقد قصرنا في حقهم فياليتنا عاملناهم المعاملة الآنقة بقدرهم ولكن هذا لا ينفع ولا

يدفع لا يشفع وجزى الله كلا بما يستحق من الجزاء، إن كان خيرا فخيرا وإن كان شرا فشرا، ولنرجع لقول الله تعالى " واجعل لي لسان صدق في الآخرين" وعلى حسب ما جاء في تفسير القاضي ناصر الدين البيضاوي واجعل لي لسان صدق في الآخرين .

جاها وحسن صيت في الدنيا يبقى أثره إلى يوم الدين ولذلك فما من أمة إلا وهم محبون له مثنون عليه، أو صادقا من ذريتي يجدد أصل ديني ويدعو الناس إلى ما كنت أدعوهم إليه وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والآية الكريمة المذكورة أعلاه تشير إلى حسن الختام الذي يختم الله حياة أهل وداده كما جاء في قول الله تعالى" إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمان ودا" والمدار في الحياة الدنيا والمقصود منها حسن الختام ورحم الله قاضي بيروت يوسف بن اسماعيل النبهائي حيث جاء في ختام همزيته في مدح خير البرية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم :

لا أبغي قدري ولا قدر شعري

وبقدر المعطي يكون العطاء

ويكفيني اصلاح ديني مع دنيا

ي وحسن الختام فيه اكتفاء

والحمد لله لقد أحسن الله عاقبة شيخنا سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي حيث بدأ دعوته إلى الله بمدينة مستغانم وحده متصديا لجميع الإستفزازات والدعايات الشنعاء واضطهادات ماكرة من طرف حاسديه الذين لم يبغوا درجة الرجال الكمل صابرا الصبر الجميل محتسبا بالله متوكلا عليه مخلصا له في القول والعمل فما لبث إلا قليلا حتى استجابت لدعوته الأفراد والجماعات من الغرب الجزائري وشمال المغرب وأشعت الدعوة البوزيدية بأنوارها الشرق الأوسط بقدوة سيدي محمد بن يليس رحمه الله تعالى الذي أخذ الطريق عن الشيخ سيدي محمد الهبري ثم أخذ عن الشيخ سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي الذي أذن له في المشيخة والدعوة إلى الله وذلك ما أقره الشيخ سيدي محمد ابن يليس رحمه الله تعالى في قوله :

بالهبري ثمّ المراد رقاني إلى الأوراد

ومقام الإرشاد من البوزيدي مأخوذ

فكل من أخذ عن الشيخ البوزيدي كان من العارفين بالله حق المعرفة وعمّ كل أرجاء الكرة الأرضية مريده الأنجب صاحب الفهم السليم الأثقب، والرأي السديد الأصوب، ومعدن الحقيقة ومعلم الشريعة، ذلك الطود الشامخ الراسخ الأزهر الرافع المقام الأكبر سيدي ومولاي أحمد ابن المصطفى العلاوي قدس الله سره ونور ضريحه ورزقنا هديه وبركته في جميع ما نأمله ونأطح اليه حيث يقول اعترافا بالجميل لشيخه البوزيدي رضي الله تعالى عنهما .

بشرني روح الأستاذ	البوزيدي عين المداد
إذ قال لي باجتهاد	بعد أن قسم بالله
نسبي من جهة بدني	للقبيلة العلاوية
والإتصال الروحاني	بالحضرة البوزيديا
ارحم ربي الفئتين	وارحم مني ما بقي
من فروع النسبتين	إلى منتهى البريا
قد سقينا كؤوس فيها حكمة	من يد البوزيدي قطب الأنام
فنلنا من فيوضاته نسما	بها فزنا وحزنا ما يرام
البوزيدي به نعني	أستاذي قلبي سقاها
عليه لا زلت أثني	والثنا لا يتناهى
نوصيك بما أوصاني	أستاذي قبل المنيا
البوزيدي كان غاني	على جميع البريا

ولما آن أوان الفراق وجاء الأجل المحتوم وكان الشيخ محتضرا على فراش الموت، والفقراء كلهم حوله، ومنهم الشيخ العلاوي، وكان الشيخ سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي ينظر إلى ابنه سيدي مصطفى وكان في حالة الجذب نظرة شفقة وأسف وأسى فتفطن الشيخ سيدي أحمد العلاوي إلى نظرة الشيخ لإبنه فعلم أن الشيخ مهتم بأمر ابنه، فهمس الشيخ العلاوي في أذن شيخه يا سيدي أكفني من جهة المولى عز وجل وسأعاهدك أني سأكفل سيدي مصطفى إلى أن يلقى الله بكل احترام وتعظيم كما كنت أعاملك ولا زلت، والحمد لله حينئذ، استبشر وجه الشيخ وانطلق محياه، وتلألأ وجهه بالسرور ثم قبضه الله

تعالى في هاته الحالة مطمئنا بلقاء الله ولا شيء يتأسف عليه وصدق الله العظيم إذ يقول في أمثال هؤلاء " إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا" (من لقاء الله ولا هول سؤال القبر ولا النشر والحشر) ولا تحزنوا (على ما خلفتم من بنين صغار قصر فالله يتولاهم) وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون نحن أوليائكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون نزلا من غفور رحيم" صدق الله العظيم .

ثم بعد ذلك انتشر خبر وفاة سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي وذلك يوم 25 أكتوبر 1909م، فوفدت الوفود من كل حذب وصوب من سادات مشايخ وعلماء وأساتذة للتعزية وحضوره الجنازة، فاتفق كل المريدين الذين أخذوا عن سيدي محمد البوزيدي على أن يصلي إماما على جنازة سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي الشيخ سيدي أحمد بن المصطفى العلاوي وهذا ليس صدفة وإنما لما علموا من شأن سيدي أحمد العلاوي ونبوغه وجزمه وحزمه وعزمه والفتوحات التي كانت له في عهد شيخه إذا ألف الكتب " المنح القدسية" وكتاب "مفتاح الشهود في مظاهر الوجود"، وشرح وجيزة على قصيدة شيخه " سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي " لما فنيت الفنا ما بقيت إلا أنا فسر شيخه محمد البوزيدي وكان يقبل هذه الكتب ويقول الحمد لله لم أترك مستغانم خالية بل عامرة ولقد غرست شجرة يشمل ظلها العالم بأسره إشارة لحضرة الشيخ سيدي أحمد العلاوي رضي الله تعالى عنه، فصلى الجنازة ورثاه بقصيدة من البحر الطويل رائعة عظيمة تحكي عن عظمة مقام سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي وهي كما يلي :

لله أشكو حزني لفقد عرش الولا

فقيد الورى طرا والله كذا العصر

فقيد حل الثرى من بعد احتوائه

على الكل فكيف به غمه الغمر

فقيد كان فوق الكل والكل دونه

فيا عجبا كيف أحاط به القبر

فما حاط هذا القبر كلا وإنما

أخذ منه رشفا فنال به فخر
ولتبكي عين الفتى دما وبكاؤها
لفقده أسفا وليس لها وزر
فالوزر جمود العين عن فقد مثله
والدمع فيه أجر لعمري هو الأجر
وليبكه عرش الله واكرسي والسما
ولتحي به الثرى فصار لها ذخر
ويا سما أسفا فهل ينفع العلا
فلو كنت من أرض لكان لك الفخر
ولا غروا إن شح الزمان بمثله
شمائله جلت وضاق به الصدر
حليم كريم خافض الطرف زاهد
هشوش بشوش دام في وجهه البشر
صفوح عن العذاب لم يترك خلفه
من قال فيه زور أو رأى فيه كبر
حريص عن الورى يجود بسره
ولا يرجو منهم تعظيما ولا أجر
فلا غضب لديه ولا قبض عنده
خليله إن زل يلتمس له عذر
فمن ذا الذي رأى أو عاين مثله
تالله لواحد جمع فيه السر
بغيتي منيتي عمدتي ثم غايتي
كفيني كفيلي في المهالك والمكر
البوزيدي محمد له من محمد
ميراث الإبن للأب ولنا منه وفر

عليك رحمة الله من بعد جمعنا

ألم بنا الفراق وقضى الأمر

سلام عليك والسلام من الحشا

يعم بشر الطيب والند والعطر

ناديتك والفؤاد يخلج من النوا

فهذا مداد اعين قد خضب السطر

كتبت بدمع العين مزج بالأسا

مزيل بالتبريج وليس فيه صبر

ولست أبكي الفراق من حيث كنهه

ولكن رسمك في العين له قدر

جزاك إله العرش بالقرب والرضا

وحاط بك التعظيم والخير واليسر

خلقت رجالا في الطريق لصونها

فكنت لها بدرا وهم لها زهر

ولا تحسبن الموت ذهبت بسره

حاشاه وإنما مهدت له السر

أخذنا عنه علوما فزنا بصونها

ولما حنّ الزمان تعين الجهر

فيا أهل وده فزتم بقربه

فأنتم ملوك الأرض للبيض والحمر

أيا رب يا رب الأنام ويا ثقتي

فانشر على قبره من عفوك ستر

وصل على أصل الأصول ملجأنا

نصيري مجيري في المواقف والحشر

ودفن عن يمين محرابه بزاويته الكائنة بحي تجديت المعمورة بالنور الساطع والضياء اللامع ألا وهو القرآن العظيم والذكر الحكيم وإقام الصلوات والجمعة وحلق العلم والذكر، ثم جعل له ضريح وحول فيه كما هو الآن وذلك في سنة 1912م فأصبح ملجأ للقاصدين من الدارسين الذين يطلبون مدارسة القرآن وحفظه والسنة النبوية (من دراسات تصانف اللغة والفقه)، ويتبرك بزيارته الزوار من كل العالم الإسلامي بما فيه العرب والعجم، وبحمد الله وبفضله ومنه على هؤلاء الرجال الصالحين الذين أخلصوا لله تعالى فيخلد الله تعالى ذكرهم في هذه الدنيا كما جاء في القرآن الكريم من دعاء سيدنا ابراهيم عليه السلام" واجعل لي لسان صدق في الآخرين" وكما قال الله تعالى: " أذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون" صدق الله العظيم، وذكر الله لعباده الصالحين بالتبخيل لا نهاية له على مر الزمان فالأجيال تتعاقب وجميعهم يذكرون الصالحين الذين سعوا في سعادة العباد والبلاد بالخير والثناء عليهم بالجميل وهذا قد تحقق بحسن عون الله تعالى في إطار انجاز مركز ثقافي إسلامي واجتماعي طاقة استيعابه ألف دارس يستفيدون من نظام داخلي إن شاء الله بعدما ضاقت زاوية سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي بالوافدين عليها طلبا لحفظ القرآن والسنة النبوية وعلى اللوحة التذكارية لهذا المركز الثقافي الإسلامي مكتوب عليها(بسم الله الرحمان الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آه رجال صدقوا ما عهدوا الله عليه)وبعد هذا المركز الثقافي الإسلامي والإجتماعي لسيدي محمد بن الحبيب البوزيدي المعروف بسيدي حمو الشيخ 1824م/ 1909م لما فنيت الفنا ما بقيت إلا أنا في الحس وفي المعنى أنا الطالب المطلوب .

ومن أبرز الشخصيات الدينية الذين جاءوا من المغرب الأقصى لتادية التعزية نيابة ذعن مشايخ الزوايا وعلماء المدرسين بمسجد القرويين بفاس الشيخ سيدي عبد الحي الكتاني وهو من أكبر المحدثين بالمغرب فكان في ضيافة الفقراء وقام سبعة ليال وقد قضاها كلها بمنزل الرجل الصالح الراسخ الثابت على العهد لشيخه البوزيدي سيدي أحمد بن اسماعيل، ولما بالغ الفقراء في اكرام الشيخ سيدي عبد الحي الكتاني وهذا من باب الأداب والأخلاق وستر العرض من الواجبات، حاول الشيخ سيدي عبد الحي الكتاني أن يجدد العهد للفقراء ومريدي سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي ظنا منه هؤلاء الفقراء هم

أسهل للإنقياد والإنضمام إلى طريقته، حينئذ قام سيدي الحاج أحمد ابن اسماعيل قائلا بعد أن قسم بالله فوالله الذي لا إله إلا هو لو تنزل الملائكة من السماء وقالوا لنا عليكم بزيد أو عمروا ولقلنا لهم أنتم وشأنكم بزيدكم وعمركم، أما نحن فقد تم الله علينا النعم بالرسوخ في الحضرة الأحدية والمحمدية وجزى الله خير سيدي البوزيدي الذي أوصلنا إلى مقام عين اليقين وبعد هذا ليس يقين بعد اليقين .

عندئذ التفت الشيخ عبد الحي الكتاني إلى رفيقه الجالس عن يمينه وهو السيد بوبكر الساكن بقرية مزغران قرب مدينة مستغانم الذي كان من كبار الأثرياء وكانت له صلة قرابة ومصاهرة ونسب بالشيخ عبد الحي الكتاني قائلا له: انظر ماذا أنجب الشيخ البوزيدي، اعجابا منه بموقف الفقراء الصلب وباخلاصهم وودهم لشيخهم لا يبغون به بدلا وهذا شأن الذين يراعون الميثاق ويحافظون على العهد والود، وصدق الله العظيم إذ يقول:"ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسنؤتيه أجرا عظيما " صدق الله العظيم، وأحسن ما أختم به هاته الوريقات كما جاء في المقدمة التحدث والإستشهاد بأبيات من المنظومة المسماة العقد الفريد في مناقب البوازيد لصاحبها الشيخ عاشور الملقب كليب الهامل رضي الله عنه .

يقول العبد الفقير الحقير الخامل عاشور بن محمد الملقب كليب الهامل بلغة الله تعالى بركته أشرف المقاصد المأمل هذه قصيدة دينية من البحر الطويل مشتملة على عدة اثنين وثمانين بيتا من أحسن المقاول تسمى العقد الفريد في فضائل البوازيد جوابا عن قصيدة طويلة وأرجوزة وردتا على من العالمين الظريفين الأديبين الشريفين السيد محمد بن الطاهر المزوزي البوزيدي والسيد محمد بن قيطون الأيوبي البوزيدي الثناء الحميد والدعاء الصالح الجزيل جزاء على قصيدتين في فضل عصاة أشراف على سائر الأطراف وبعد جوابهم في الفاصل استطردنا الكلام إلى مدح كافة البوازيد يملأ إليهم من الولاء الأكيد والحب فيهم الشديد وفي الحديث مولى القوم منهم ومن أحب شيئا أكثر من ذكره رضي اللله تعالى عنهم أجمعين وأثبت ولاءنا إليهم وحبنا فيهم ونفعنا بهم آمين وهي:

أبرق على وادي جدي يصعد

فبشر أن الحي بالربى مسعد
أم ابتسمت ليلى فأبرق ثغرها
وغار التي أن نار خذ متورد
أم أنهل نوره من منارة خالد
يدل على أن البلاد ستسعد
أم انبعثت صدرية حسنية
حميراة بوزيدية تتغمد
إلى زورة العبد المحب بقلبه
ولهجته لأشراف لا يتردد
خصوصا مواليه البوازيد خيمت
بوادي جدي برهة تتزود
بزاد الرضى والإذن من خالد النبي
وجيرته حتى غدت تتأيد
تجلت على جلالة فأجلها
بخاتم عز قطبها المترصد
وفي الدوسن أن راست غراها فروخت
سباسب شيخ عرفها يتصعب
وعمّروها في العامرية بسرهم
رجال بوازيد ضراغم شرد
تخر الجبال الراسيات لعزهم
ولولا التقى يحنى لهم ثم يسجد
ومرت على برج العلى فتعززت
بعز ابن عزوز على من له يد
وأطلق قطب الزاهدين عنانها
بطولقة الطلق فيجدبها الغد

فأضحت على زهرة بسكرة التي

لها في جميع الكون باع ممدد

بعز رجال لا يعدون كثرة

مناقبهم في جبهة الدهر تسرد

وظلت وباتت بينهم تطلب الرضى

فقالوا لها يا سري بصدقك تمهد

فصارت صباحا تقطع الأرض دفعة

على عربيات الحديد وتجهد

يحث قواها أو رعان على حدا

وعزمي له يعنو الحسام المهند

شريفان من غر البوازيد نسبة

ولكن كلا بالخوالد مخلد

سلالة مازوز وأيوب من إذا

يقولان كن للشيء لا بد يوجد

سلالة رب التاج سرا وجهرة

أبي الأربعينات التي تتعدد

أبي زيد الشمس الممدة بالسنا

على بعدها لكن على القرب تصهد

سلالة ادريس المسربل غريه

سرابيل هددت كل من يتهدد

سلالة ختام الخلافة جهرة

وأول قطب في الدواوين يعهد

فتى الحرة الزهرا وحيدرة البرا

ومجمعهم روح الوجود محمد

أتذبل أغصان وماء في عروقها

وهل رأيتم الأشبال لا تتأسد

محمد بن الطاهر الطاهر الحلا

مدار الملا باب الولاية المحمد

حليف العلا عقل وفضل وعفة

وحلم وإلطاف ورأي مسدد

وعلم به ساد الخوالد كلهم

ولولاه لم يظهر لهم فيمشهد

ولا غرو في بن الطاهر الطاهر الحجا

مدار النجا طود العلوم الموطد

بقية أفراد جحا جحة لهم

بناكل وقت نعمة تتجدد

وثانيهما الفحل الهمام محمد الفحل

ابن قيطون القطن الذي يتلبد

على حالة الإحسان والسلم والرضى

وإن حركته غيرة يتأسد

هو القوم والجيش العرمرم وحده

هو السهم والسيف الصقيل المسرهد

هو الشاعر الثعبان والشعر سمّه

فمن سمّه إن لم يمت يتهود

ولكنه ترياق كل مصيبة

إذا حب يا سعد الذي يتودد

تبارك من سما كما يا محمد

ن في الشأن حتى الإسم في اللفظ مفرد

على حسن أخلاق وأحسن صورة

بوجه وجيه مشرق يتوقد

على البعد تمتد العيون له وإن
تداني تولت حيث لا تتمدد
إذا بأن فيكم يا خوالد ذاوذا
فقوموا وقولوا جاء جاء محمد
بذا بن قيطون قص الرجز الزائي
يحاكه حسنا جوهر وزبرجد
والماهر ابن الطاهر العلم الرضى
طويلية منها يقام ويقعد
وليتها ذاك الرقيق في اسمه
ولكنه غليظ العرض أولد
ولا غرو إن تأتي البوازيد مثلهم
فإن أعاجب البوازيد أزيد
وها أنا ذا عاشور مولاهم الذي
يوالي إليهم والولي موكد
ففي الخبر المشهور عن سيد الورى
تواتر مولى القوم منهم يعدد
ولكن كليب الهامل السائل الندى
وما في الورى مثل البوازيد يقصد
فما الناس إلا كالمعادن كلها
ونحن البوازيد اليواقيت توقد
وما الناس إلا كالليالي مواسما
غيرا ونحن ليلة القدر ترصد
وما سائر الأشارف إلا جواهر
ونحن البوازيد اليتيمة تفرد
على كل الأرض سيما القرب أهلنا

بنا تأمن الأرض البلاء وتسعد
لعمرك منا آل عثمان كلهم
سلاطين أرض الروم فيما يقيد
ومنا بأجبال البرابر قوة
ومنا بسهل العرب ما لا يحدد
وأكثر أقطاب الورى وهداتهم
وأجوادهم منا ومن هو مقصد
فمنهم ومنهم ثم منهم ومنهم
محمد بن القاسم المتردد
ولو جمعتنا بقعة لتجمعت
لنا الأرض حتى لم يكن للسوى يد
شمائلنا الحرب الكريمة في الورى
وطعم القرى حتى إذا العام أجرد
تملى جفانٌ كالجواف ورائها
تعس قدور راسيات تنضد
علينا دليل الضيف بالليل نارنا
وأما نهار كلنا يتفقد
لنا في الجود اسمان لا بد منهما
على حسب الواعي لمن يتودد
إلى الجود نادوا يا بوازيد تغنم
وللحرب نادوا يبلازيد تنجد
إذا ما فطمنا الطفل حد سلاحه
وعدا على الأعداء ما يعتد
سلوا الأرض عنا إن في كل بقعة

لنا وقعة أقوالها تتوعد

وللنار مذين بقتل وغيره

ومقتلونا ظلما ونحن نخلد

على الجنة العليا بجاه أصولنا

ولولا الوفا عشنا إلى حيث نزهد

لنا شيمة حفص الجوار فجارنا

كأنفسنا فيما يغيب ويشهد

وإن طمعٌ يبدو تغيب كلنا

وإن فزع يبدوا له نتحشد

لنا وبنا ومنا وفينا وإن ترد

مفاخرنا حدث عن البحر يرعد

وحاصل ذكر إن البوازيد كلهم

فإما شجاع بالسلاح مغمد

وإما كريم يرسو الضيف للقرى

وإما ملك سانس يتهدد

وإما همام العصر سلطان وقائد

وإما تقي بالتقي يتعبد

وإما ولي كامل يرشد الورى

وإما عليكم للعلوم مجرد

وإما فتى حامل قرءان ربنا

وإما إمام وخطيب مصر هد

وحاصل نسوان البوازيد عفة

وعمل وحسن والحياء المصر مد

أولئك سادتي فجئني بمثلهم

إذا قام بالسادات يفخر مشهد

سلام على أشرف أعمدة الثرى

ولولاهم أختل النظام المنضد

خصوصا موالينا البوازيد عائد

عليهم جزيل العود والعود أحمد

سلام على أشرف آلي سلامة

ولا سيما جار النبوة يعهد

ومدهم الحاج المؤمل بينهم

إذا عضة المشتى وصفرة اليد

سلام على أشرف آلي خليفة

سلام على آلي الجروني يورد

سلام على وادي الجودي وأهله

ولا سيما ذاك الطراف الممدد

تمت بعون الله الحميد قصيدة العقد الفريد في مناقب أشراف البوازيد صبيحة يوم الجمعة الثاني والعشرين من شهر محرم الحرام الفاتح عام 1314هـ وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين والحمد رب العالمين .

ولتتميم الفائدة فلنجلس جميعا حول مائدة المعارف واللطائف والإشارات الربانية المشيرة إلى الأحدية السرمية والجبروت والملكوت والناسوت الدالة عليها الأنوار المحمدية لمن اعتصم واقتدى بسيد الوجود محمد بن عبد الله خير البرية الداعي إلى حضرة اله الفردية الأحدية الصمدية تلك المعاني الموجودة في نظم الشيخ سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي من القصائد التي جادت بها قريحة في ديوانه منها ما طبع ومنها ما لم يطبع إلى الآن، وهي تنطوي على محبة قائلها وشوقه إلى اله ورسوله امذيلة بالخوف والرجاء والمتوجة بالأنس والسكينة والإطمئنان المحوطة بالقيود الشرعية وآداب الأولياء مع الله وسيد الأنبياء سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، فقال رضي الله عنه وقدس سره:

أيا روضة العشاق قد هيجت مهجتي

أيا حضرة الإطلاق فيضت صبابتي

سقتني كأس الهوى من طيب الخميرة

جلوت بها السوى عن نور البصيرة

سقتني كؤوس الحب محقت آنيتي

صرت فرح ونطرب تانها بسكرتي

ملكتني في الآفاق ورضت بزورتي

رفعت عني الرواق تعظيما لسطوتي

غرست غصن الهوى في قلبي ومهجتي

وعندي منها نشوة كانت قبل نشأتي

شربت من المعنى كؤوسا صافية

فإذا قلت أنا ولا فخرة

ويقصد بهاته المغاني والإشارات سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي الحضرة الإلاهية ويرمز إليها ويشير ولقبها بروضة العشاق قد هيجتي مهجتي" ثم يعرب عن هذه الروضة ليست جنة غناء بأنواع الزهور والورود .

فقال (أيا حضرة الإطلاق) لأن اله سبحانه عز وجل ليست له أولية ولا بداية ولا نهاية فقال حضرة الإطلاق لا تتقيد بقيد زمان ولا مكان فالزمان محدث والمكان محدث وكان الله ولم يكن شيء معه، ثم يقول " فيضت صبابتي"، فلما اشتد شوقه ومحبته إلى الله وهاج فؤاده فاضت عيناه بالدموع والدموع شهود على ما في قلبه من محبة ربه فأمام هذه الإبتهالات والتقرب إلى اله تعالى بأنواع القروبات فأكرمته هذه الحضرة فقال رحمه الله:" سقتني كأس الهوى من طيب الخميرة"، ويقصد بكأس الهوى كأس المحبة وهذا إكرام من الله تعالى لعباده السعداء أن يشغل قلوبهم بمحبته وقذف الله فيها محبته لأنه سبق حب الله لهم قبل محبتهم له وفقا لقول الله تعالى :" يأيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم" صدق الله العظيم، والشاهد م نالآية هو قول الله تعالى :" يحبهم

ويحبونه" سبق حب الله لهم ثم أحبوه بذلك الحب، ورحم الله سيدي أبي مدين رضي الله تعالى عنه إذ يقول:

أهل المحبة بالمحبوب قد شغلوا

وفي محبته أرواحهم بذلوا

إلى آخره، وأما قوله" من طيب الخميرة" يقصد بها المعرفة القدسية والأسرار الربانية .

ويقول الشيخ التشتوري قدس الله سره:

طاب خمر المدام في الخلوات

واسقيني يا نديما في الآنيييات

عتقت في الدنات من قبل آدم

أصلها طيب من الطيبات

خمرة تركها علينا حرام

ليس فيها إثم ولا شبوهات

وكما بينها ووضحها سيدي عمر بن الفارض إذ قال:

شربنا على ذكر الحبيب مدامة

سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم

لها البدر كأس وهي شمس يديرها

هلال وكم يبدوا وإذا مزجت نجم

ولولا شذاها ما اهتدينا لحناها

ولولا سناها ما تصورها الوهم

ولم يبق منها الدهر غير حشاشة

كأن خفاها في صدور النهى كتم

وكما قال سيدي أحمد العلاوي رضي اله تعالى عنه :

خمرة يحتاج الكل طرا لشربها

كما يحتاج السكران لمزيد السكر

فصرت لها ساق وكنت عاصرها

وهل لها من ساق سواي في ذا العصر

فإن العقل البشري إذا غمرته هذه اللطائف والأنوار ينتقل من عالم الحس إلى العام الروحاني، فبالنسبة لأهل الحس يظهر له تصرفات العارف بالله كانها غريبة، ليست تصرفات البشر لأنه لا يجعل قيمة للفنانيات والماديات، ويزهد فيها ويطلب بعلو همته المعقة بربه السعادة السرمدية الأبدية والغنى المطلق الموجود في رضوان الله .

وليست الخميرة كما يفهم لفظها العوام وهو المزيل للعقل والمسكر وكل مسكر حرام وما اتفق عليه العلماء " ك مأسكر كثير فقليله حرام ولو نقطة"، وأما قوله " جلوت بها السوى عن نور البصيرة" فكل من سقاه الله تعالى بكأس وداده ولطائف محبته لا يبغي باله بديلا ويرى جميع الأشياء ما سوى الله من المهلكات الفانيات فلا يهتم بما كان عديما قبل وجوده ويصير إلى العدم والفناء بعد وجوده فأوله عدم وآخره عدم، فلا تتعلق همة العارفين بالله بالعدم، وقالوا ما في الوجود إلا آيات الموجد لهذا، قال: " جلوت بها" أي الخمرة التي سقاه الله بها وهي المحبة المعرفة لحقيقة الأشياء والمقصود من لفظ السوى " أي كل الأشياء ما سوى الله " عن نور البصيرة " أي عين القلب وم يقل البصر يتعلق بالظواهر والبصيرة المتنورة ما ترى إلا الله فالبصر معلق بالخلق والبصيرة معلقة بالخالق.

كما قال سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ليلة الإسراء والمعراج حينما أكرمه الله تعالى وعرج به فوق القلم والعرش وسدرة المنتهى وقربه إلى حضرته سبحانه عز وجل كما جاء في كتاب الله من سورة النجم، فاستوى وهو بالأفق الأعلى ثم دنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى عبده ما أوحى " ما كذب الفؤاد وما رأى" ومحل اشاهد من هذه الآية الكريمة ما كذب الفؤاد ما رأى فقال صلى الله عليه وآله وسلم انعكس بصري في بصيرتي فرأيت من ليس كمثله شيء وهذا لا يتنافى مع قوله تعالى لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير البصر لا يرى إلا بنور الله .

إلى جهة من الجهات الستة " أمام خلف يمين شمال فوق والتحت" واله لا يتقيد في هذه الجهات الستة ولهذا قال صلى الله عليه وآله وسلم :" انعكس بصري في بصيرتي

فرأيت من ليس كمثله شيء وكذا البصيرة لا تدرك إلا بنور الله سبحانه عز وجل ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور "، ثم انتقل يقول سقتني كؤوس الحب، وهذا تكرار لما سبق أو مترادفة للبيت سقتني كأس الهوى، والتكرار في البلاغة يفيد التأكيد ومن التأكيد يفهم أن صاحب القول على يقين بما يصرح به، وأما قوله " محقت آنيتي"، يشير إلى أن جميع القواطع والموانع والسدود الموجودة ما بين العبد ومولاه قد محقها الله تعالى بفضله من آنيته: ويقصد بالآنية مراحل النفس الأمارة واللوامة وحتى نكران الذات ولهذا لما زالت عنه جميع الموانع بينه وبين الله ولم يبق له حجاب وفتح له الاب قال :" صرت فرح ونطرب تائها بسكرتي"، وأما قوه" ملكتني في الآفاق ورضت بورتي " ويقصد بملكتني التحكم والقدرة على سيطرة نفسه في جميع أحوالها ومراحلها إلى آفاقها وبحر النفس بحر هائج وأمواجه كالجبال متلاطمة إلا من رحمه الله تعالى فينجي سفينته إلى الشاطئ الأمين، ولذلك أشار إلى هذا الشاطئ الأمين وقال : ورضت بزورتي أي إلى موطن رضوان الله تعالى .

رفعت عني الرواق: أي الحجاب المانع وتحطيم السدود إلى آخره، تعظيما لسطوتي والمقصود بسطوتي سطوته على نفسه أي ليقويه الله تعالى بنصرته وبهذا يتحكم ويقمع الميولات النفسية .

غرست غصن الهوى في قلبي ومهجتي: غصن الهوى فرع من شجرة المحبة تلك الشجرة التي أشار اللله تعالى في محكم تنزيله " ومثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها" صدق الله العظيم ، آلا وهي الكلمة الطيبة التي أشرقت بنورها جميع الخلائق وهي لا إله إلا الله، في قلبي ومهجتي: وما في قلوب العارفين بالله إلا نور لا إله إلا الله، أي لا معبود بحق إلا الله لا انقياد ولا طاعة إلا لله .

" وعندي منها نشوة كانت قبل نشأتي" : أي قبل وجودنا لقد أكرمنا الله تعالى بالتلبية ف عام الأرواح والإعتراف لله بالأحدية والفردانية الصمدية وذاك قول الله تعالى " وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ".

"شربت من المعنى كؤوسا صافية " : وكل من عرف الله كان من المغترفين وشرب شرابا عذبا فراتا زلالا صافيا وسقاه الله تعالى بكؤوس التشريع والتحقيق فصفا مشربه وطاب وقته ارتاح باله واطمئن قلبه بالواردات الخيرية والإلهامات الربانية.

" فإذا قلت أنا أنا ولا فخرة" : أي هذا من باب التحدث بنعم الله لقوله تعالى " وأما بنعمة ربك فحدث" ولا يقصد التطاول والمفاخرة والخيلا، والكبرياء فهذه الصفات مبغوضات عند الله تعالى، وحاشا أن يصدر مثل هذه الصفات من عباد الله الصالحين وعباد الرحمان الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما " أي رأى فيهم كبرا أو رماهم بروز .

كل عابد يهوى طالب الآخرة

وانا كل السوى طويت بلمحة

كل فقيه عليم بالفرض والسنة

وأنا علمي عظيم ماله نهاية

أنا ساقي الشراب والخمرة خميرتي

أنا رافع الحجاب والحضرة حضيرتي

كم منجاهل آتى ودخل طريقتي

صار من أهل المعنى ملوك العناية

اخلع نعليك وافن إن شئت ملاقتي

إن أردت تعرفنا أنا عين الحياة

أنا عين للتحقيق يا من تطلب رؤيتي

أنا منهاج الطريق والكون في قبضتي

الكون كسران كما جاء في الآيات

هباء في هواء عند أهل الحقيقة

من بحار الجبروت قد ظهرت نقطتي

تلونت بالناسوت وسر الملكوت

ثم واصل يقول :

كل عابد يهوى طالب الآخرة وأنا كل السوى طويت بلمحة

إذا كان العباد بعبادتهم يطلبون الآخرة أي ما إذا وما طاب في الجنة كأنما يعبدون الله طمعا في جنته وهذه رحمة من الله تعالى بالعباد إذ جعل لهم دافعا وحافزا، ومن العباد يعبد الله خوفا من ناره وهذا الصنف كذلك قد سبقت لهم العناية الربانية حيث كان الخوف لهم رقاية من النار ثم صنف آخر من عبّاد الله الصالحين يطلبون على حسب همتهم العالية المعلقة بالله فقط، فعبادتهم ليست معللة بطمع أو خوف وإنما هي نابعة من المحبة، يعبدون الله محبة فيه وتعظيما له ولهذا قال :" *وأنا كل السوى طمعا أو خوفا*".وأقصد بعبادتي وجه اله لا غير .

" طويت بلمحة " أي سقط من عيني كل ما سوى الله، ورحم الله السيدة ربيعة العدوية شهيدة الحب الإلاهي رضي الله عنها حيث قالت :

كلهم يعبدون من خوف نار
ويرون النجاة حظا جزيلا
أو بأن يسكنوا الجنان فيحظوا
برياض ويشربوا السلسبيلا
ليس لي في الجنان والنار رأي
أنا لا أبغي بحبي بديلا
قد تخلل مسك الروح مني
وبذا سمي الخليل خليلا
كل فقيه عليم بالفرض والسنة
وأنا علمي عظيم ماله نهاية

والعلماء يتفاوتون كما قال الله تعالى " وفوق كل ذي علم عليم" على حسب الإستيعاب للمعلومات وعلى حسب الدراية بمعنى التصوير بالتعبير المطابق للصورة وهو فهم لحقيقة المفهوم، فذاك هو الفقه فقه يفقه إذا فهم الفهم الحقيق لمعنى الصورة وعلى حسب الرواية والمقصود على من تتلمذ بمعنى الشيوخ الذين أخذ عنهم هاته الرواية " المعلومات" وكل

عالم له اختصاص في مادة من المواد العلمية فلا يستطيع أن يحيط بجميع الإختصاصات " أي المعلومات" .

إذ لا بد لكل شيء بداية فمن أخذ علمه عن اليشر مثله وذلك هو العلم المكسوب لا بد أن يبذل فيه المجهودات والتضحيات للتعلم، لأن ليس له طريقة أخرى للتعلم إلا بواسطة تعلم الكتابة والقراءة ووسائل الإيضاح وضرب الأمثلة والتطبيق وما يجمع تحت الإلقاء والإستماع والإنصات بهذه الوسائل لعل المتعلم يحصّل المعلومات عن معلمه وهذا دائما في اختصاص محدود ولن يقف أحد من المتعلم أو المعلم على نهاية اختصاصهم .

وشتان ما بين الذي يأخذ العلم عن البشر والذي يأخذه عن الله سبحانه عز وجل.وذاك هو العلم الموهوب، وذلك الذي جاء في قول الله تعالى :" وعلمناه من لدنا علما"صدق الله العظيم، فهذه المدرسة تسمى بمدرسة التقوى كما جاء في محكم التنزيل"واتقوا اله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم " صدق الله العظيم.وإذا كان المعلم في هذه المدرسة الله سبحانه عز وجل وعلمه أحاط بجميع المعلومات وهو بكل شيء عليم، فالمتخرج من هذه المدرسة يكون علمه عظيما يفوق جميع المعلومات ولهذا قال " كل فقيه عليم بالفرض والسنة" وهو ما افترضه الله تعالى على عباده والسنة ما بينته وشرحته ووضحته من اعتقاد وأقوال وأعمال .

ولا بد أن نشير في هذا المعنى للإمام الشافعي رضي اله تعالى عنه يقول :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي

فأرشدني إلى ترك المعاصي

وقال إنّ العلم نور

ونور الله لا يُهدي لعاصي

ثم واصل يقول :

أنا ساقي الشراب والخمرة خميرتي

أنا رافع الحجاب والحضرة حضيرتي

فبعدما تتلمذ عن شيخه سيدي محمد بن القدور الوكيلي إذ جاء في نظمه :

أولهم شيخنا الكامل محمد بن القدور الوكيلي

على يديه كان لي وصالي وشربت من كؤوس الجمال
حتى وصلت غرف الآمان منال أشياخ التداني
صار فياضه مني يسري ومن عنصره مياه تجري
بلغني الفنا مع البقا ونوره مني ملا الأفاق

وبعدما نهل وارتوى من هذا المشرب أصبح ساقيا لهذا الشراب بمعنى دليلا على معرفة الله تعالى ولقد سبق لي أن قلت في معنى الخمرة والشراب والسقاية أنها المعرفة بالله .

فتولى مقام المشيخة بأمر من شيخه ولهذا سهلت عليه وتيسرت لديه وتنوعت الكيفيات ومهر في الدعوة إلى التوحيد المطلق الخالص ولهذا صارت هذه الخمرة خميرة لديه .

وأصبح رافع الحجاب أي الموانع على المتوجهين إلى الله المقتدين به وصارت الحضرة حضيرتي كذلك، وفعلا كل من توسل به في طلب الله إلا وأوصله آمنا مأمونا كما قيل " المأذون مأمون" .

ثم بين هذا المعنى فقال:" كم من جاهل آتى "، أي كم من غافل عن الله أتاني ودخل طريقتي صار من أهل المعنى من المفتوح عليهم، الذين نوّر الله لهم القلوب والبصائر وأيقظ فيهم الضمائر فأصبحوا من المستعدين للقاء الله بالعمل الصالح في كل وقت وحين، فساماهم بملوك العناية، ثم يخاطب المريد القاصد وجه الله وينصحه " اخلع تعليك وافن"

اخلع: كل ما يشغل بالك عن الله سبحانه عز وجل من المغريات والفتن." وافن" عن هاته الصفات" إن شئت ملاقتي" أي بمعنى إن شئت صحبة العارفين بالله تخلّ عن صفاتك وتحلَّ بصفاتهم.

ثم يبين " إن أردت تعرفنا" أي حقيقة الصالحين جعلهم الله تعالى ينابيع للحياة الأبدية لأنهم ماتوا عن الحياة التي يتأثر بها العامة من مأكل ومشرب وملذة إلى آخره.

فأحياهم اله تعالى به لا يسعون في حياتهم إلا إلى ما يريده الله تعالى فذابت إرادتهم في إرادته فأصبح ليس لهم إرادة إلا ما أراده الله منهم، وذاك هو البقاء المعروف بعد الفنا أو بصيغة أخرى البقاء هو التحلي والفناء هو التخلي التحلي بالصفات المحمودة شرعا والتخلي عن الصفات المذمومة شرعا" ولا يكون التحلي إلا بعد التخلي، كما قال رسول

الله صلى الله عليه وآله وسلم :" لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعًا لما جئت به " أو كما قال عليه الصلاة والسلام .

ولهذا أشار سيدي احمد العلاوي رضي الله تعالى عنه إذ قال :" حياتهم دامت بحياة الله" .

أنا عين للتحقيق يا من تطلب رؤيتي
أنا منهاج الطريق والكون في قبضتي

ثم يخاطب يا من أردت أن تتحقق بالله فاقصد عين التحقيق فأنا عينها أي خلفني الله في مقام الإرشاد.وتبين الحقيقة للقاصدين لها .

" يا من تطلب رؤيتي" والمنهاجية بالعصرانية البيداغوجية لمعرفة التحقيقي قد مكنني الله منها." والكون في قبضتي": ما أراده أن يكون من الممكنات في حدود الشريعة إلا والله مكنه فيه كأنما في قبضته ولا غرابة في ذلك فقد جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث القدسي " لا زال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه " إلى آخر الحديث .

ولهذا قال :

الكون كسراب كما جاء في الآيات
هباء في هواء عند أهل الحقيقة

ثم يشير أن هذا الكون الذي يتنافس عليه المتنافسون ويتحاسد عليه الحاسدون ويتباغض عليه الباغضون ويتقاتل عليه المتقاتلون فعند أهل الحقيقة يساوي لا شيء ولهذا قال الكون كسراب كما جاء في الآيات هباء في هواء عند أهل الحقيقة .

وأما مقصود العارفين بالله فهو أن يتسابقوا إلى العالم النوراني الروحاني تاركين وراءهم العالم الظلماني، فقال رضي الله عنه:

من بحار الجبروت قد ظهرت نقطتي
تلونت بالناسوت وسر الملكوت

كما هو معلوم ومعروف أن جميع المعاني الموجودة في الكتب السماوية المقدسة جمعت في القرآن العظيم ومعاني القرآن جمعت في سورة الفاتحة ومعاني الفاتحة جمعت في بسم الله الرحمان الرحيم ومعانيها جمعت في الباء.كما قال الله تعالى في الحديث القدسي :" بي كان ما كان وبي يكون ما يكون " ولهذا جاء رسم الباء سنة طويلة كاللام .

ومعاني الباء جاءت في نقطتها وما أظهره الله تعالى إلا نقطة الباء فيها أوجد عوالم العالمين وعند أهل التحقيق نقطة الباء هي النور المحمدي الذي خلق منه الله جميع الكائنات .

كما جاء في رواية جابر حينما سأل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على أول مخلوق خلقه الله فقال صلى الله عليه وآله وسلم : نور نبيك يا جابر.كما لقبه آخرون من العارفين بالله روح الوجود محمد صلى الله عليه وآله وسلم، فإلى هاته النقطة يشير سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي" من بحار الجبروت قد ظهرت نقطتي" والمقصود منها من حضرة الله قد ظهرت نقطة نورانية .

" نقطتي" وهو النور المحمدي وهو مقصودي وبغيتي .

" تلونت بالناسوت وسر الملكوت "

الناسوت : عالم الأشباح.

الملكوت : عالم الأرواح .

كما قال الله تعالى :" يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا" .

مريدي لك البشرى	أحفظ لي وصيتي	
	تأدب مع الفقراء	لتسقى من خمرتي
مريدي كونن حفيظ	حدود الشريعة	
	تمسك بها تفيد	كمال الحقيقة
يا خليلي قل الله	وّحده في الكثرة	
	لا ترى ما سوى الله	في كل كائنة
أنا لخلّي حفيظ	من كل بلية	

وفي بحار التوحيد أغرفته همتي

هذا اسمي يا لبيب قيد العبودية

محمد بن الحبيب البوزيدي نسبتي

وجدي رسول الله مقصودي وبغيتي

عليه صلاة الله صاحب المعجزة

تمّمت بحمد الله على ك حالة

لا إله إلا الله أفضل الكلمة

*مريدي لك البشري أحفظ لي وصيتي

تأدب مع الفقرا لتسقي من خمرتي

ولقد تضمن هذا البيت وما بعده نصائح وارشادات وتوجيهات الشيخ للمريدين، أو التلاميذ في هذه المدرسة الروحية التي أصبح يديرها شيخ الشيوخ سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي كأنه يقول بلسان حاله يا من تطلب الوصول إلى اله تعالى وتسقى بكأس وداده والمعارف واللطائف المعبر عنها بلفظ الخمرة قال فألزم الآداب مع الفقراء، وزبدتها هو الشعور بالإفتقار إلى الله تعالى في كل وقت وحين من حياة المريد، والمتصف بهذه الآداب إنما هو مستمد من مشكاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.القائل في هذا المعنى " أدبي ربي فأحسن تأديبي" هو صلى الله عليه وآله وسلم مصدر الإحسان ومنبع الأخلاق الكريمة ونموذج فريد للإقتداء به صلى الله عليه وآله وسلم في هذا المقام"الإحسان" .

أمّا الإحسان فهو لب التصوف الذي قال فيه سبحانه وتعالى:" أحسنوا إن الله يحب المحسنين"، وأما الفقراء فكثيرون وأما الذين يشعرون منهم بالإفتقار إلى الله فقليلون، أو بعبارة أخرى كما قيل:" اسائرون كثير والواصلون قليل"

مريدي كونن حفيظ حدود الشريعة

تمسك بها تفيد كمال الحقيقة

ومن أغلى النصائح هذه النصيحة المتمثلة في الوقوف عند حدود الشريعة، وهو رحمه الله وقدس سره ينصحنا بالمحافظة عليها إذ فيها التهديد والوعيد من الله تعالى في محكم

التنزيل" تلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه" لئلا نقع في سخط الله تعالى ولا نكون من المغرورين، كالذين يعتمدون على الأنساب مهما كان النسب والإنتماء إلى سلسلة الروح أو الصلب، ويقصد بذلك أبناء الصلب المنحدرين من نسب شريف، أو بسلسلة الروح كالمنتمين إلى المشايخ الربانيين والعلماء الصالحين، وهاته النصيحة هي نفس النصيحة النبوية لأقربائه عملا بقوله تعالى : " وأنذر عشيرته الآقربين " .
فقد جمع صلى الله عليه وسلم الأقارب ونادى فيهم يا فاطمة اعملي ولا تتكلي والذي نفس محمد بيده لا أغني عنك من الله شيئا ويا عاتكة عمة رسول الله ويا حمزة إلى آخر الحديث.

وإني لأتعجب من الذين يزعمون أن الحقيقة تغنيهم عن الشريعة، ومثل هذا هو الزندقة بعينها فالذي استغنى بالشريعة عن الحقيقة فهو ذاك اللم يكتمل حظه في مقام التحقيق، ومن جمع بين الشريعة والحقيقة فقد تحقق، فمن أراد أن يلج إلى عالم الحقيقة فلا بد أن يأتي من بابها ألا وهي الشريعة، كما قال الله تعالى:" وآتوا البيوت من أبوابها"، فهذا المعنى الذي أشار إليه الشيخ.

*يا خليلي قل الله وحده في الكثرة

لا ترى ما سوى الله في كل كائنة

يأتي هذا المعنى عملا بقول الله تعالى:" يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيما تحيتهم يوم يلقونه سلام وأعد لهم أجرا كريما " صدق الله العظيم.

وكما جاء في شروط الإيمان الثلاثة وهي الإعتقاد .....والنطق باللسان والعمل بالأركان) أي أن تكون ....طاعة الله، فذلك هو ذكرها، فيوصينا الشيخ الجوارح مسخرة ....لإجلاء المغريات والفتن من رحمه الله تعالى أن نذكر الله كثيرا .....وذكر القلب قلوبنا وعقولنا، وهناك ذكر اللسان وهو قولك ....دوام التفكر في الله والحضور مع الله والشعور بالله، ففي معنى الذكر قال سيدي أبو مدين رضي الله عنه: دوام الحضور ومشاهدة المذكور. ولهذا أشار الشيخ سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي بقوله" وحده في الكثرة"، ويقصد بالكثرة اختلاف المخلوقات على

اختلاف أجناسها وأشكالها، فالخالق لها واحد وهي تذكرك بالصانع الفرد الأحد الصمد"هو الخالق البارئ المصور " صدق الله العظيم، وهو معنى قوله رضي الله تعالى عنه:" لا ترى ما سوى الله".

لا تر في كل كائنة سوى سر الله ونور الله الذي أخرج هاته الكائنات من العدم إلى الوجود .

*أنا لخلي حفيظ　　　من كل بلية

وفي بحار التوحيد　　　أغرقته همتي

" والخلة" من معاني مصدرها اختلاط جنسين مختلفين حتى يصيرا جنسًا واحدًا لا تستطيع أن تفرق بينهما كالماء واللبن، كما قال صلى الله عليه وسلم:" المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل" ويكون ما بين الخلان الإتفاق التام وقواسم مشتركة كالعقيدة الواحدة والإتجاه بواحد والشعور الواحد والذوق الواحد بحيث يضمحل المريد في المراد، أو روح التلميذ في روح شيخه كما قال صلى الله عليه وسلم:" الولد نسخة من أبيه"كذلك التلميذ نسخة من شيخه وماذا يريد الشيخ من المريد؟ لا يريد منه إلا أن يكون ربانيا محفوظا محفوفا بلطف الله أثناء سيره إلى الله تعالى فيصرف عليه جميع البلايا كما جاء عنه" أنا لحلي حفيظ من كل بلية" والبلايا هنا بمعنى القواطع والموانع التي تحول بين السائر وبين الوصول إلى مقام التحقيق والمعرفة .

* وفي بحار التوحيد　　　أغرقته همتي

فهو ليس بخارج من دائرة التوحيد مهما اشتدت العواصف بالجلال أو الجمال، فإيمانه ثابت راسخ كالطود الأشم وذلك في حق المريد الصادق العاقد العزم على الوصول إلى معرفة الله.والأبيات الثلاثة الباقية إنما هي تعريف باسمه ونسبه حيث قال:

هذا اسمي يا لبي　　　قيد العبودية

محمد بن الحبيب　　　البوزيدي نسبتي

فلا بد لكل مريد من قائد يقوده إلى المقصود ودليل يدله على الله أثناء سيره يقيه هو أجس النفس، ووساوس الشيطان لتتم له العبودية، لأن العبودية لا تتم إلا بالفتح والمعرفة بالله حيث يجد فيها العابد نشوة ولذة وراحة.

وهكذا كان صلى الله عليه وسلم يقول حين يعالج أمرا متعبا"أرحنا بها يا بلاب"أي بالصلاة،ورحم الله سيدي البوصيري إذ يقول:

وإذا حلت الهداية بقلب نشطت في العبادة الأعضاء

وأما محمد فهو اسمه والحبيب اسم أبيه والبوزيدي نسبة إلى سيدي بوزيد الإدريسي الحسني ثم يعرب عن ذلك في البيت الآتي:

وجدي رسول الله مقصودي وبغيتي

عليه صلاة الله صاحب المعجزة

ثم يختم بحمد الله تعالى على توفيقه إياه للإفصاح عن هذه المعاني فيقول:

تمّمت بحمد الله على كل حالة

لا إله إلا الله أفضل الكلمة

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول:" أفضل ما قلت أنا والنبيئون من قبلي لا إله إلا الله ".

فاللهم أجعلنا من أهلها، الناطقين بها عند الممات والعاملين بها في الحياة بجاه صاحب المعجزات والحمد لله في المبدأ والختام.

وبعد هاته القصيدة قال رضي الله تعالى عنه وقدس سره :

وقفت بالباب ورفعت الحجاب فقال البواب أهلا وسهلا

ادن يا عاشق إن كنت صادق للسوى فارق تغنم الوصلا

ازداد حبي بنسيم القرب وتلاشى كربي لما تجلى

* تجلى ما كان في الأزل وبان تراه عيان يسقى ويملا

يقال "كل من لزم الباب بالآداب فُتِحَ له الباب" وباب معرفة الله والتحقيق كما سبق أن قلت هو المحافظة والعمل بالشريعة، والباب هنا يقصد به شرع نبينا محمد صلى الله عليه وسلم .

الغاية من التشريع ونهايته هي بداية التحقيق كما أن التشريع هو السير إلى الله والتحقيق هو السير في اله والمقصود بالسير في الله هو اكتشافات الأسرار النورانية الربانية الموجودة في كل الكائنات: حتى قالوا رضي الله تعالى عنهم: (ما من ذرة في

الوجود إلا وعليها اسم من أسماء المعبود).فإذا حصل الواقف بالباب على ذلك رفع الحجاب بينه وبين الله وناداه بواب حضرة الله بإذنه أهلا وسهلا:سهل الله لك كلَّ ما صعب، وذلّل لك العقبات فأصبحت بالأدب التام أهلا لحضرة الله ولكل حضرة أداب، وأداب حضرة الله الفناء في الله ليبقى بالله .

*أدن يا عاشق إن كنت صادق

للسوى فارق تغنم الوصلا

تقرب يا عاشقا للجمال المحمدي والإلاهي بأنواع القروبات المفترضة من الله والتي سنها الرسول صلى الله عليه وسلم، فاهجر الملل والنوم والكسل إن كنت صادقا "للسوى فارق " أي لما سوى الله أهجر واترك تغنم الوصلا أي الوصول إلى الله والغنيمة لا تكون لمغتنم إلا بالجهاد والمجاهدة في سبيل الله.

* ازداد حبي بنسيم القرب

وتلاشي كربي لما تجلى

من أيده الله تعالى ووفقه برضاه وهداه استنشق نسيم القرب، والنسيم وهو الهواء البارد النقي الذي يكون عند طلوع الفجر في أيام الحر.

فكلما تقرب العبد من مولاه وجد الله أقرب منه كما جاء في الحديث القدسي"منتقرب إلى بشبر تقربت إليه بذراع ومن تقرب إلي بذراع تقربت إليه بباع ومن جاءني يمشي أتيته مهرولا " .

ما أرحمك يا الله بالضعفاء في سيرهم إليك وما أحلمك وما أعظمك وما أكرمك يا الله فإن إكرامك غمر الوجود .

وتلاشي كربي لما تجلى

التجلي: وهو الظهور.

ومن تجلى الله عليه تعالى بالقبول فيما قدمه إلى الله تعالى بأنواع القروبات، أنزله الله تعالى في موطن عين اليقين، فيكمل ايمانه بالله تعالى، ويشفيه الله تعالى من علته ويشفي غليله مثلما أشار إلى ذلك الشيخ " وتلاشي كربي لما تجلى"

*تجلى ما كان: في الأزل وبان

تراه عيان: يسقي ويملا

تجلى ما كان في الأزل وبان

فيرفع الله الحجاب على بصيرة من شاء من عباده فيرون في اللوح المحفوظ والأزل ما قد قضاه الله تعالى وقدر.

تراه بالبصيرة المشار إليه "بالعيان"

يسقي أهل وداده ويملأهم نورا وسرا .

*يسقيك حقا ظاهر وباطن

تراه جهرا وإلا فلا

يسقيك حقا ظاهرا بتسخير جوارحك في طاعة ربك "وباطنا"

بأن يجعل قلبك معلقا به، ليس فيه سواه

تراه جهرا"

يتحقق فيك هذا الأمر على حقيقة ويقين لا على ظن ولا وهم .

" وإلا فلا"

وإلا فإنك لم تصل إلى موطن الوصول والأمان

*من أراد الشراب ورفع الحجاب

فليأت للباب قبل أن يغلى

يخاطب الشيخ رحمه الله تعالى عنه مريد الشراب وهي العلوم اللدنية كما عبر عليها بالخمرة والفتح الأكبر والمعرفة والمشاهدة هي رفع الحجاب الذي هو حجاب الغفلة عن الله تعالى، ونكرانه في كل مخلوقاته أو بعض مخلوقاته كأن يتبين له أن هذا خلقه الله وهذا والعياذ بالله لا، فيميل إلى هذا ويبغض ذاك ويتخذ كل من لم يوافق هواه عدوا له .

كما يشير سيدي ابن عاشر رحمه الله تعالى

*وجوده له دليل قاطع حاجة كل محدث للصانع

فبالنسبة لأهل الله فيرون تلك الصفات القدسية لله تعالى من إرادة وقدرة في مخلوقاته فيشاهدون أنوار هذه الصفات في الخلق ويعاملون كل المخلوقات على اختلاف مشاربهم

واعتقاداتهم بالمعاملة الحسنة عملا بقول الله تعالى " وقولوا للناس حسنا" أي كافة الناس بدون استثناء وقول الله تعالى " وأحسنوا إن اله يحب المحسنين"

*فليأت للباب قبل أن يغلى

فليات:إلى باب حضرة الله تعالى متمسكا بالشريعة والأداب كما أشرت إليه من قبل:أي قبل أن يفوته الآوان وذلك ما جاء عن الشيخ:قبل أن يغلى، أي يعز الوصول إلى الله تعالى بمعنى يجب على المريد التخلق بالأخلاق النبوية واتباع للسيرة المحمدية في القول والعمل باعتبار ذلك عين التصوف، وبعبارة أخرى فلينهض إلى الخير وصحبة أهله قبل أن يسبق له الإحتكاك بالغافلين وصحبتهم فكل خليل لخلانه يميل، وانهض لملء قلبك بالخير قبل أن يمتلىء بداء الغفلة، فيصعب معالجته واقتلاع الشر منه إلا ما رحم ربي .

فهذا معنى قوله " قبل أن يغلى"! أي انهض بالمبادرة الخيرية وبكر بها وإلا سيفوتك الوصول وتصبح من الذين قال فيهم العارف بالله سيدنا عمر ابن الفارض:

وليبك على نفسه من ضاع عمره

وليس له فيها حظ ولا سهم

*يأتي مقيد فاني مجرد

من طلب يورد يرضى بالقتلا

"يأتي مقيد" بقيود الشريعة ممتثلا المأمورات، مجتنبا المنهيات فهذه هي قيود الشريعة .

" فاني مجرد" فني عن نفسه وتجرد من جميع الصفات المذمومات شرعا.

" من طلب يورد" أي ينهل ويشرب من شراب القوم ويسقيه الله كأس وداده .

" يرضي بالقتلا " أي يقتل ما كانت نفسه تألفه مما لا يحمد شرعا. ثم يزيد رضي الله تعالى عنه المعنى تجلية وتوضيحا فيقول:

بقتل النفوس وفنا المحسوس

حضرة القدوس فيها يتولى

أي بقتل الصفات الخبيثة المكنونة في نفسه الأمارة بالسوء واللوامة، ويغيب عمّا تستأثر به العامة أو العوام وهو المقصود بالحواس فينبغي لحواسنا ألاّ تعمل إلا خيرا كاللسان لا يقول إلا خيرا لقوله صلى الله عليه وسلم" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر

فليقل خيرا أو ليصمت" أو يشغله بذكر الله والصلاة عن رسول الله صلى اله عليه وسلم أو بتلاوة القرآن، وعلى البصر ألاّ يسمعا بهما غتية ولا نميمة ولا وشاية إلى آخره ... .

وقس على ذلك ما بقي من الحواس، فلا يسخّر حواسه إلا فيما يحبه الله تعالى، ويرضاه، ويعطل فيها التصرف فيما لا يحبه الله تعالى، وبهذا يكون قد أفنى الشر من حواسه وجعلها منقادة لطاعة اله بفضله عز وجل، فتطهر حواسه ويكون حينئذ أهلا لحضرة الله القدسية العالية فيتولاه الله تعالى برحمته ولطفه وحفظه، فإذا كان الأنبياء معصومين فالأولياء محفوظون وإلى هذا أشار الشيخ"حضرة القدوس فيها يتولى"، ثم انتقل الشيخ رضي الله تعالى عنه من الأسلوب الإنشائي إلى الأسلوب الخطابي، فلما كان المريد غائبا عن هذه الحضرة الإلاهية كان ينصحه بالأسلوب الغيبي ولكن حين تطهرت سريرته، وتقدست نفسه وأهَّله الله تعالى إلى حضرته، انتقل إلى الأسلوب الخطابي وصار يخاطبه مباشرة لأنه أصبح من أهل هذا العالم النوراني فقال رضي الله تعالى عنه:

*تجلس يا مريد بساط التوحيد

مقام التفريد لك أنت الأعلى

المريدون الذين وفقهم الله تعالى إلى ما أشرت إليه سابقا من مخالفة النفس الأمارة وإقتلاع ما فيها من السموم القاتلة، واجتهدوا في تطهير أنفسهم بأنواع القروبات إلى الله تعالى،يجلسهم الله تعالى على بساط الأنس به وحده لا شريك له، ويهبهم التوحيد المطلق بحيث تصير جميع التجليات والمظاهر وتذكرهم بالله سبحانه عز وجل .

وجزى الله عنا سيدي أحمد العلاوي رضي الله تعالى عنه إذ يشير إلى هذا المعنى فيقول:

فغب عن الصفات وافن في ذات الذات

هذه تلونات مصيرها لله

أما قوله:

" مقام التفريد لك أنت الأعلى"

فيصبح من المفردين حيث جاء في الأثر فاز المفردون بكل خير وهي عقيدة الكمل في معرفة الله تعالى أو ما يسمى عند القوم وحدة الوجود ووحدة الشهود .

يوحدون الله تعالى بنوره الذي تفضل عليهم في جميع المشهودات فما أوجدها من العدم إلى الوجود إلا واحد أحد فهو الله تعالى .

*تصبر أنت الكل عنه لا تفعل

الفوق والأسفل منك تجلى

إذا اتصل الفرع بالأصل صار كله أصلا، إذا تقدست النفس وتنورت صارت روحا نورانية وأصبح صاحبها ربانيا وياء النسبة في رباني تعني تحقق نسبته إلى الله تعالى فيصير يرى بنور الله ويسمع بنور الله إلى آخر الحديث القدسي، وكما جاء في قوله تعالى:" ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعملون الكتب وبما كنتم تدرسون ".

أما قوله عنه " لا تغفل" فيحذرنا رضي الله عنه من الغفلة بمعنى كونوا حذرين، إياكم أن تقعوا في الغفلة عن الله سبحانه عز وجل، وذاك هو السلب بعد العطاء والطمس بعد الفتح أسأل الله تعالى السلامة.

"الفوق والأسفل منك تجلى"

وما فوق الفوق إلا سبحانه عز وجل بعلمه وما تحت التحت إلا سبحانه عز وجل بعلمه وما تحت التحت إلا سبحانه عز وجل علمه أحاط بجميع الأمكنة والازمة.

من أكرمه الله تعالى ونوره سبحانه عز وجل يظهر له منه ما في الفوق وما في الأسفل من الفروع والأصول والجزيئات والكليات وذاك معنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم "اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله " أو بعبارة أخرى يكرمه الله تعالى بعلم الغيب فيصبح ما غاب عن الناس لدي العارف مشهودا، فمن رفع الله عن بصيرته الحجاب يستوي عنده الغيب والمشهود، فليس هناك غيبيات بالنسبة إليهم .

هذا و قصدي وله نهدي

من أتى عندي يرى الجمال

بلسان الحال يقول الشيخ رحمه الله تعالى عنه ما مقصودي من دعوة الخلق إلى الحق إلا ليكونوا على يقين ويخرجوا من دائرة الريب والوهم .

أن الأشياء ليس لها تأثير في بعضها البعض وإنما يسيرها الله تعالى وفقا لإرادته وحكمته وما التأثير إلا لله سبحانه عز وجل، وعليه يصبح العارفون موحدين الله في

الكثرة وعلى اختلاف التجليات فيكرمهم الله تعالى بالتولية ويجلسهم على بساط الأنس ويوصلهم إلى مقام التفريد ويكرمهم الله تعالى بعلم الغيب .

"من آتى عندي يرى الجمال "

أي آتى بنية حسنة جازما وحازما في طلب الله عز وجل .

*أنا هو الخمّار   سقي الأبرار

كؤوس الأسرار   نور الجلالة

أنا هو الخمار: والخمرة سبق ذكرها أي المعرفة بمعنى أنا العارف بالله وأعرفه أي ساقي الأبرار، والبار هو الطائع لله أي ساقي الأبرار لا العصاة، كؤوس الأسرار نور الجلالة .

يتربى في قلوب الأبرار نور الهيبة والخشية من الله فهو المعبر عنه بالجلال وذاك قول الله تعالى" إنما يخشى الله من عباده العلماء" فهم عى حذر ووجل وخوف من الله تعالى أن يقعوا فيسخطه وصدق الله العظيم إذ يقول:" فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون" .

ثم انتقل يعرف نفسه أبي وجدي ابن البوزيدي من فرع الهادي بن عبد الله، لأنه شريف النسب منحدر من السلالة النبوية بن عبد الله، لأنه شريف النسب منحدر من السلالة النبوية ثم يصلي على رسول الله عليه وسلم ختاما لهذه القصيدة فيقول :

صلاة عنه   منه وله

تعظيما جاه   تاج الرسالة

عن الله تعالى صدرت ووجب علينا أن نصلي على رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم .

وكذلك يؤكد بأن هذا أمر من الله تعالى واتفقوا أن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبه ولو مرة في العمر وما زاد عن المرة فهو سنة له، أي لرسول الله صلى الله عليه وسلم أي لزيادة تعظيم وشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن نظمه أيضا قدس الله سره في نصيحته للمديرين وحرصا عليهم، ورغبة في ايصالهم إلى المعرفة والإشتغال بذكر الله:" ألا بذكر الله تطمئن القلوب" .الآية

قال الشيخ سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي رحمه الله تعالى:

* أيا مريد الله   أنعيد لك قول اصغه

إذا تلاحظ قولي   نوصيك لوجه الله

كن واله تايه   مسرور بذكر الله

في الإسم إذا تفنى   تصل لمسماه

إذا ذكرته بادر   بالجد والحزم ومعه

كن لله بالله   في الله والغير انسه

إذا ذكرت المولى   فاهتزت بذكر الله

جل في معنى الها   وحر في مسماه

غص فيمن تهوى   بالقلب والروح معه

غب في غيب الغيب   تغيب عما سواه

إذا ذكرته بالجد   ترى ما لا تراه

كل ما تهواه   موجد في ذات الله

"أيا مريد الله" بمعنى أيا من تريد أن تعرف الله معرفة اليقين والتحقيق للحضرة الإلاهية " انعيد لك قول اصغه" أوصيك بكلمات أحفظها واجتهد في العمل بها، " إذا تلاحظ من "الملاحظة" قولي أوصيك لوجه الله" إذا تمعنت وفكرت جيدا في قولي وفي هاته الوصية لا نرجو بها مالا ولا سطوة ولا سلطة بل هي لوجه الله خالصة ونرجو ثوابها وأجرها يوم الجزاء.

كن واله تايه   مسرور بذكر الله

فلا تكن من الذين يظنون أن ذكر الله تشمئز منه بعض الجماعات حتى أصبح بعض الذاكرين يستحقون من ذكر الله لأن هذا أصبح غريبا عند العامة وأصبح كل منذكر الله جهرا واسترسل في هذا الذكر لقبته جماعة الغفلة والمحرومين من ذكر الله تارة بالمجنون وتارة بالمدعى وتاة بصاحب أغراض طلب رزق وسلطة إلى آخره، ذلك من النعوت التي لا أساس لها من الصحة .

هكذا إذن أوصانا الشيخ رحمه الله تعالى سيدي الوزيدي بألاّ نتقيد بهذه القيود العنكبوتية." فقال كن واله"أكثر من ذكر الله وته على جميع الكائنات بهذا الذكر واعتز به وكن مسرورا أي مغمورا بالفرحة .

" في الإسم إذا تفنى تصل لمسماه" فإن أسماء الله الحسنى تنقسم إلى ثلاثة أقسام اسم الذات وهو " الله" وأسماء الأفعال كالخالق والارئ والمصور وأسماء الصفات كالرحمان والرحيم ويعجبني ما شرحه سيدي محمد المداني القصيبي في كتابه المسمى" رسالة التنوير"، فاختلف فيه على عشرين قولا أصحها أنّه غير مشتق موضوع لذاته تعالى الجامعة لسائر الصفات وقد قيل إنّه الإسم المفرد ما اتّفق عليه السادة الصوفية ورأو له خيرا كثيرا وتأثيرا كبيرا وفضلا عظيما غزيرا تطمئن به القلوب وتصل إى حضرة علام الغيوب غير أن بعضهم يلقن لمريده الإسم المفرد في البداية وكلمة الإخلاص" لا إله إلا الله في النهاية" وبعضهم بالعكس .

والمقصود في الإسم إذا تفنى أي اسم الذات وهو " الله" تصل لمسماة ففي بركة هذا الذكر واستحضار نورانية هذا الإسم ترحل عن القلب كل الملاهي وعن النفس جميع الصفات الرذيلة التي كانت مانعا للوصول إى معرفة الله سبحانه عز وجل وهذا هو معنى في " الإسم إذا تفنى" .

أي تزول عنك وتفنى عنك جميع القواطع والموانع للوصول إلى المسمى شرط أن تفنى منك هذه الصفات لا أنت .

وبعد هذه التخلية تكون التحلية بالحلة المرضية ألا وهي الأخلاق الحسنة والآداب الكاملة التي أشار إليها الرسول صلى اله عليه وسلم بقوله :

" أدبني ربي فأحسن تأديبي" وسادتي الذاكرون الله كثيرا هم على قدم رسول الله صلى اله عليه وسلم ولهم من هذه الأداب نصيب أوفر لأن لكل حضرة أدابًا وأداب المشايخ والعلماء في الخدمة احسنة وأداب الملوك والأوامر في الطاعة والإنضباط وهذا كله مؤقتا إلا في حضورهم .

وأما الأداب مع الله سبحانه عز وجل فهي أداب مستمرة في تعظيم الله تعالى وتنزيه المولى عز وجل ومشاهدة نوره في جميع خلقه والوقوف عند حدوده وامتثال أوامره

واجتناب نواهيه وسخطه فإن حصل على هذا الذاكر اسم الله فقد وصل إلى حضرة المسمى وبوصولها يتم الله عليه فضله ونعمته والحمد لله والشكر له على فضله وجوده فالفضل عطاء بلا عوض والجود عطاء بلا سؤال .

إذا ذكرته بادر   بالجد والحزم معه

ثم انتقل الشيخ رحمه الله تعالى يوضح ويبين كيفية الذكر فقال: الذكر هو كل ما يذكرك باله تعالى من القروبات وهذه العبادات تنقسم إلى أقوال وأفعال مجموعة في الصلاة التي افترضها الله تعالى علينا كما عرفها الفقهاء.فهي عبادة ذات أقوال وأفعال فهذا ظاهر الصلاة من الشرع وتختلف الصلاة بقدر المصلين لله تعالى فصلاة الأنبياء والرسل ليست كصلاة العارفين بالله وصلاة العارفين بالله ليست كصلاة عامة المؤمنين، وإن كانت تؤدي من الجميع بما حدده الشرع بشروطها من أركان وسنن ومندوبات إلى آخره .

ولكن لكل له أداب خاصة مع الله تعالى في تأدية هاته الصلاة عى حسب قربه من الله تعالى وفي هذا قال الشيخ سيدي ومولاي أحمد العلاوي رحمه الله تعالى :

تا لله نوم العارف يغني عن ذكره

فكيف بصلاة العارف إذا صلى

يكون بسقف العرش حالة قربه

واقفا مع الإله يا لها من حالة

حالة لو حال الحال بيني وبينها

لقلت هذا محال والحال يحلي

حالة حل العزيز فيها بعد النوى

وطاف طائف الوصل بنا بعد الفصلا

وتعريف الصلاة عند اللغويين هي دعاء وقد قال بعضهم أنها صلة بين العبد وربه أي يكون العبد موصولا بالله في جميع أحواله ملتزما بالآداب والخضوع والركوع لله تعالى سواء في ثناء الصلاة التي يؤديها أو خارجها إذا انتهى منها فهذه صلاة لأنبياء والرسل وعباد الله الصديقين والصالحين حتى قال قائلهم :

منذ وصلنا ما رجعنا   ومنذ ركعنا ما رفعنا

فنحن مدعوون إلى هاته العبادة المستمرة والصلاة الذككر الذي لا ينقطع بأي حال من الاحوال إلا بالموت، وصدق الله العظيم إذ يقول:" إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون"صدق اله العظيم. فهذه ارشادات وتوجيهات الشيخ لنكون أشبه بالملائكة الذين قال الله فيهم :

ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون إذا ذكرته بادر" أي بالمبادرة في تأدية أنواع القروبات التي تقر بك إلى اله والمبادرة ضد الكسل، وتكون بالجد لا بالهزل .

"والحزم معه " لا بالتراخي، وصدق من قال :

كل من سار على الدرب وصل

ما أبعد الخير على أهل الكسل

" كن لله" أي عبدا مملوكا لا بملك مع مولاه شيئا ويصرف جميع أعماله بإخلاص لله .

" بالله" مستنصرا أو مستعينا باله على تحقيق ما تطمح إليه من رضوان الله تعالى .

" في الله والغير آنسه" كن مستغرقا في بحر توحيد الله تعالى فتوحده في جميع المشهودات حتى تغيب عما سواه فذاك المشار إليه والغير انسه وغير الله تعالى ليس له تأثير عليك لا يضرط ولا ينفعك بشيء إذا ذكرت المولى فاهتز بذكر اله .

- جل في معنى إلها " وحرفي مسماه" .

ثم انتقل يبين كيفية ذكر الإسم الأعظم ألا وهي أربع الشد والمد والتشخيص والاهتزاز . أما الشد والمد فيكونان على اللامين من اسم الله "، وأما التشخيص فيكون بعض تغميض عينيك تشخص أي تصور الإسم الأعظم في ذهنك فذاك هو التشخيص. والإهتزاز إما أن تهتز من اليمين إلى الشمال نحو قلبك وتسكن حرف الهاء من اسم الله في صدرك أو من الفوق إلى الأسفل بتعظيم هذا الإسم بقدر استطاعتك في رسمه على الكون كله حتى تضمحل جميع صور المخلوقات من ذهنك، حتى لا يبقى إلا نور هذا الإسم، وأما قوله رضي الله تعالى عنه " وحرفي مسماه"، لأن غاية المعرفة الحيرة فالإسم يدل على المسمى والمسمى هي الذات الإلاهية لأن اسم الذات، إذا كان من المستحيل أن نحيط بصفة من

صفاته فكيف نحيط بذاته سبحانه عز وجل، وفي هذا المعنى قال سلطان العارفين سيدي عمر بن الفارض قدس الله سره :

زدني بفرط الحب تحيرا

وارحم حاشا عبد بلظى تساعرا

ثم واصل فقال :

غص فيمن تهوى　　　بالقلب والروح معه

غب في غيب الغيب　　　تغيب عما سواه

غص في بحر الأنوار الإلاهية والدافع لذلك هو محبتك لله تعالى فيمن تهوى بالقلب والروح معه، فلا يشغلك شاغل ولا يصدك مظهر من المظاهر النورانية ولا تتوقف عن السير وترضى بما يجريه الله تعالى على يدك من الكرامات كما قيل " الإستقامة خير من سبعين كرامة" ولهذا فقال : فغب عن هذه التجليات أي ارفع همتك وعلقها بالله ولا ترضى بأي مقام دون الوصول إلى الله تعالى، فالكرامات بالنسبة لأهل الله الصالحين الكمل مقام الصبيان، فإن الصبي لا ينقاد إلا إذا أكرمناه ببعض الحلويات والواكه والنقوذ إلى آخره، أما الفحول لا يشغلهم شاغل ولا يرضون إلا بالله تعالى ولهذا أرشدنا أستاذنا قال: أنسخ عن مواطن الأطماع تغب عما سواه، وبعد ذلك يبين لنا الأستاذ رحمه الله تعالى كيف تتغير أحوال العارفين بالله من حسن إلى أحسن وهذا بحرصهم وجدهم في طلب الله تعالى وعند الفتح الأكبر تتنور حواسهم فينظرون المظاهر كلها جمالية وإن كانت تبدو لغيرهم جلالية ولهذا قال رحمه الله تعالى :" إذا ذكرته بالجد" وهذه الرؤيا الجميلة تكون لك بعد الفتح الأكبر .

" ما لا تراه " قبل الفتح في حالة الغفلة .

" كل ما تهواه موجود في ذات الله" أي كل ما تحبه من نعيم الدنيا والآخرة وسعادة الدارين موجودة في طاعتك وانقيادك لله تعالى حتى يقربك المولى عز وجل ويجلسك على بساط أنسه وينزلك الله بمنزل الأمن ورضوان الله تعالى وتكون من المعدودين في قول الله تعالى" ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم، ثم يوضح

لنا الشيخ بالتفصيل ما أشار إليه من هاته المعاني بالإجمال فقال" كن فاني عنك" حظوظ نفسك وتكالبها واسترسالها في الملذات وحب الشهوات بل كن موجودا به.

" وله" فإن وفقك الله تعالى لعمل صالح وقول سديد فذاك بتوفيق الله تعالى لك وإعانته لك ذلك هو معنى موجود به .

" وله" أي أصرف كل ذلك لله بإخلاص ومحبة لله سبحانه عز وجل.

" تصير باقي به محفوف بلطف الله" ولا يكون هذا إلا بعد الفناء في الله سبحانه عز وجل، حتى تفنى منك جميع الصفات المذمومة شرعا فتبقى به أي بتوفيق الله تعالى حتى يبدل الله تعالى بجوده وكرمه عليك بهذه الصفات السابقة الصفات المرضية شرعا فذاك معناه لا يكون البقاء إلا بعد الفناء وأما قول شيخنا رضي الله تعالى عنه: " محفوف بلطف الله"أي أحاط بك لطف الله تعالى من كل جانب فيحبط الله غواية الشيطان المريد فلا يصل إلى مخادعة أحباب الله الصالحين:كما قيل أن الأنبياء معصومون وأن الأولياء محفوظون بلطف الله .

ثم يواصل شيخنا قدس الله سره فبعدما أرشدنا إلى فناء الصفات الخبيثات شرعا يتكلم عن الفناء الذاتي الكلي أي فناء النفس كلها لا صفاتها فقط حتى تتقلب هذه النفس روحا منورة شغلها الشاغل ذكر الله وطاعة مولانا عز وجل .

" لتبقى ببقاه" الأبدي السرمدي ولو بعد الإنتقال إلى الرفيق الأعلى فتصبح من الذين يشملهم قول الله تعالى" ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحيانا عند ربهم يرزقون" .

ولو أن هذه الآية نزلت على وجه الخصوص في شهداء أحد .

ومقام الشهادة على حسب الترتيب الذي جاء في القرءان وهو المقام الثالث بعد النبوة والصديقية ثم يأتي مقام الشهادة والترتيب يعني أن الأفضل يتقدم على الفضيل وإذا كانوا الشهداء أحياء عند ربهم فأولى وأحرى الأنبياء كذلك والصديقون، وهذا وفقا لقول الله تعالى " فأولئك الذين أنعم اله عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن وأولئك رفيقا "، واما قول الشيخ رحمه اله تعلى " إذا تحيد نفسك*الأمارة واللوامة "

*فتبقى المطمئنة بالله راضية بقضائه مهما كان القضاء فتصير عند الله مرضية في هذه الحالة ما تجد إلا الله حيثما تجلى وإذا وصل المريد الذي وفقه الله تعالى إلى ذلك من تخلص أو حال نفسه يفصح الشيخ قائلا :" إذا قيل لك من تهوى قل الله" طبعا في هاته الحالة ما يكون المحبوب لدي أحباب الله إلا الله فقال رحمه الله تعلى :" أنابه" أي بالله ومن كان بالله منصور.

" ولع" بمعنى ولع ومشغوف بحب الله، ثم يقول رضي اله تعالى عنه في هذه الحالة" من هو قريب ذاتي محال قلبي ينساه " .

" قريب مني لي والقرب خافي معناه" قول اله تعالى " ولقد خلقنا الإنس ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد " .

" إذا عرفت المعنى في الحس لاحظ سناه" في الحس لاحظ نوره عبى جميع المخلوقات بمعنى فلا تقف مع الصورة وعظم في الصورة المصورة وهو المولى عز وجل .

" ولكل قائم به" بمعنى خروج الأشياء من العدم إلى الوجود وقيامها في الوجود فبالله تعالى فذاك معنى بمن تهواه أي الله .

إذا عرفت الخالق ترتاح عما سواه، وإذا جهلته فينا محال عينيك تراه، وإذا عرفت تحققت أن الله هو الرزاق والنافع والضار ترتاح عما سواه إذ سواه لا يملك لنفسه ضرا ولا نفعا.

" وإذا جهلته فينا " فإن لم تجعلنا دليلا في المسير إلى الله تعالى وإماما وتقتدي بنا في الأداب مع الخالق والمخلوقات محال عينك تراه فلن تصل إلى المعرفة أبدا .

ثم واصل يقول :

نحن أحباب ربي   والحب فينا منشاه

فلذبنا تحظى   وشم فينا شذاه

اسمي البوزيدي   مقيم في باب الله

بواب حضرة ربي   منسوب لذكر الله

- قال رضي الله تعالى عنه وقدس سره :
- قل للذي لامني   فيها وعنفني

حيث لم يعرف شاني لذلك هو المعذور

لو عرفوا عذالي حقيقة الوصال

لصاروا مثل حالي ولكن جرى المقدور

ولما كان لهذا العلم أهل من ذوي الخصوصية الذين تفضل اله عليهم بجوده وفضله وخصهم بنشره بين الناس للذين لهم حظ في هذا الفن والمحرومون منه ينتقدون أهله ولقبوهم بجميع الألقاب الخسيسة وكل ذهب في هواه وعماه فمنهم من كان حاسدا ومنهم من كان جاهلا " والناس أعداء لما جهلوا" فرد عليهم شيخنا في هذه القصيدة بكل ملاطفة وأداب وكل ينفق مما آتاه الله " لينفق ذو سعة من سعته " صدق الله العظيم.

" نحن أحباب ربي والحب فينا منشاه "

ومن لم يشته محبة أحباب رب العالمين التي لا تعود عليه إلا بالخير في دينه، وإبتلاه الله تعالى بمحبة الغافلين الذين يزيّنون له المخالفات والمحرمات فيهوى في المهلكات .

" فلذبنا تحظى وشم فينا شذاه"

فاجعلنا ملاذا أي مكانا يؤمن فيه كل من فرّ من أعدائه وحصنا ووقاية بصحبتك لنا فيحفظك الله تعالى من جميع الموبقات و"وشم فينا شذاه " .

وإياك وحواسك الكل ليس الشم منها فقط أن تبدي لك فينا المساوي فينعدم إقتداؤك بنا وينقطع بك الحبل وتتوقف عن السير .

ثم في الختام يبين إسمه ونسبه

" إسمي البوزيدي مقيم في باب الله "

" بواب حضرة ربّي منسوب لذكر الله "

إذ قال رضي اله تعالى عنه :" قل للذي لامني فيها"

"هذه المعرفة الربانية وطريقة الصوفية "

" وعنفني" وعنفني بالكلام الفظ الغليظ الفاحش وتهجم بالعنف وأساليب الشتم والسب ومع ذلك فإن الشيخ رحمة الله تعالى يلتمس لهؤلاء الأعذار كأنما يقول بلسان حاله عدم

المعرفة والجهل بحقيقة حال أهل الخير والصلاح فقال:" حيث لم يعرف شاني لذلك هو المعذور"، ثم يواصل فيقول :

لو عروا عذالي حقيقة الوصال

لصاروا مثل حالي ولكن جرى المقدور

ولكن جرى قلم القدر في اللوح المحفوظ وفقا لما في علم الأزل أن هذه المعرفة بالله تعالى موقوفة على عدد معدوم محدود في كل عصر وزمان، على ذويها وأهلها فقط .

ثم أردف يبين رضي الله تعالى عنه فقال :

فإذا السر بدا من الغيب للشهادة

احترق الفؤاد وامتحق جبل الطور

وهنا يشير الشيخ رضي الله تعالى عنه إلى الفتح الأكبر والتجليات التي تظهر لمريد الله .

" فإذا السر بدا" بمعنى ظهر حيث كان من الغيبيات بالنسبة للمريد قبل الفتح فصار بعد الفتح الأكبر من المشاهدات .

"احترق الفؤاد " أي تقدس وتطهر قلب المريد من جميع الشهوات والقواطع الحائلة بينه وبين الوصول إلى الله تعالى إذ بإحتراقها يكون لهذه المعاني الربانية محل أو منزل تتنزل فيه ولا ترضى أن يشاركها فيه شيء وأما قوله:" امتحن جبل الطور"، المقصود بها النفس الأمارة بالسوء إذا تجلى الله تعالى عليها بجلالة وذلك رحمة منه بصاحبها يقع لها ما وقع لجبل الطور .

كما قال الله تعالى :" ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمة ربه قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تريني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا –وخرموسى صعقا "لأن النفس في عصيانها وتمردها على طاعة الله صلب من جبل طور سيناء.

ولما كان بعون الله تعالى وتوفيقه لمن اجتباه إلى هاته الأنوار القدسية التي يزداد بها الإيمان اطمئنانا ثم يقينا ثم مشاهدة فقط أشار إليها بليلي فقال:

هذي ليلى قد بدت بالحسن تلونت

لبعضها ظهرت　　　　　وبطنت في الظهور

لكل عاشق ليلاه.

" هذي ليلى قد بدت " بمعنى ظهرت .

" بالحسن تلونت " لأن من أحله الله تعالى في مقام الإحسان لا يرى إلا الجمال والكمال في جميع الناس وإن اختلفت وتفرقت وتلونت على اختلاف ألوانهم واعتقاداتهم وثقافاتهم لا يرى فيهم إلا نور الخالق معتصما بقول الله تعالى " فتبارك الله أحسن الخالقين " .

" لبعضها ظهرت " وهذه الرؤيا الصافية لا تعطى إلا للذين تطهرت سريرتهم وتنورت بصيرتهم لا للكل بل للبعض من الكل .

" وبطنت في الظهور" فمن شدة الظهور كان الخفاء والعين ترى غيرها ولا يمكن للعين أن ترى عينها، وبها، فاستتارت لها جميع الأنوار وإن اختلفت ألوانها وبعبارة أخرى لا يمكن للعين أن ترى عينها إلا بواسطة مرآة صقيلة تظهر فيها عينها وهاته المرآة هي هي الدليل الذي يدلنا على معرفة الله وهم الأنبياء والرسل والعارفون بالله والعلماء الصالحون الكمل ثم أردف يقول رضي الله تعالى عنه :

ظهرت لبعضها　　　　　وغابت عن كلها

فلو كنت تدريها　　　　　لصرت بها مسرور

إن بحر المعرفة بالله ليس له حد ولا ساحل ومهما عرف العارفون بالله لن يقفوا على نهاية ولا بداية هذه الحضرة الإلاهية، إذ المولى عزّ وجل هو الأول بلا بداية وهو الآخر بلا نهاية وأما ما ظهر لسادتي العارفين بالله فما هو إلا بعض الأنوار الدالة على الأحدية الفردية الصمدية ولهذا قال: "ظهرت لبعضها" أي ما حصلوا إلا على بعض المعرفة من صفات الله .

" وغابت عن كلها" والكل مقصود به الذات الإلاهية التي نهى عن التفكير فيها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله:" تفكروا في آياته ولا تتفكروا في ماهية ذاته"، كما قال العلماء:" العجز عن الإدراك إداك والأخذ فيه إشراك".وفقا لقول الله تعالى :" إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لا آيات لأوولي الألباب الذين يذكرون الله قياما

وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانه فقنا عذاب النار " صدق الله العظيم

وأما قوله " فلو كنت تدريها " أي هاته الآيات الإلاهية وتجلت لك هذه الأنوار القدسية لفوضت الأمر في اليسر، والعسر لربك وأرحت نفسك ثم صرت بها (أي بهذه المعرفة) مسرورا .

ثم يبين لنا شيخنا رحمه الله تعالى أن هاته المعاني لا تأتي عفوا أو عشوائيا بل لا بدّ من الإحتكاك بأرباب الفن وذوي المعرفة لنقتبس من حضرتهم وبرضاهم أسرار هذه المعاني فقال:

جلسنا على حضرة　　　　مع ملوك الخمرة
من عجائب القدرة　　　　كأسها عنها يدور
سقتني كأس التحقيق　　　　وهدتني للطريق
أغرقني في العميق　　　　بحرها فاق البحور
سقتني كأسا يحلى　　　　نورها عني يجلي
خرجت من الغفلة　　　　غيبتي هي الحضور

وهذا حينما كان يتتلمذ ومتحليا بالإنضباط الكامل الشامل والطاعة والخدمة لشيخه والعمل بنصيحته وتوجيهه فقال هذه السقاية نورها عني يجلي: ظلمات الغفلة وبعدما كان مريدا أصبح مرادًا أو بعبارة أخرى بعدما كان تلميذا أصبح معلما وشيخا مربيا فلهذا وجه النداء فقال : فيا طالب الهوى والغيب عن السوى، يا من طلب الحب الإلاهي والميل إلى مواطن رضوان الله والغيب عما سوى الله بحيث لا تتأثر بأي مظهر من المظاهر الدنيوية فقال: " أنا صاحب الدوى أنا الطبيب المشهور" ثم يوجه الخطاب لمريده وتلميذه الأعز عليه وهو الشيخ سيدي أحمد العلاوي أنا البوزيدي صاحب الطريق وأنت يا العلاوي مظهر للتحقيق أي سيظهر الله تعالى على يدك سر طريقتي بشرط ." شرب خمرتي والسر منك يفور" وكلمة يفور ضد يغور إذا غار الشيء ذهب في الأرض " قل أريتم إن أصبح ماؤكم غورا فمن يأتيكم بماء معين " .

" وأم يفور" يظهر على وجه الأرض ويصعد إلى السماء بلا آلة، ثم يبين لنا رضي الله تعالى وفاى عن حسه لصرح بما صرحنا به وفي حاله أنه مغلوب مكره عليه إذ لا يريد بذلك استعلاء على الناس ولا افتخارا ولا أجرا من الأجور ولهذا قال :

فو الله من دنا وذاق سر الفنا

لباح بما بحنا قهرا وهو المعذور

فو الله لو قلنا إليهم ما علمنا

قليلا من صدقن إلأ الخواص أهل النور

أيا خليلي أت مسرعا لحضرتي

لا تخشى من أفتي ضريحي البيت المعمور

ثم يبين إسمه في آخر القافية وما أكرمه الله تعالى بخالص التوحيد ومن المعرفة وعلم الغيب فقال:" اسمي ساقي المريد محمد بن البوزيد نغرف من بحر التوحيد وبيدي المنشور، ثم يختم القصيدة بالصلاة على رسول الله صلى الله عله وسلم فقال :" ثم صلاة الله على صاحب الجاه هو نور الإله هو مفتاح الظهور " .قال رضي الله عنه وقدس سره:

لا إله إلا الله وحده

محمد سقي كأس المدام

هذا الخمر يا سيدي ما أحلاه

من ذاقه ملأ بالغرام

خمر المعنى يا حافظ معناه

منه شربوا سادة الكرام

حتى سكروا به وتاهوا

وغابوا عن جميع الأنام

فاعتقاد سادتي الصالحين أن كل من ليس له وجود من ذاته فهذا يلحق بقسم لا إله وعبارة أخرى هذا قسم جميع المخلوقات لأنه سبقهم عدم وبعد وجودهم يلحقهم الفناء " أي عدم كذلك" إلا الله فهو القائم بذاته الغني عن جميع ما سواه و" هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم ".صدق الله العظيم .

فهو الذي استحق العبودية لا معبود بحق سواه وجاءت بالنفي والإثبات لا إله نافية إلا الله إثبات، والإثبات إذا جاء بعد النفي يفيد التأكيد .

كلمة نفي(لا)إذ تلتها (إلاّ) الإستثنائية فهي تفيد في البلاغة الإثبات، كما قيل احذف المكرر تخرج النتيجة تزمر والمكرر وهو لا النافية في لا إله إلا كذلك وهو الإستثناء فهو المكرر الثاني فتبقى النتيجة إله الله .

وأما قوله " محمد سقي كأس المدام" وهو خاتم الأنبياء والرسل فأولهم خلقا وآخرهم بعثا وسيد خلق الله أمعين وجاء اسمه محمد على صيغة مفعل اسم جميع الله فيه جميع صفات المحامد التي أخذ منها كل الأنبياء والرسل والأولياء الصالحين وكل على حسب طاقة استيعابه .

ولما وفقه الله تعالى بفضله كما قال البصيري رحمه الله في البردة :

فاق النبئيين في خلق وفي خلق

ولم يدانوه في علم ولا كرم

وكلهم من رسول الله ملتمس

غرفا من البحر أو رشفا من الديم

وكما جاء في هكزيته، أنت مصباح كل فضل فما تصدر إلاّ عن ضونك الأضواء كما قال الله تعالى :" محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا"، فبعثه الله تعالى بهذه الرسالة الجامعة لكل المعاني الموجودة في الصحف الأولى والكتب المقدسة السابقة وإن شئت فقل الشريعة وما جاء في الأثر عنه صلى الله عليه وسلم " الشريعة أقوالي والحقيقة أفعالي والطريقة أحوالي " فهذه المسائل الثلاث يرمز إليها بالخمرة أو المدام مترادفة للخمر فذاك ما معنى محمد سقي كأس المدام ولما كان الأمر مبنيا على الذوق السليم لا على التشدّق بالقيل والقال قال رحمه الله :" هذا الخمر يا سيدي ما أحلاه" " من ذاقه ملأ بالغرام" من ذاق تشوق ومن لم يذق تعوق وحينما يملأ القلب بالغرام والمحبة لله تعالى فكل القروبات تصدر من المحبة والمحبة هي التي تدفعها أن نتقن العبادة، لا كما نؤدي عملا مفروضا علينا فنؤدي الواجب لنتخلص منه وشتّان ما بين الذي يؤدي الواجب محبة والذي يؤديه ليتخلص من تأديته .

وكل عبادة إن لم تصدر من قلب الحبيب فهي في مشيئة الله إن شاء كانت صحيحة في صورة تأديتها وفقا لما طلب منا الشارع فنقول هذه صحيحة ولا يجوز لنا أن نقول هذه مقبولة ومن هذا يتعين علينا أن نبتهل إلى الله تعالى ليتقبل منا ولنا في سيدنا ابراهيم عليه السلام قدوة حسنة في الشأن إذ امره ربه ببناء المسجد الحرام أي الكعبة المشرفة وعندما انتهى من بنائها أي بعدما أدى هذا الواجب ابتهل إلى الله تعالى بالدعاء أن يتقبل منه ومن أدى هذا الواجب ابتهل إلى الله تعالى بالدعاء أن يتقبل منه ومن ابنه اسماعيل عليهما السلام فجاء حكاية عنه في القرآن الكريم" وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم" صدق الله العظيم .

ثم يواصل فقال رحمه الله تعالى :

خمر المعنى يا حافظ معناه   منه شربوا سادة الكرام

فقال خمر المعنى لا الخمر الذي يتبادر إلى أذهان العوام كونه المسكر المزيل للعقل فهذا حرام وإنما خمر المعنى كما سبق هو المنور للعقول والبصيرة ومطهر السريرة هذا معنى " يا حافظ معناه منه شربوا سادة الكرام" الذين جاد الله عليهم بفضله وأكرمهم بمحبته ووداده وسخر جوارحهم في طاعته حتى سكروا به وتاهوا وغابوا عن جميع الأنام ثم يخاطب الشيخ الذين لهم إرادة وعزم قوي قائلا :

يا مريد الدخول حضرة مولاه   ويحي دائما على الدوام

فالشرط هو الخضوع والتذلل لله سبحانه عز وجل في جميع ما أمر وما نهى والتسليم لله تعالى في جميع قضائه بحيث تضمحل إرادة المريد في مراد الله في القول والفعل والحال وفقا لما جاء إستجابة لنداء الله تعالى حيث جاء في الحديث القدسي" يا عبدي أنت تريد وأنا أريد فإن أطعتني فيما أريد فسيكون ما تريد وإن عصيتني فيما أريد فلا يكون ما تريد ولا يكون إلا ما أريد" أو كما ورد في الحديث القدسي المروي عن المصطفى صلى الله عليه وسلم .

هنالك يحيا الحياة ونعم الحياة بالله دائما على الدوام، ثم يبين ذلك فيقول :

فليخضع في القول وأفعاله   ينال برضاه أعلى المقام

ثم يبين هذا المقام المشاهدة بحيث يشاهد الله حيثما تجلى ويغيب عما سواه فقال حتى لا يرى في الكون سواه سبحانه ذو الجلال والإكرام .

ويفني حقا في ذات مولاه فناء صرفا يا حافظ النظام

ويبقى بالحق لا بهواه يصير برزخا بين أبحر عظام

وهذا أي لا يكون له أي ميول وسمي الهوى لأنه يهوي بصاحبه إلى الأسفل ويبقى بالحق أي بهوى آخر وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم" والذي نفس محمد بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به"، فهذا معنى قول الشيخ يبقى بالحق بعدما يفنى منه الباطل .

" قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا " الآية وأما معنى يصير برزخا بين أبحر عظام .

" برزخا" بمعنى حاجزا مانعا لا تؤثر فيه شواغل الدنيا لتصده عن خدمة ومشاهدة ومولاه سبحانه عز وجل ولا يكون من المجاذيب الذين تركوا الدنيا وهاموا في الله هياما حتى لا ينتفع بهم أحد من المخلوقات " ولكن يكون برزخا"، أي ظاهره مع الخلق وباطنه مع الحق فهو همزة وصل لهذين البحرين، حسن المعاملة للخلق وحسن السير والآداب مع الحق سبحانه عز وجل .

وينظر للعرش وما فوقعه وما تحت الثرى بلا أوهام

فينظر بفضل الله تعالى لهاته الأشياء من العرش إلى الفرش وهو الثرى وما تحته بلا أوهام، أي ليست رؤية وهمية حيث تصور في ذهنه بالتخيل، وإنما يراها حقيقة بلا أوهام، كما قال لأنه أصبح ينظر بنور الله إلى الأشياء، حيث تنورت بصيرته وبصره فصارت كل المرئيات الجائز رؤيتها تتكشف له رؤيتها .

هذا بحر عميق فيه تاهوا

رجال الطريق وأقطاب الإسلام

وأشار إلى هذا المعنى وعلم القوم بحر عميق أي لا قرار له ولا بداية ولا نهاية ولا ساحل ولا أفق، ولن يستطيع أحد من العارفين بالله أن يحيط به إلا بما شاء لمن شاء من

خلقه"ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم " .

" فيه تاهوا"

لأن الغاية والنهاية لمعرفة الله هي أن لا نهاية في هذه المعرفة الربانية وغايتها التيه والحيرة .

كما قال سلطان العاشقين سيدي عمر بن الفارض رضي الله تعالى عنه :

زدني بفرط الحب فيك تحيرا

وارحم حاشا بلظى في هواك تسعّرا

شربنا منه ومن عذبه

حتى صارت الأواني مدام

يبين شيخنا رحمه الله تعالى ما جاد الله به عليه من فيض فضله فشرب من هذا المشرب أعذب المعرفة حتى صارت الأواني مداما والمقصود بالأواني الأشباح وبالمدام الأسرار والأنوار الدالة على الله، حتى انتقلوا بفضل الله تعالى من عالم البشر إلأى العالم الروحي وزالت عنهم صفة وميول البشر إلى هذه الدنيا وملذاتها وعرّجوا إلى آفاق الروحانيين الطامحين والساعين دائما وأبدا إلى كسب رضوان الله تعالى .

بأرواحنا تهنا في فضاه وحرنا في العظمة بلا أجسام

وهذه المعاني قد وضحتها في البيت السابق.

وأما قوله " العظمة بلا أجسام"

فإن عظمة الذات الإلاهية ليست مجسمة وليست لها صورة وكيف يحيط العقل الصغير بالأعظم الذي ليست له أولية ولا آخرية ولا بداية ولا نهاية .

فإذا عجزنا عن الإحاطة ببداية ونهاية ملك الله الواسه الفسيح وجميع المجموعات الشمسية التي خلقها الله وما فيها من الخلائق فكيف نحيط بخالقها؟ فهذا محال. ولهذا قال عظمة بلا أجسام .

الكاس والخمر يا فاهم معناه امتزجت صارت أصل الأنام

والمراد بالكاس الشبح وبالخمر الروح فالإنسان مركب من مادة هي الشيخ ومن معنى وهي الروح فامتزج بعضها ببعض حتى صارت أصل الأنام والمقصود بأصل الأنام آدم عليه السلام لقوله صلى الله عليه وسلم : كلكم من آدم وآدم من تراب " .

ثم يختم رضي الله تعالى عنه بالمقصود من هذه المعرفة فما دام الإنسان مركبا من نفس فإنها تسمى كذلك طالما كانت متمردة عن طاعة الله، منهكة في الشهوات والمعاصي من الصغيرة إلى أكبر الكبائر ألا وهو الكفر والإشتراك باللهو العياذ بالله، ولكن إذا تنورت هذه النفس بالرياضة في حقل طاعة ربها فإنها تحوز رضوانه فتنقلب من نفس ظلمانية محجوبة عن خالقها إلى روح نورانية عارفة ومتصلة بمولاها ولهذا المعنى يشير بقوله رضي الله تعالى عنه :

هذا سيري به إخواني فاهوا   من الوجد وشدة الغرام
جدي البوزيدي ظاهر اسمه   من نسل الهادي شفيع الأمم
صلى عليه في الأزل مولاه   وكل ملائكة الكرام
والآل والصحب ومن معه   صلاة دائمة بلا انفصام

وله أيضا رضي الله عنه وقدس سره :

ساقي الخميرة سقاني   يا ساقيها مهلا راحا براح
يا نديمي املإ الأواني   ودر الكأس على الملاح
أدر الكأس لخلاني   واسق نحيل الجسم يرتاح
خمرتي ترى للأعيان   كمشكاة فيها مصباح
ساقي الخميرة سقاني   يا ساقيها مهلا راحا براح

وهذا السقي لا يكون إلا بإذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم للذين أراد الله بهم خيرا والمراد بالسقي تلقين المعاني الربانية للأرواح النورانية بلا كيف ولا تصوير، وهو الإنتقال من مقام الغفلة عن طاعة الله إلى المعرفة والآداب مع الحق والخلق سبحانه عز وجل والساقي هنا إما الرسول صلى الله عليه وسلم بهمته مباشرة أو من ينوب عنه كالأبدال فهم المشايخ أهل التربية والسند بنظرة يسقي المريد وإلى هذا يشير سيدي عمر بن الفارض .

عسى عطفة منكم على بنظرة   لقد تعبت بيني وبينكم الرسل

وكما قال سيدي الشيخ أحمد العلاوي رضي الله تعالى عنه :

فهم الأبدال   لهم الإقبال   نواب الإرسال   في العالمين

لهم الهيبة   بهاء النسبة   سيمة القربى   ترى علينا

نحن الأساند   لما شواهد   كل الفوائد   في صحبتنا

" يا ساقيها مهلا راحا براح"

فإن حملت على ظاهرها أن الراح هو الخمرة والخمرة عند القوم هي المعرفة "وراحا براح"معرفة بعد معرفة على حسب ضعف المريدين ليس كل عارف بالله يكون صالحا للتربية أي يوصل المريدين بسلام إلى موطن رضوان، الله لأن التربية تقتضي إعطاء الشيء بالتدريج، وبالتي هي أحسن، حتى يصل المربي إلى المقصود والهدف المنشود وهذا مفهومه أن الشيخ المربي قد اجتاز جميع المقامات أثناء سيره إلى الله تعالى بحيث لا يكون هناك مقام إلا وهو أدرى بالمعرقلات والقواطع التي تحول بين السائر والوصول إليه، ومن هنا فلا بد من دليل نستدل به أثناء السير يأخذ بأيدينا وإلا فإن الأمل في بلوغ المقصود يكاد يكون معدوما إلا إن يشاء الله، ومن ناحية أخرى فالشيخ المربي يروضنا بمختلف الرياضيات في الطاعة حتى ينهض بنا من مقام الهزل والغفلة إلى مقام الجد واليقظة، فهو يراقب أحوالنا ويأمرنا بالخير من حيث لا ندري، لأن هذا من الحكمة والرأفة والرحمة والملاطفة بنا حتى يتنزل علينا في الإقبال على تنفيذ ما أمرنا به الشيخ، وهذا ما معنى يا ساقيها مهلا راحا براح.

يا نديمي املإ الأواني   ودر الكأس على الملاح

أدر الكأس لخلاني   واسق نحيل الجسم يرتاح

والنديم هو المشرف على سقي هاته الخمرة وهو الرسول صلى الله عليه وسلم أو نوابه مشايخ التربية.

"واملأ الأواني" المقصود بالأواني المريدين الذين سيكونون فيما بعد من المشايخ وهو الأشخاص الذين أهلهم الله تعالى ليكونوا نوابا عن رسول الله صلى الله عليه وسلما في إظهار هذه المعاني الدنية والعلوم الشرعية .

" ودر الكأس على الملاح" والمدير هو المسير الذي يدير هذا الديوان وهم أهل السقاية نيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهؤلاء يطلق عليهم اسم كؤوس ومفردة كأس لأن بالكأس نتناول شرب هاته الخمرة الدالة على المحبة والمعرفة والشوق إلى الله تعالى.

" والملاح " المريدين الصادقين .

أدر الكأس المقصود بالكأس الشيخ العارف بالله المملوء بالعلوم الدينية والعلوم الشرعية وهو الدال على الله تعالى لكل من اتخذه خليلا .

" ولخلاني "مفرده خليل من الخلة والتخليل هو اختلاط وامتزاج شيئيين مختلفين حتى يصيرا شيئا واحدا لا نستطيع أن نفرق بينهما .

"واسقي نحيل الجسم يرتاح"

" ونحيل " ضعيف البنية الجسمانية والمقصود هنا الغافل عن الله تعالى ولهذا يلاحظ في إيمانه شيء من الهوان والضعف، وفي أدائه للفرائض شيء ما من الكسل، والتباطؤ ولكن إذا سقي بشراب المعرفة والمحبة لله تعالى فيرتاح من جميع العلل .

خمرتي ترى للأعيان	كمشكاة فيها مصباح
عتقت في أصل الدنان	قبل آدم سرها باح
ها هي باحت على الكيزان	يا عاشقا لها شذاها فاح

" والمقصود هنا بخمرتي" مهارتي في تلقين المعاني الروحانية الدالة على أسرار الربوبية والأنوار المحمدية .

" ترى للأعيان" فقال كمشكاة فيها مصباح ويقصد بالمشكاة قلب كل من تعلق بهذا الشيخ الكريم سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي ومن ثمة فإنه يكون أهلا لأن تحل فيه أنوار الهداية، فتصبح هاته القلوب منيرة بنور هذا المصباح وهو الإيمان الكامل .

" عتقت في أصل الدنان" أي هذه المعاني في الأزل من يوم الذي أخذ الله تعالى العهد الميثاق على جميع الأرواح وهذا ما جاء في قول الله تعالى " وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا "

وذاك ما جاء في قول سيدي الشيخ قبل آدم سرها باح

ها هي بدت على الكيزان	يا عاشقا لها شذاها فاح

"ها هي بدت" أي ظهرت معاني لا أله إلا الله .

" على الكيزان" وهي الأشباح للأرواح الطاهرة النيرة التي أقرت لله بالوحدانية في عالم الأرواح قبل أن تحل في الأشباح .

" يا عاشقا لها" لمعاني لا إله إلا الله رائحتها الطيبة وهو المعبر عنه بشذاها فاح، أي غمرت النفوس الطاهرة والأرواح النيرة لمشايخ الصالحين أهل التربية نشم منهم ونرى فيهم أنوار هاته المعاني القدسية لقوله صلى الله عليه وسلم حينما سئل: من نجالس بعدك يا رسول الله؟ ؟، قال صلى الله عليه وسلم: من تذكركم بالله رؤيته ويزيدكم في العمل منطقه ويرغبكم في الآخرة عمله" .

كانت قبل كون الأكوان خمرة مجردة عن الأقداح

هنا لا يسعني إلا أن أقول ما قاله أهل سعادة الدارين " كان الله ولا شيء معه" وهو الآن على ما كان عليه " لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير " .

هذه خمرة المعاني للعاشقين نورها لاح

مظاهر الكون كيزان والخمرة عبارة عن الأرواح

فكلمة الخمرة عن سادتي الكرام تعبر عن معاني حسب استعمالها في المواضع المقصودة تارة تستعمل للأسرار الربانية والأنوار القدسية وتارة يعبرون بها عن حقائق الأمور ويقصدون بها الباطن لا الظاهر ولهذا قال :" مظاهر الكون كيزان " والمقصود بالكيزان هي المباني التي حلت فيها المعاني كما يقال " لكل معنى مبنى" .

ولولاهما تكون الأشياء في عداد المعدومات فالأشياء هي المباني والأرواح هي المعاني وهذا لا يدركه إلا عاشق لهذه المعاني، ومن شروط المحبة والعشق أن تسبقهما معرفة بالمحبوب وبالمعشوق وبقدر المعرفة تكون المحبة .

يدري الخمرة من كان فاني عن حسه وقيود الأشباح

ثم يبين ويؤكد لنا شيخنا رحمه الله تعالى في هذا البيت أن المحبة لا تتجزأ على عدة أشياء فلا بد أن تصرف بأكملها وأجمعها لمحبوب واحد وهو الفرد الصمد عز وجل وهذا يجعل المحبوب العاشق في حال نكران ذاته ويغيب عن حسه وقيود أشباحه ليدرك هاته الخمرة.

ثم يتم المنظومة بالصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبين نسبه الشريف المنحدر من السلالة النبوية فقال :

مصليا عن ساقي الأرواح — من سره فسري للأشباح
محمد قرة عيني — به تم اسعادي وافراحي
اسمي البوزيدي يا إخواني — من قبيل الهادي ساقي الأرواح
قل لا إله إلا الله فني — محمد قطب الفلاح

أما ما يتعلق بشرح واظهار معاني ما جاء في هاته المنظومة لسيدي محمد بن الحبيب البوزيدي .

لما فنيت الفنا — ما بقيت الا أنا
في الحس وفي المعنى — أنا الطالب المطلوب

فأكتفي بشرح شيخنا سيدي أحمد العلاوي بن المصطفى رضي الله عنه وقدس سره وغمرتنا بركته على هذه المنظومة ورضوانه احتراما وتأدبا أن لا نتجرأ في هذا المقام ولو بإشارة صغيرة، وإن فعلت ذلك فيعني في اعتقادي تطاولا على مشايخنا رحمهم الله تعالى إذ مددي ومعرفتي وما جاد الله به علي فمن فضل عنصرهم الطيب العذب الذي أخذ بروحي وقلبي ولا أريد أن أكون من الذين تفرقت بهم السبل فصدوا عن سبيل مذهب الإعتراف والشكر لذوي الفضل حتى صرحوا أنهم من المصححين والمنقحين لتآليف نبرس العلم البحر الزاخر الذي لا ساحل له ولا قرار لعمقه في علمي الشريعة والحقيقة والذي أحاط بالفروع ووقف عند نهاية الأصول في جميع المواد العلمية وهو ذلكم الرجل الذي اكتملت فيه الإنسانية بشروطها بالأخلاق وبالسيرة النبوية وبالمعرفة مع العلم بالرواية والدراية وتوجه إلى الله بتاج الغوثانية وها هو شرح الشيخ سيدي أحمد بن المصطفى العلاوي رضي الله تعالى عنه في توضيح معاني قصيدة شيخه سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي رضي الله تعالى عنه في توضيح معاني قصيدة شيخه سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي رضي الله تعالى عنه .

لما فنيت الفنا — ما بقيت إلا أنا
في الحس وفي المعنى — أنا طالب المطلوب

قوله : لما فنيت الفنا هذا اصطلاح معروف عند أرباب التصوف وهو عبارة عن ظهور العظمة والجلالة ويعبرون عنه بالإضمحلال وفيه تكل العبارات وتضيع الإشارات وتخشع الأصوات (لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمان وقال صوابا) لأنه إذا فني العبد عن الخلق والهوى والنفس والإرادة والاماني دنيا وأخرى فلم يبق إلا الله عز وجل كما كان. قال صلى الله عليه وسلم :" كان الله ولا شيء معه " .

وقال أكابر العارفين " وهو الآن على ما عليه كان " .

وفي هذا المقام قال رضي الله عنه :" ما بقيت إلا أنا" لأن صار قوله بالله وقد فنى العبد وبقي الرب فإذا كان العبد على هذه الحالة لم يبق له وجود مع سيده وتصير أفعاله وأقواله كلها لله أي صادرة منه سواء كان وجيبه أو غير ذلك .

قال عليه الصلاة والسلام فيما يرويه عن الله تعالى " ما تقرب ّإلى عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ولئن سألني لأعطينه وإن استعاذني لأعيذنه " وقال في رواية أخرى " كنت هو" فإذا صار هو هو أين يكون هذا العبد والحاصل لا موجود مع الله ولا متكلم سواه (فالله هو الولي و يحي الموتى) وأما قوله :

" في الحس وفي المعنى" إذ هو في الحس ببصره وفي المعنى ببصيرته وإن شئت قلت هو في الحس بشبحه وفي المعنى بروحه وإن شئت قلت هو في الحس بشبحه وفي المعنى بروحه وإن شئت قلت هو في الحس بفرعه وفي المعنى بأصله والعبارة لا تنحصر .

وأما :" أنا الطالب المطلوب" إذ هو طالب الوصول لصالح الحرية والمشاهدة لأنوارها القدسية ومطلوب بالوقوف مع العبودية والقيام بحقوق الربوبية لقوله تعالى: " إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمان عبدا" وفي هذا البيت معاني لطيفة لا يفهمها إلا أهل الذوق والمعرفة، ثم قال رضي الله تعالى عنه :

شرابي لي مني وسري في الأواني

حاش يكون الثاني أنا الشراب. المشروب

قوله :

شرابي لي مني إضافة الشراب لنفسه رضي الله عنه تدل على كماله وارتفاع مقامه عند الله تعالى كما قال بعضهم " صار مشروبي من إنائي" مذ استعذبت الورود وذلك أن الله تعالى تجلى لقلبه كما في الآثار أن الله يقول " لا يسعني أرضي ولا سمائي ولا يسعى إلا قلب عبدي المؤمن"فإذا صار هذا القلب مسكن الرب فكيف يحتاج إلى الشرب فيصير الشراب منه وإليه بل كل الأشياء تستمد منه كما قال رضي الله " وسري في الأواني" والمراد بالأوني جميع الموجودات لأن مدد الولي سار في الأكوان كسريان الماء في الأغصان وفي هذا المقام هو المسمى عندهم بالغيوثية .

وأما قوله :" حاشا يكون الثاني" أي في القلب الذي ذكرناه والمراد بالأثنينية وجود الشريك لا يستقر في القلب لأنه محل الرب والحق تبارك وتعالى غيور أن يكون معه غيره في القلب .الذي سكنه وأما قوله : أنا الشراب المشروب" فهو شارب باعتبار النهاية وإن شئت قلت مريد في بدايته ومراد في نهايته وإن شئت قلت مريد في بدايته ومراد في نهايته والمراد والمشروب بمعنى واحد والألفاظ مختلفة وكل داع إلى الله يطلق عليه مشروب بالنسبة لتلاميذته لأنهم شربوا حبه في قلوبهم والله أعلم ثم قال رضي الله عنه :

أنا الكأس أنا الخمرة   أنا الباب أنا الحضرة

أنا الجمع أنا الكثرة   أنا المحب المحبوب

قوله " أنا الكأس أنا الخمرة" فالمراد بالكأس هو البشرية الحاملة سر الألوهية .

أما الخمرة عبارة عن الروحانية وفي هذا المعنى قال سلطان العاشقين سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه:" أرواحنا خمر وأشباحنا كرمه "

واما قوله " أنا الباب أنا الحضرة" لا شك أن أولياء الله هم أبواب حضرة الله إذ لا وصول إلى الله إلا صحبة أولياء الله لأنهم هم القوم الذين لا يشقى جليسهم والحاصل هم أبواب الله قال تعالى :

" وآتوا البيوت من أبوبها" وإذا 'تحققنا أن الولي هو باب الحضرة يصح له أن يقول: أنا الحضرة لأن باب الحضرة ليست غيرها والله أعلم .

وأما قوله " أنا الجمع الكثرة " كان نظره رضي اله عنه للنفس الأصلية التي كثرت في وحدتها وتنزهت في بهجتها ومن أجل هذا قال الله تعالى " والله خلقكم من نفس واحدة"

وكل نفس من الأنفاس إلا وهي فرع عن النفس الأصلية ويصح للفرع أن يول : أنا الأصل وكذلك الأصل يقول : أنا الفرع لأن مقامها واحد والله أعلم .

وأما قوله (أنا المحب المحبوب) أشار رضي الله عنه للآية الكريمة وهو قوه تعالى (فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونهم ويحبونه) وهؤلاء القوم هم الذين حبهم الله في الأزل وحبوه في الأبد فصار أحدكم حبيبا ومحبوبا ونشير لطر من المحبة قال تعالى (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون) .

قال بعض العارفين : لن تنالوا محبتي وفي قلوبكم محبة غيري ولا تكون المحبة إلا في قلب حي وحياته بموت النفس فإن قيل كيف قدم محبته لهم على محبتهم له وقدم ذكرهم له على ذكرهم له ذكره إياهم؟ قال تعالى(اذكروني اذكركم) فالجواب كما قال الشيخ عبد القادر الكيلاني رضي الله تعالى عنه: الذكر مقدم طلبا فكأنه أمر بالطلب منه فقدم ذكرهم له. وأما المحبة فهي تحفة إلاهية ليس للعبد فيها إختيار فلا يصح وجودها إلا بعد بروزها من جانب الغيب على يد المشيئة فلهذا قدم محبته لنا على محبتنا له، وله الفضل والمنة ومعنى محبته لنا توفيقه لنا بالطاعة والله أعلم، ثم قال رضي الله تعالى عنه :

كم من فد سقيت	من قيود فكيت
من الغفلة يقظت	كسيت بنعم الثوب

هذا من باب التحدث بالنعلم لا من الفخر والتعجب قال تعالى :

" وأما بنعمة ربك فحدث"، وقال صلى الله عليه وسلم:"إذا أنعم الله على عبده بنعمة أحب أن ترى عليه" والفردانية التي ذكرها رضي الله عنه هي من أشرف المقامات وعليها حض المصطفى صلى الله عليه وسلم وأمرا أصحابه بالجد في طلبها لقوله:" سيروا فقد سبق المفردون قالوا وما هم المفردون يا رسول الله " قال: " هم الذين نظروا لباطن الدنيا حيث نظر الناس لظاهرها" .

وأما قوله من قيود فكيت" لا قيد أعظم من الحجاب عند أهل المعرفة والآداب وإن كانت القيود شتى فهي منطوية ومن درجة تحت الحجاب وتمام النعيم النظر لوجه الله الكريم، وأما قوله:" من الغفلة يقظت" الغفلة هي من أعظم المصائب على المريد لأنها تطمس

القلب من مشاهدة أسرار الرب واليقظة ضدها وهي من أكمل الرغائب وهي التي يعبرون عنها بالشعور عند ارتفاع الستور .

وأما قوله " كسيت بنعم الثوب " فهو عبارة عن الأسرار والمعارف والمعاني واللطائف التي يتحلى بها المريد بعد التخلي من الحصر والتقييد.ثم قال رضي الله عنه :

أنا الذي ظهرت   خمرتي مني فاضت

والإشيابي قامت   أنا رافع الحجب

قوله:" أنا الذي ظهرت إلخ..." كل هذا على لسان الحضرة الإلاهية كمولان سيدي عبد القادر الكيلاني رضي الله تعالى عنه لما قال :

أنا الواحد الفرد الكبير بذاته لا إنكار في ذلك ولو قال أكثر من ذلك فهو ليس بملوم ولا على قوله لوم لأنه كان في حالة سكرة .

قال سيدي أبو مدين :" فلا تلوم السكران في حال سكرة إلخ..." وأما قوله :" أنا رافع الحجب" جمع حجاب وهو في اللغة يطلق على الساتر وأما عند أرباب البصائر فهو عارة عن الوهم الذي لا حقيقة له ومن كان يعتقد أن الحجاب في حق الله أمر وجودي بحيث هو كالحاجز بين الشيئين فقد ضل ضلالا بعيدا.

تعالى الله عن الحصر والتقييد تالله ما هو إلا هو .فما حجبه غيره، ولو حجبه غيره لكان قاهرا له كيف(وهو القاهر فوق عباده) وحاصل الأمر أنّ الكلام الصادر من شيخنا رضي الله عنه كان في حال فنانه وقد سئل بعض العارفين عن مثل هذا الكلام الصاد ومن شيخنا رضي الله تعالى عنه فأجاب بجواب مقنع يقع من المنصف مقيما.ونصبه " أعلم أن الأصل الأصيل الذي لا محيد عنه ولا بد لكل مؤمن اعتقاده ومن خرج عنه خرج عن قاعدة الإيمان وهو أن الحق سبحانه وتعالى تجلى بعل كبريائه وعظمته وجلاله وعموم صفاته العالية به وأسمائه السنية وأن ذلك التجلي ليس هو في كل شخص كما عند الآخر ولا على قانون واحد ولا على كيفية مضطردة بل البصائر فيه "متفاوتة وأسرار الخلق في ذلك متباينة من كثير وقليل فهو يتجلى لكل شخص على قدر طاقته وعلى قدر ما تسعه حوصلته من التجلي الجمالي القدسي الذي لا تدرك له غاية ولا يتوقف له على حد ولا نهاية، وإذا عرفت هذا فاعلم أن الذي في مرتبته صلى الله عليه وسلم من تجليات الصفات

والأسماء والحقائق لا مطمع لأحد من الصديقين وإذا كان الأمر كذلك وعرفت هذا التفصيل فاعلم أن الشطحات صدرت من أكابر العارفين ما يوهم أو يقتضي أن لهم شفوفا وعلموا على مرتبة الأنبياء والمرسلين مثل قول أبي يزيد البسطامي رضي الله تعالى عنه: " خضنا بحرا وقفت الأنبياء بساحله" ومثل قول الشيخ سيدي عبد القادر الكيلاني رضي الله تعالى عنه" معاشر الأنبياء أوتيتم لقبا وأوتينا ما لم تؤتوه" ومثل قول ابن الفارض رضي الله تعالى عنه :

ودونك بحرا خضته وقف الأولى بساحله صونا لموضع حرمتي

إلى أن قال :

فحي على جمعي القديم الذي به وجدت كهول الحي أطفال صبية

وكقوله في الكافية :

كل من في حماك يهواك لكن أنا وحدي بكل من في حماكا

وكقول بعض العارفين " نهاية أقدام الأنبياء بداية أقدام الأولياء" والجواب عن هذه الشطحات أنّ للعارف وقتا كما قال صلى الله عليه وسلم:" لي وقت لا يسعني فيه غير ربي" فيطرأ الفنا على ذلك العارف والإستغراق والإستهلاك حتى يخرج بذلك عن دائرة حسه ورؤية نفسه ويخرج من جميع مداركه ووجوده وذلك تارة يكون في ذات الحق سبحانه وتعالى فيتدلى له من قدس الإله فيضا يقتضي منه أن يشهد ذاته عين ذات الحق لمحقه فيها واستهلاكه فيها ويخرج في هذا الميدان بقوله سبحاني" لا إله إلا أنا وحدي" وكقوله جلت عظمتي وتقدس كبريائي وهو في ذلك معذور لأن العقل الذي يميز به الشواهد والفوائد ويعطيه تفصيل المراتب بمعرفة كل ما يستحق من الصفات غاب عنه وامتحق وتلاشى واضمحل وعند فقد هذا العقل وذهابه وفياض ذلك السر القدسي عليه تكلم به الكلام الذي وقع فيه خلقه الله فيه نيابه عنه فهو يتكلم بلسان الحق لا ذاته ومن هذا الميدان قول أبي يزيد البسطامي :" سبحاني ما أعظم شاني" وقول أبي يزيد البسطامي:" سبحاني ما أعظم شأني" وقول الحلاج" أنا الحق الذي لا يغير ذاته أمر الزمان وما في الجبة إلا الله " .

أنا شيء عجيب لمن رآني

أنا المحب وأنا الحبيب ما ثم ثاني .

وأقوال ابن الفارض مثل كثير وهذا ما يقتضيه الفناء والإستغراق في ذات الحق وهذا الأمر خارج عن دائرة العقل يدرك بالذوق وصفاء الاحوال فلا يعلم حقيقته إلا من ذاقه وتارة يكون الإستغراق للعارف والفناء في ذات النبي صلى الله عليه وسلم فيغيب عن ذاته في ذات النبي صلى الله عليه وسلم ببعض أسراره فإذا كسبت ذاته ذلك الشرف لا تشهد ذاته لا ذات النبي صلى الله عليه وسلم وما سوى هذا الإجتماع عند العارفين فما هو إلا أضغاث أحلام فإذا حصل للعارف هذا الإجتماع فيعلمه الله ببعض ما خص به نبيه صلى الله عليه وسلم من الخصوصية التي لا مطمع فيها لغيره صلى الله عليه وسلم فيتكلم بلسان النبي صلى الله عليه وسلم نيابة عنه في بعض ما اختص به النبي صلى الله عليه وسلم من الخصوصية العظمية التي له فيها علو وشرف على مراتب جميع الأنبياء والمرسلين وهو يخبر عما أعطاه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم معبرا عن نفسه فمن سمعه يظن أنه ينسب ذلك لنفسه في ذاته فإذا انفصل عن هذا الفناء والإستغراق ورجع إلى حسه تبرأ من ذلك الكلام لعلمه بمرتبته وقال:" أنا عبد فقير لا أملك لنفسي ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله" وسق يا أخي هذا المساق في كل ما تسمعه من الشيوخ مما يقتضي لهم شفوفا على مرتبة الأنبياء والمرسلين ومثل قول الدسوقي" أنا كنت مع نوح وأنا كنت مع عيسى" وغير ذلك ومثل هذا كثير وكل هذا لفنائه في ذات النبي صلى الله عليه وسلم مترجما عن مقاله وإياك يا أخي ومبادلة الإنكار على أولياء الله العارفين لأنهم هم أعلم منك بحقيقة الله وأنبيائه أعوذ بالله من سوء الظن بالله وبعباد الله الصالحين.

وهذا يغني الجواب ومن وراء ذلك مما لا يلحقه العقل ولا يأتي عليه نقل ولا يحل ذكره لبعده عن الأفهام انتهى وهذا الذي ذكرناه من الفناء للعارف في ذات الله وفي ذات النبي صلى الله عليه وسلم ليس هذا لكل ولي ولا في كل وقت من الأوقات بل هو خاص ببعض الأوقات لبعض العارفين الراسخين في العلم فتخلص من هذا أن الذي تكلم به الشيخ رضي الله عنه في حال فنائه في ذات الله مما هو مختص بأحكام الربوبية وفي ذات النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال رضي الله عنه :

ناداني من كل أمكان   اصدع وبشر الإخوان

بالقرب مع الأمان اللي تبعك محبوب

قوله:" ناداني" أي نا جاني كما يناجي أنبياءه وأولياءه الصالحين الغارقين في بحر قدسه الجالسين على بساط أنسه الذين هم أهل مكالمته ومحادثته الذين اصطافهم لنفسه وأما قوله:" من كل أمكان" المراد به الجهات الست .

وهي الأعلى والأسفل والأمام والخلف واليمين والشمال لأن كلام الحق ليس بمحيوز ككلام غيره بل هو كلام مطلق لا يتقيد بجهة كما أن المستمع إذا سمعه يسمعه بكل جريحة كما قال بعضهم " كلك سمع إذا نجاك حبيب تجلى سناه" .

وأما قوله " اصدع وبشر الأخوان" هذا إذن من الله وبشارة ليحصل الإطمئنان لجميع الفقراء، أخذ من قوله تعالى(يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوانه وجنات لهم فيها نعيم مقيم) وقوله " بالقرب مع الأمان اللي يتبعك المحبوب"، أي بشر الذي تبعك بحفظ العهد وصفاء الود بالقرب مع الأمان وكل هذا رضاء من ثم قال رضي الله عنه :

ناداني يا بوزيدي اصدع بشر عبادي

بالقرب والمزيد حاشا مر يدك محجوب

هذا البيت كله توكيد للأول في النداء ليحصل ويستر في ذهن السامع وفيه فائدتان: الأولى نفي الحجاب عن المنسوب إليه لقوله" حاشا مريدك محجوب " والمراد بالمريد أي المريد الصادق الذي أشرقت عليه أنوار التحقيق وقيل إن المريد هو الذي لا إرادة له مع شيخه فمن باب أحرى وأولى مع ربه فإذا تخلى هذا المريد عن الإرادة حصلت له الزيادة وتحلى بأحسن العبادة وهي متابعة الشيخ في أقواله وأفعاله لأن متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم قال تعالى " إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله" ومن تهاون في متابعة شيخه لا فائدة فيه كما قال صاحب الرائية :" وإن تسمو نفسك نحو الفقر فاطرح هواها وجنبها مجانبة الشر " .

قال شارحها: وإن ترفع همتك إلى طريق الفقراء وهي طريقة التصوف فاطرح هوى نفسك فيما تختاره لنفسها من وجوه التعبدات وأنواع القربات دون أن يأمرها به الشيخ ويباعد هواها في ذلك مباعدة الشر يريد أنّ فلاح المريد بما يختاره له الشيخ لا فيما يختاره هو لنفسه وإن كان يختار لنفسه هلك.

قلت وكم من مريد سقط من هذا الباب لأن المريد قبل الفتح عليه إذا اختارت له نفسه الإكثار من النوافل والصيام والقيام فربما كان ذلك للشهرة والسمعة والرياء فيصير عمله لغير الله والله لا يحب العمل المشترك فإذا رحمه الله بالشيخ المربي وجمعه به فإنه يرى ذلك علة فيه فيريد نقله عنها فإن ساعفه المريد وسبقت له العناية من الله تعالى دله على ما يليق به وانتقل به إلى حاله مرضية عند الله تعالى وإن لم يساعفه المريد وقال :
جئناه ليزيدنا فجعله ينقصنا وخسرت نيته في الشيخ المربي فهذا قد يستحوذ عليه الشيطان ويستحكم عليه الرياء والخسران فنسأل الله السلامة والعافية بمنه وكرمه .
وأما الفائدة الثانية : التي في البيت المذكور فهي تعريف نفسه هو مولانا الحبيب البوزيدي الشريف الحسني المستغانمي أصلا ومسكنا لأنه من ذرية فاطمة البتول بنت الرسول والإنتساب إليه صلى الله عليه وسلم من أعلى المراتب لأن لقرابته فضلا على غيرهم كما قال الصديق رضي الله عنه : لقرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم عندي أفضل من قرابتي .
وقال الشعراني رضي الله عنه (وما أحسن ما أورده الشيخ الكبير في الفتوحات شعرا):

فلا تعدل بأهل البيت خلقا ... فأهل البيت هم أهل السيادة
فبغضهم من الإنسان خسران ... حقيقا وحبهم عبادة

وفي " المنن" للشعراني رضي الله عنه قال: ومما منّ الله به على صحبة الأشراف وأهل البيت وو من قبل الأم فقط ولو كانوا على غير قدم الإستقامة لأنهم بيقين يحبون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ومن أحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم لا يجوز بغضه ولا سبه. لقرينة هي أنّ صلى الله عليه وسلم كان يحد نعيما كلما شرب الخمر وأتوا به إليه مرة فحده فصار بعض الناس يلعنه فقال صلى الله عليه وسلم :
" لا تعلن نعيما فإنه يحب الله ورسوله" فاعلموا أنه لا يلزم من إقامة الحد على الشرفاء أننا نبغضهم بل إقامتنا الحدود عليهم إنما هو محبة فيهم وتطهير لهم وقال سيدي محي الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه :
الذي أقول به " أن ذنوب أهل البيت إنما هي ذنوب في الصورة لا في الحقيقة" لأن الله تعالى غفر لهم ذنوبهم بساق العناية لقوله تعالى " إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل

البيت ويطهركم تطهيرا " ولا رجس أرجس من الذنوب.قال : وجميع ما يقع منهم من الأذى لنا يجب علينا في الأداب معهم أن نجعله شبيها بالمقادير الإلاهية من أمراض ونحوها فيجب علينا الرضى بها والصبر عليها وإن أخذوا أموالنا ولم يعطوها لنا لا ينبغي لنا حبس أحد منهم ولا رفعة إلى الحاكم لأنه بضعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الإمام أبو بكر رضي الله عنه يقول :"راقبوا محمدا في أهل بيته" .

قال الشعراني رضي اله عنه: سمعت سيدي علي الخواص رحمه الله يقول:" حق الشريف علينا أن نفدوه بأرواحنا لسريان لحم رسول صلى الله عليه وسلم ودمه الكريمين فيه" .

وقال بعض العلماء: ومن حقوق الشرفاء علينا وإن بعدوا في النسب نؤثرهم على أنفسنا وشهوتنا ونعظمهم ونوقرهم ولا نجلس فوق سرير وهم على الأرض، وكان سيدي ابراهيم المبتدي رضي الله عنه إذا جلس أمامه شريف يظهر له الخشوع والإنكماش بين يديه ويقول أنه نطفة من رسول صلى الله عليه وسلم انتهى " من نور الأبصار"ولا زال الكلام في منا قبهم وإنما اقتصرت على هذه النزر القليل بقلوب المحجوبين الذين لا يعرفون لهم قدرا ويقع في بغض ذريته بغض له لأن الله تعالى أوصى بتوقيرهم واحترامهم بقوله :" قل لا أسألكم عليه أجرا "إلا المودة في القربى " اللهم ارزقنا محبتهم. ثم قال رضي الله عنه :

الحمد لله الذي　　　　قوى لي مدادي

نسقي من أتى عندي　　　　يشرب غاية المشروب

أتى بالحمد اقتداء بالكتاب العزيز وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم " أن الله عز وجل يحب أن يحمد" وأخرج الديملي مرفوعا " أن الله يحب الحمد يحمد به ليثيب حامده وجعل الحمد لنفسه ذكرا ولعباده ذخرا " .

وفي " البدر المنير " .

حمد الله أمان للنعمة من زوالها، فلذلك حمده هنا رضي الله عنه لما أنعم الله عليه بهذه النعم التي من أعظمها معرفة الله، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" رأس المال معرفة الله " أعقبها بالحمد والشكر إمتثالا لقوله تعالى:" لئن شكرتم لأزيدنكم " وقال صلى

الله عليه وسلم :" قيدوا نعمكم بالشكر" وقال بعض العارفين: من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها. ثم قال رضي الله عنه :

يشرب كأس المعاني يفن عن كل فان

يغيب في ذات الغالي يشاهد علام الغيوب

قوله " يشرب كأس المعاني" أي كأس التحقيق الذي يغيب به عن التفريق وقوله " يفن عن كل فان " أي عن الموجودات في شهود الذات الجامعة للأسماء والصفات وقوله " يغيب في ذات الغاني" أي يغيب عن حسه ورؤية نفسه في رؤية ربه كما قال رضي الله عنه " يشاهد علام الغيوب" .

والكلام على هذا البيت داخل في شرح البيت المتقدم مما ذكرناه في حقيقة الفناء.

صلى يا رب على من نوره تجلى

يا ذا الجود والجلالة يا مفرج الكروب

ختم بالصلاة على رسول اله صلى الله عليه وسلم امتثالا لأمر الله تعالى حيث قال يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما"، ولقوله صلى الله عليه وسلم :" من صلى علي في كتاب م تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب " وقوله صلى الله عليه وسلم :" أكثروا من الصلاة علي لأن من أكثر الصلاة علي في حياته أمر الله جميع مخلوقاته أن تستغفر له بعد موته "، وقال عليه الصلاة والسلام:" أكثروا من الصلاة علي نور في القبر ونور على الصراط ونور في الجنة" وأما قوله " يا مفرج الكروب " .

لا شك أن من توسل له بنبيه صلى الله عليه وسلم فإنه يفرج كربته لأنه هو باب الله الأعظم وبه تقضى الحوائج.

انتهى شرح سيدي الشيخ أحمد مصطفى العلاوي رضي الله عنه ونفعنا به سيدي الشيخ البوزيدي رضي الله عنه أيضا :

وله أيضا رضي الله عنه

يا عاشق المعنى أقرب لي وداني

لتسقى خمرنا في كؤوس الراح

خمرتنا فاضت بالكأس امتزجت

لما تعاظمت غيبت الأقداح
نارت واستنارت عظمت وانتشرت
كثرت واتحدت ذي الخمرة يا صاح

يوجه شيخنا النداء لعاشق المعنى والمقصود بالمعنى الحقائق الإلاهية والأسرار والأنوار الربانية .

" أقرب لي وداني" ومن وسائل القروبات والدنو (القرب والدنو مترادفان)" المحبة للمشايخ وتتجسد في خدمتهم وطاعتهم لهم فيما يرشدون إليه والعمل بنصيحتهم قصد استعطاف قلوبهم علينا، والغاية من الإتصال بالمشايخ التحصيل على رضوانهم فإن رضاهم وهمتهم تسمو بنا إلى مشاهد الكرام والتخلق بالأخلاق النبوية." لتسقي خمرنا في كؤوس الراح" والغرض من خدمة المشايخ والأخد بنصائحهم كما سبق آنفا أن يسقونا أو يلقنونا هذه الغيبيات عن العوام والإطلاع على أسرار الروحانية والملكوت المعبر عنها بالخمرة" لتسقي خمرنا في كؤوس الراح " والمقصود بكأس الراح الأناء الموجود فيه هذا الراح وهو نوع من الخمر وكل من شربه غمره النشاط والأفراح، هذا عن ظاهر هاته الجملة، وأما المقصود في مصطلح ساداتنا العارفين بالله الكأس المراد بها الأستاذ أو الشيخ الذي مكنه الله تعاى من الوسائل البيداغوجية للدعوة إلى هذا الفن فيبين ويرشد المريدين بكيفية لا يدرون كيف جذبهم الشيخ بها لإمتلاك هذا المعنى من مقام الحيوانية الأسفل إلى أعلى مراتب كمال الإنسانية بدون أن ينفرهم أو يزعجهم بل يقذف في قلوبهم محبته ومحبة مجالس الذكر والعلم والتفقه والمعرفة والعبادات وأنواع القروبات إلى الله بحيث يكاد يكون المريدون بمثابة الظل لشيخهم ويصبحون نسخة منه، حالهم حاله، ومشربهم مشربه، وذوقهم ذوقه، وعلمهم من علمه، ومعرفتهم من معرفته .

" خمرتنا فاضت بالكأس امتزجت "

ولقد سبق لي أن قلت كلام سادتي العارفين بالله رموز وإشارات إذ يشيرون بالمفردة الواحدة إلى عدة معاني مختلفة على حسب استعماله هاته المفردة في الجملة إلى عدة معاني مختلفة على حسب استعماله هاته المفردة في الجملة حتى قالوا:" كلامنا إشارة ومن لم يفهم الإشارة لم يفهم العبارة" فستروا أمرهم بهذه الرموز .

والمقصود : خمرتنا فاضت " فإذا فاض الشيء خرج بكثرة عن وعائه فإذا أصبح الشيء أكبر من الظرف الذي وضع فيه فاض وتدفق.على أن سادتنا لا يحبون الظهور ويلتزمون بالخمول ويتسترون على عامة الناس لأن ليس لهم شأن بالناس وإنما شأنهم برب الناس، وإنما يظهرهم الله تعالى للمحظوظيين من خلق الله تعالى وفي هذا السعادة الكبرى ألا وهي المعرفة بالله والمحافظة عليها فيتخذونهم أئمة ولا يكون لهم (أعني المريدين والتلاميذ) أيّ وجودٍ مع شيخهم، فالشيخ هو الكأس الممزوج بالخمرة" والأقداح" وهي الأوني الصغيرة المراد بها المريدين الذين غابوا عن حظوظهم النفسانية في حب الله تعالى لما سقاهم الساقي بهذه السقاية الطيبة.

" أنارت واستنارت عظمت وانتشرت"

لما تنورت قلوب مريدي الله طلبوا المزيد من النور " نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء " صدق الله العظيم.

" عظمت وانتشرت"

عظمت صفات الله القدسية لديهم وانتشرت أسماء اله الحسنى عندهم على سائر مخلوقاته حتى قالوا في مصطلحهم " ما من ذر في الوجود إلا وعليها اسم من أسماء المعود".

" كثرت واتحدت"

كثرت أجناس المخلوقات والخالق لهم واحد فعرفه العارفون في كثرة خلقه أنه الواحد الخالق أي اتحدوا مع مصدر الخلق وهو سر الله تعالى .

" كن فيكون"

" وأما ذي الخمرة يا صاح" وذي اسم اشارة والخمرة المشار إليها بإشارة التعظيم والتسليم لله عز وجل وقوله يا صاح حذفت منه الباء للترخيم والقافية وهذا بمعنى يا صاحبي .

داوود بها غنى بالزبور حنى

نوح بها كان كثير الأنواح

عيسى بها نطق في المهد تحقق

بهذا يا عاشق كان من السواح

وكل الأنبياء والرسل جاؤوا بهذا المعنى المشير إلى الأحدية، إلى لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول " أفضل ما قلت أنا والنبئيون من قبلي إله إلا الله " .

ومن الخصائص التي خص الله بها سيدنا داوود عليه السلام في الدعوة إلى الله تعالى أن رزقه صوتا حسنا يؤثر حتى في الجمادات فضلا عن الحيوانات سواء أكانت عاقلة أم لا، ويكفينا قول اله تعالى" يا جبال أوبي معه بمعنى" سبحى الله ووحدي معه فهذا هو معنى " داوود بها غنى" أي بلا إله إلا الله .

"بالزبور حنى" وهو الكتاب المقدس المنزل على سيدنا داوود عليه السلام كلما تلاه ورتله ازداد حينا إلى الله تعالى ومحبة وشوقا، وكذلك تلاوة القرآن العظيم فهي عبادة تحيا بها القلوب وتتنور مع نيل الأجر من الله تعالى على مجرد التلاوة سواء بفهم أو بدون فهم .

" نوح بها كان كثير الأنواح " أي بلا إله إلا الله وبالدعوة إلى لا إله إلا الله فكان ينوح على تعس وشقاوة قومه إذ لم يستجيبوا إلى لا إله إلا الله، وبالدعوة إلى لا إله إلا الله فكان ينوح على تعس وشقاوة قومه إذ لم يستجيبوا إلى لا إله إلا الله، ومع ذلك لم يقتصر في دعوة قومه إلى الله بجميع الأساليب وبما آتاه الله تعالى من حكمة ومواعظ حسنة، وقال نوح " رب إني دعوت قومي ليلا ونهارا فلم يزدهم دعاني إلى فرارا وإني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارا ثم إني دعوتهم جهارا ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسرارا فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا" صدق الله العظيم ولكن سبق في علم الله تعالى أنه لن يؤمن معه إلا القليل من قومه وصدق الله العظيم إذ يقول :" قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل " بالرغم من طول زمان دعوة سيدنا نوح لقوله إلى الله " فلبث فيهم سنة إلا خمسين عاما فأخذهم الطوفان وهم ظالمون" الآية .

عيسى بها نطق في المهد تحقق

هذا يا عاشق كان من السواح

وكما هو معروف فأن النبوة لا تدرك إلا عند نحو الأربعين سنة، فهذه القاعدة المعروفة، ولكن من المستثنيات لهذه القاعدة نبوة يحي ونبوة ورسالة عيسى عليهما السلام حيث أنطقه الله تعالى في المهد صبيا حينما تعجب قومه من أمر أمه مريم الطاهر العذراء عليها السلام .

قال اله تعالى في محكم التنزيل " وأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا أخت هارون ما كان أبوك امرء سوء وما كانت أمك بغيا فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتي ولم يجعلني جبارا شقيا " صدق الله العظيم.

وهذه قصة عيسى عليه السلام تثبت ما جاء به اللقاني في جوهريته " ولم تكن نبوته مكتتسبة" ولو ارتقى في الخير أعلى درجة .

فالرسول في الأزل وعلم الله تعالى القديم جعله رسولا والنبي كذلك والولي كذلك فلله المنة على عباده والشكر على فضله " ذلك فضل الله يوتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم" . الآية .

فهذا معنى بها أي بلا إله إلا الله نطق وفي المهد تحقق ولقب بالمسيح لكثرة تنقله وسياحته للدعوة إلى الله تعالى وتبليغ رسالته أو قيل لقب المسيح من المسح فمسح طغيان وظلم وغلظة وجفاء بني اسرائيل ونشر المحبة والوئام بين الأنام لأن رسالته كانت تدعو إلى الروحيات والمحبة والأخوة والشفافة والرحمة وأما في المعاملة فلقد أقر الإنجيل ما كان موجودا في التوراة وهذا هو معنى قول الشيخ " بهذا يا عاشق كان من السواح"

عشاقها هاجوا بالوجد وما جوا

كلهم خرجوا من سجن الأشباح

طبعا لكل عاشق هجيان نحو معشوقة وتلك القوة التي تدفع بالحبيب أن يقتحم المكاره ويضحّي بالنفس والنفيس من أجل محبوبه" بالوجد وماجوا" والوجد وهو الإستعداد الممزوج بالميول ليتلذذ الحبيب بمحبة المحبوب فتنقلب اللذة الشهوانية التي كانت قبل المحبة الربانية إلى لذة طاهرة قدسية نورانية أبدية تزهده في جميع لذات الدنيا حتى لا

تؤثر فيه كأنما يتخبط في بحر للمحبة متلاطم الأمواج فهذا معنى وماجوا في وسط أمواج المحبة .

" كلهم خرجوا من سجن الأشباح" .

وكل من كان من العارفين الربانيين في هذا الحال، خرج من عالم الحسو الماديات إلى عالم المعنى والروحيات، فيخرج من الملك ويعرج إلى الملكوت فهذا هو معنى " خرج من سجن الأشباح" كالكتكوت الذي كان سجين بيضته فإذا اضطرب بأعضائه وهاج للتشوق إلى عالم أوسع وأطهر من عالمه البيضاوي فلا بد أن يكسر تلك البيضة ويفقصها ويخرج من ظلمات بيضته إلى عالم النور، وهكذا مثل الأرواح بالنسبة للأشباح، فالأشباح سجن الأرواح وصدق سيدي شعيب أبو مدين إذ يقول " من كانت لنفسه عليه بقية، لا تعطي له الحرية" .

أنوارها سطعت		من ذاتي ظهرت

شمسها طلعت		في سماء الأرواح

" أنوارها سطعت" أنوار لا إله إلا الله سطعت من الحضرة المحمدية .

" من ذاتي ظهرت" بمعنى أن الهدى المحمدي مني ظهر حيث أصبح شيخنا خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله تعالى من ذاتي ومن جوارحي المسخرة بفضل الله تعالى في طاعته وطاعة نبيه كأنما كنت نسخة من الأصل المحمدي فهذا هو المعنى الذي عبر عنه بقوله " من ذاتي ظهرت" كما قال البصيري رحمه الله تعالى في مدح سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

فهو شمس فضل هم كواكبها

يظهرن أنوارها للناس في الظلم

فرسول الله صلى الله عليه وسلم شمس الهداية لأن الشمس نورها من ذاتها ونور الكواكب مكتسب من نور الشمس فأشعة الشمس سطعت على ظهر هذه الكواكب فأظهرتها في الظلام إلى الناس ويقصد البصيري رحمه الله تعالى " هم كواكبها جميع الأنبياء والرسل الذين كانوا من قبله يدعون إلى الله وجميع الأولياء والصالحين المرشدين الذين جاءوا من بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ".

" شمسها طلعت في سماء الأرواح "

فإنّ الأنوار المحمدية لا تغشى إلا الأرواح الطاهرة السامية المؤهلة للرتب العالية .

والإذن قد أتى	والأمر يا فتى
لنفسي من أتى	عن قطب الفلاح
أتى الإذن ساطع	اقدم يا منازع
ترى الأمر واقع	ما بين الملاح
محمد يا صادق	يا بحر الحقائق
أنت مأوى العاشق	يا طيب الأرواح
بك طاب حالي	بلغت الكمال
وبدا إجمالي	لأهل الصلاح

ما قام داع من الرسل يدعو إلى الله تعالى أو الذين أهلهم الله تعالى إلى مقام الإرشاد إلا بإذن من الله ورسوله وصدق الله مولانا العظيم إذ يقول " يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك" وأيضا قول الله تعالى " وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك من اتبعك من المؤمنين" وقول الله تعالى " يأيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا" .

وكذلك قول الله تعالى " يأيها المدثر قم فأنذر" إلى آخره، فبهذه الآيات أوجب الله تعالى على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن يدعو إلى الحق بكلمة التوحيد لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإى المعاملة الحسنة ما بين الخلق وفي نفس أمر للقيام بالدعوة إذن كذلك والمأذون مأمون، ومن هنا يتجلى أن ليس كل من فتح الله عليه بأسرار هذه الحقائق الإلاهية والأنوار القدسية داعيا إلى الله إلا إذا أذن الله له، وإلا فإنه يغامر بنفسه ومن اتبعه وهنا يقول الشيخ سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي والإذن قد آتى والأمر (كذلك) .

يا فتى لنفسي من أتى عن قطب الفلاح وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يقال " كل ولي على قدم نبي" ومشايخ تطهير النفوس وتنوير الأرواح الموصلون إلى حضرة الله وحبيبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم على قدمه وصدق رسول الله صلى الله

عليه وسلم إذ يقول " لا يبلغ عني إلا من كان مني " وهذا خطاب موجه لسيدنا علي كرّم الله وجهه ورضي الله تعالى عنه ثم يؤكد ذلك الشيخ قال " أتى الإذن ساطع" وبمعنى ظاهري " يامن نازعتني فيه أقدم تر بالعيان الأمر واقعا" !!" ما بين الملاح" والقصد بالملاح الذين فتح الله عليهم من المريدين على يد الشيخ، ترى كيف تغيرات أحوالهم من سوء إلى حسن ومن حسن إلى أحسن إثم يتوجه الشيخ بالثناء إلى مصدر الحقائق والرحمة المهداة فيقو" محمد يا صادق يا بحر الحقائق " وكل واحد من السعداء جعلنا الله منهم قد أخذ من هذا البحر على حسب استيعابه واستعداده ومحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم،ورحم الله سيدي البصيري إذ يقول :

وكلهم من رسول الله ملتمس

غرفا من البحر أو رشفا من الديم

" أنت مأوى العاشق" أنت بمعنى يا رسول الله .

" مأوى العاشق"

محطة وملجأ لجميع العشاق ولا يلجونها إلا بإذنك ورضوانك.أنت باب الله، وبواب حضرة الله، ومن أراد أن يدخل فعليه أن يتبعك قولا وفعلا وحالا .

يا طيب الأرواح" يا معالجها بالعناية والرأفة والملاطفة في دعوتك إلى الله وصدق الله حيث أمرك ".

" ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن" وهذا في بداية الدعوة إلى الله تعالى وقد نسخت بقول الله تعالى " يأيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم" وأما دعوته صلى الله عليه وسلم للمؤمنين في معالجة أحوالهم والنهوض بهم إلى مقام الكمال فهي ما تزال بالرفق والملاطفة والمحبة، فاللهم صل وسلم وبارك عليه.ثم يواصل شيخنا ويؤكد هذه المعاني التي أراد تبليغها فيقول :

بك طاب حالي بلغت الكمال

وبدا جمالي لأهل الصلاح

ثم يبين نسبه الشريف بأنه منحدر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول محمد أصلي في الحسن يقصد بها الأشباح والمعنى يقصد بها الروح فهو أصل لشبحه وروحه بأنه جاء يبلغ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الأسرار الربانية .

" به اجتمع شملي بعضي صار كلي" فإذا كان الفرع موصولا بأصله لم يبق فرعا بل يصبح بالإتصال أصلا كله وهذا هو معنى " اجتمع شملي" .

" بعضي صار كلي" .

وضاء المصباح بمعنى تنور العقل والبصيرة فصار على هدى من الله تعالى فلله المئة والشكر ثم يختم فيقول :

فمن نظر نظمي	ما يبقى وهم
ومن عرف اسمي	يبشر بالأرباح
لما شرب موسى	خمرة الكؤوس
فلقى بالعصا	وكسر الألواح

وله أيضا رضي الله عنه وقدس سره :

يا مريد النجاح	وحضرة الفلاح
تمسك بالصلاح	سادتي ناس الجود
أفن عن كل الحس	وادخل حضرة القدس
تجلس بساط الأنس	يحصل لك المقصود

وهنا لا زال شيخنا جزاه الله عنا خيرا ينادي ويرغب ويدعو إلى الله تعالى بجميع الأساليب السليمة الرامية إلى تحريك المريدين ودفعهم إلى السير على أقوم طريق إلى الله تعالى " وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه" صدق الله مولانا العظيم فقال :

" يا مريد النجاح" بمعنى الفوز والفتح المبين والنصر المظفر " وحضرة الفلاح" أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون " .

" تمسك بالصلاح "أي بأهل الصلاح وتقوى الله"ولباس التقوى ذلك خير" والتقوى هي امتثال الأوامر واجتناب النواهي ألا وهي التوبة النصوح لله تعالى، ومن شروط اتوبة الإقلاع عن الذنب والندم على فات وأن لا يعود إلى ما كان عليه ورد مظالم الناس .

والتائب هو الراجع إلى الله تعالى خوفا منه وهذا شرط أولي وأساسي في السير إلى الله تعالى .

ومن شروط السير إلى الله صحبة الدليل الذي يدلك على الله ولا بد من الإنخراط بالإتباع والإنتفاع والإحتكاك بالصالحين ولقد عبر عنهم الشيخ رحمه الله تعالى فقال :" سادتي أهل الجود" " سادتي" لقد نالوا السيادة القعساء والسيادة من السواد وهو الغبار الذي يتقدم الفرسان من بعيد حتى إذا وصلوا انكشف هذا السواد وظهر الفرسان فهو على كل من كان في المقدمة سباقا إلى الخير فنقتدي ونهتدي بأقواله وأفعاله وحاله وأما الجود فهو العطاء بلا سؤال لأن الله سبحانه عز وجل أكرمهم بالإطلاع على أحوال المخلوقات وكشف لهم سر سريرتهم يعالجون بالمنح والتفضل والتكرم وبلا سؤال من هذه المخلوقات، وقد خصهم الله تعالى بالكرم فهم لا يبخلون إزاء من قصدهم بنية ومحبة ويكرمون بالإكرام الحسي والمعنوي.

ولقد نزههم الله تعالى وحفظهم من رذيلة البخل والشح حتى قال قائلهم من أقبح القبيح صوفي شحيح.وأما قول الشيخ في البيت الثاني " أفن عن الكل الحس" أي لا تتأثر بجميع المنافع الحسية ولا تتأثر، إن أقبلت إليك أو أدبرت عنك لأن أمرك بيد الله سبحانه عز وجل ومالك من النعم الحسية إلا ما كتب الله لك .

ولما كان ذلك بأمر من الله تعالى فلك أسوة حسنة من دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم المأثور " اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا" والحس مهما كان على اختلاف أنواعه من مال وسلطة وجاه فهو معرض للفناء والزوال، وكيف حال من اعتمد على الفاني الزائل بزوال الزمان؟ لا شك أنه من المغرورين الذين خيب الله سعيهم إثم يحرضنا شيخنا وهو الحريص علينا فيقول :" وادخل حضرة القدس" .

وهذا الموطن المنسوب إلى الله تعالى لأن من أسماء الله الحسنى القدوس والياء المتصلة بهذا الإسم ياء النسبة أي بأن هذه الحضرة الطاهرة منسوبة إلى اله تعالى القدوس والقداسة هي الطهارة والنزاهة وإذا قلنا رجل قديس فهو منسوب إلى الله تعالى لما أكرمه سبحانه عز وجل به من الطهارة الحسية والمعنوية فهو العارف بالله الذي قلبه وعقله وجوارحه فسخره تعالى بكله وأجمعه لطاعته .

طبعا إذا أصبح المريد الذي يريد وجه الله محبة وشقا لا يتأثر بالحسيات بأن أكرمه الله تعالى بدخول موطن رضوانه وقدسه فإنّ الله تعالى يجلسه على بساط أنسه وذاك معنى قول شيخنا " تجلس بساط الأنس" أي لا يستأنس إلا بالله لأن مقصود هذا المريد قد تم وأصبح في اتصال مباشر مع الله سبحانه عز وجل، وتحطمت السدود ورفعت الحجوب وصار من الذين يفقهون قول الله تعالى " وفي أنفسكم أفلا تبصرون" وينقلب الأنس أنس العوام وهو الإستئناس بأمثالهم أو بعبارة أخرى غافل عن الله استأنس بغافل، فهذا يصير عند العارف (وحشة) ولا يستأنس إلا في خلوته بربه حتى قال قائلهم " حكم الذاكر مع الغافلين غافل " عن الله " .

فلا يجوز لذاكر الله سبحانه عز وجل مجالسة العوام إلا ليذكرهم بالله .

لأنهم قالوا رضي الله عنهم :" مجالسة العموم سموم " .

وبعدما أشار شيخنا رحمه الله تعالى إلى هاتين المنزلتين أي حضرة القدس والجلوس على بساط الأنس وهما غاية كل مريد صادق في سيره إلى الله، انتقل شيخنا رضي الله تعالى عنه إلى إبراز الوسائل الموصلة إلى هذين المقامين المشار إليهما أعلاه فقال :

أذكر اسم الإله	با هي يا من تباهي
واترك كل الملاهي	أهل النفس والجحود
أذكره بالدوام	بعشق واصطلام
واغن عن الأنام	في رؤية المعبود
أذكره يا مريد	يا طالب المزيد
ذي حضرة التفريد	مخصوصة للأسود
أذكر يا خلي واشطح	تصير من أه الشهود
ادخل حضرة الصفا	أهل الجود والوفا

واتبع نهج المصطفى ومراعاة الحدود

أما قوله " أذكر اسم الإله"، المقصود به الأسم الأعظم" الله" فهو اسم الذات وجمعت فيه جميع معاني أسماء الصفات والأفعال فإنك إن ذكرته به فكأنك ذكرته بجميع أسماء الله الحسنى وعليه سمي بالإسم الأعظم .

وقيل الإسم الأعظم هو البسملة بسم الله الرحمان الرحيم.وأما قوله " يا هي يا من تباهي"بمعنى اذكره باعتزاز وافتخار في الخلا والملأ فلا تكن لك عقدة نفسية أو تستحي بهذا الذكر خشية من العوام الغافلين فإن هذا الذكر مرضاة الرحمان ومدحرة الشيطان، فالشيطان يبتعد عنك ورحمة الله تتنزل عليك ثم يوضح ذلك فيقول :" واترك كل الملاهي"أي لا تشغلك عن ذكر الله والطاعات لتكون من الذين ذكرهم الله تعالى بقوله " رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار ليجزيهم الله أحسن ما عموا يزيدهم من فضله " .

وأما قوله " أهل النفس والجحود" وهم الغافلون عن الله المحجوبون بحجب النفس والأمارة بالسوء والجحود وجميع الخبائث حتى قيل" إنّ للنفس من النقائص ما لله من الكمالات".

وقوله أذكره بالدوام بعشق واصطلام" كما قال سيدي شعيب أبو مدين رحمه الله تعالى " ونفعنا به، الذكر هو دوام الحضور ومشاهدة المذكور ".

لا ينبغي علينا أن نذكر ثم ننقطع عن الذكر فإن م نذكر أنفسنا بالله فلها من يذكرها بغير الله ويرضها على المعاصي ويزينها لها حتى تقع فيها حفظني الله وإياكم، ولهذا قال :" أذكره بالدوام" لنكون أشبه بالملائكة الذين ما خلقهم الله إلا لذكره وتسبيحه وطاعته، الذين وصفهم الله تعالى أي الملائكة" ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون يسبحون الليل والنهار لا يفترون " وقول الله تعالى " يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون" .

وأما قوله " بعشق واصطلام" هذه مترادفات تعبر عن نهاية درجة المحبة إذا عظمت صات عشقا والعاشق هو الذي لا يستطيع أن يعيش ولو لحظة مفصولا عن معشوقة فيضحي بجميع ما أوتي، بالنفس وبالنفيس في سبيل نيل رضوانه والعشق هو الحب الذي يجعل يذل الحبيب يلتذ بمحبوبه ويذل له أو بعبارة أخرى فالحبيب يذل ويخضع لمحبوبه ويفعل جميع ما أمره وما أشرطه عليه في سبيل نيل رضوانه .

وأما قوله " وأغن عن الأنام في رؤية المعبود" .

من استغنى عن الأنام افتقر إلى الله تعالى ومن افتقر إليه أغناه الله كما قال الله تعالى " إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله " .

ومن افتقر إلى الناس لا ينال منهم إلا الهوان والإستخفاف، لهذا نصحنا شيخنا رحمه الله أن نعلق همتنا بالله ولا نعلقها بالناس لأن الأمر ليس بهم ولا بأيديهم، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يوجه تلك النصيحة لإبن عمه عبد الله بن العباس رضي الله عنهما خاصة ولكافة المسلمين عامة قال صلى الله عليه وسلم:" يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعونك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام، جفت الصحف".رواه الترميذي .

" في رؤرية المعبود" .

وإذا تحقق في نفسك الأمر أن لا حول ولا قوة إلا بالله تأكدت يقينا أن جميع المقادير خيرها أو شرها صادرة من المعبود فقط.

أذكره يا مريد	يا طالب المزيد
ذي حضرة التفريد	مخصوصة للأسود

فليس هناك نهاية لمقام الكمال مهما كان المقام كاملا وحسنا إلا وهناك مقام أكمل وأحسن وإن إلى ربك المنتهى، فهمة المشايخ ترقينا من مقام إلى مقام ولا ترضى لنا الركون فضلا عن التقهقهر والنكوص، لأنه كما قيل " من لم يكن في الزيادة فهو في النقصان ومن كان في النقصان فالموت خير له" لهذا أمرنا أن نطلب المزيد من المعرفة والترقي والإجتهاد في الطاعات فقال " يا طالب المزيد ".

وقوله ذي حضرة التفريد مخصوصة للأسود " أو بعبارة محطة أو مقام التفريد فمن أحله الله تعالى في هذا المقام رأى بنور الله تعالى جميع الأشياء على اختلاف أجناسها وألوانها فالذي أوجدها من العدم إلى الوجود هو اله الفرد أحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤًا أحد ".

" هذا المقام أو هذه الحضرة مخصوصة للأسود" .

" ومن الأسود" ويقصد صفة الأسد ألا وهي الشجاعة وفي عباد الله الصالحين، وبها دعوا النفس الأمارة بالسوء والهوى وابليس اللعين المتمرد عن طاعة الله بل هؤلاء يخشاهم الشيطان لأنهم نورانيون والنور يحرق النار، وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال في سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه ما سلك عمر فجًا إلاّ وسلك الشيطان فجًّا آخر " رضي الله تعالى عن سيدنا عمر الحق والفاروق.

اذكر يا خلي واشطح   وللحضرة لا تبرح

لازمها أخي تفلح   تصير من أهل الشهود

ويقصد بيا خلي الخليل كما قال صلى الله عليه وسلم فالمرء على دين حخليله أحدكم من يخالل.

وحتى يتسنى لنا الحصول على هذه الخلة فيجب علينا أن نكون نسخة من الأصل أو بعبارة أخرى فنحن فرع ومشايخنا أصل وما يجري في الأصل يجري في الفرع بمعنى نكون على قدمهم سائرين إلى الله ولنقتدي بأقوالهم وأفعالهم حتى نتقمص حالهم، وإذا كان فينا حالهم فكيف لا نشطح إذا غمرنا غاية المقصود، مما يسرنا ويفرحنا فنهتز إهتزازا قويا شكرا لله تعالى وهذا ما يسمى بالشطحة أو الحضرة أو العمارة بعبارة أخرى .

" للحضرة لا تبرح"

أي لا تنقطع عن الحضور مع الحاضرين الذاكرين الله العارفين به .

" لا زمها أخي تفلح " .

كما قال سيدنا شعيب أبو مدين " ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح" .

" تصير من أهل الشهود" .

نعم من أكرمه الله تعالى بفضله وساقه إلى العارفين بالله وأكرمه بصحبتهم فصار من عدادهم مددهم وصار من أهل الشهود الذين رفع الله عنهم حجب الغفلة فتنورت أبصارهم وبصائرهم فصاروا يبصرون بنور الله فهذا معنى "أهل الشهود".

أدخل حضرة الصفا   أهل الجود والوفا

إن هؤلاء طهرت سريرتهم وأنفسهم من الأغيار والأكدار وتروحنت فكانوا من أهل الجود والوفاء.والجود عرفناه فيما سبق هو العطاء بلا سؤال والوفاء كما جاء في قول الله تعالى " يوفون بالنذر" صدق الله العظيم. يؤدون ما اوجبوا على أنفسهم من فعل الخيرات. ورحم الله سلطات العاشقين سيدنا عمر بن الفارض إذ يقول في هذا المعنى " إذا جاد أقوام بأموالهم رأيتهم يجودون بالأرواح منهم بلا بخل وأما قوله " واتبع نهج المصطفى ومراعاة الحدود" بمعنى كن محافظا على حدود الشريعة فذاك نهج المصطفى صلى الله عليه وسلم وما الدخول إلى موطن رضوان الله تعالى إلا من باب الشريعة وفقني الله وإزياكم إلى اتباع نهج المصطفى والعمل بالكتاب والسنة، وبعدما نصحنا باتباع السيرة النبوية والمحافظة على حدود الشريعة أعني العمل بالكتاب والسنة، ونتيجة هذا العمل أن يفتح الله لنا بفضله وكرمه باب معرفته، ويتأتى لنا الوصول المعرفة إلى المحمدية والأحدية بذكر الله تعالى وفيه مراحل بداية ووسط ونهاية فالبداية فهو ذكر اللسان والوسط ذكر القلب والنهاية هو ذكر سر السر (وهو الإستغراق في بحر عظمة الله والحيرة فيها) .

فبدأ في كيفية الذكر بالبداية فقال رضي الله تعالى عنه :

اذكر ذكر اللسان بتغميض العينين

وامح جمع الأكون في جمال المعبود

فهذه كيفية بداية الذكر كما أسفلت آنفا فالكيفية هي أن تذكر الإسم الأعظم " الله" . وتمنح كل حرف من الإسم حركتين من الصوت أي من نفس الصوت فالألف الموجودة في بداية الإسم الأعظم وعليها ألف ممدودة فوقها وهذا في الرسم، تعطيها أربعة حركات في أنفاس الصوت واللامين المشددين وأمامهما ألف محذوفة وفوقها ألف ممدودة، فلكل حرف حركتان فللام الأولى من الله حركتان زائد حركتين للام الثانية من الإسم الأعظم زائد حركتين للشدة التي جاءت فوقها وللألف المحذوفة التي أمامهما زائد حركتين أيضا وللمدة التي فوق الألف المحذوفة كذلك زائد حركتين ثم لحرف الهاء حركتان كذلك ولما كان مخرج هذا الحرف من البطن يسكن، أي تساوي مجموع حركات الأنفاس الصوتية للإسم الأعظم ست عشرة حركة ونظرا لكثرة الحركات الكثيرة الموجودة في الإسم الأعظم أرشدنا مشايخنا إلى ذكر هذا الإسم بالشد والمد إلى آخر نفس ثم بعد ذلك نسكن حرف

الهاء منه في صدورنا، والمقصود بالصدر القلب بالإهتزاز من اليمين إلى الشمال والمقصود بالشمال القلب ليكون مكان استقرار لهذا الإسم الأعظم حتى ينقش في قلوبنا وعقولنا، أو بالإهتزاز من الأعلى إلى الأسفل كذلك ويقصدون بالأسفل ناحية القلب لتسكن فيه حرف الهاء الموجودة في آخر الإسم الأعظم. وأما قوله :

" بتغميض العينين"

حتى لا نشتغل بالصور التي يقع عليها بصرنا فتنسينا التفكير في عظمة الخالق البارئ المصور فيكون مجموع البصر والبصيرة موجها إلى هذا الإسم الأعظم فقط لهذا قال رحمه الله تعالى " وامح جمع الأكوان حتى يظهر لك نور هذا الإسم الأعظم فأشار إليه بجمال المعبود. ثم انتقل رحمه الله تعالى فقال :

اذكره ذكر القلب   ذا مقام أهل الشرب

تعلم جميع الغيب   تصير لك الشهود

وهذه الكيفية الثانية أو المرحلة الوسيطية فبعدما وفقك الله أيها المريد ووقفت عند نهاية للمرحلة الأولى في ذكر الله تعالى واستقر نور هذا الإسم الأعظم في قلبك وتنورت به بصيرتك وتطهرت سريرتك كنت من مقام أهل الشرب وأصبحت ترى بنور الله تعالى الغيبيات، وأجرى الله تعالى على يدك الكرامات فلا تحسبن هذا هو الوصول، وإياك أن تعتذر بهذا، فالواجب علينا ألاّ نقف ونركن إلى هذا المقام ونكتفي بهذه الكرامات.

ولقد جاء عن مشايخنا رضي الله تعالى عنهم قولهم " الإستقامة خير من سبعين ألف كرامة"، فلهذا دعانا شيخنا إلى المرحلة الثالثة والنهاية كأنما يقول لنا بلسان حاله فاستعن وترقع عن الكرامة وإياك أن تغتر بها وأن ترضى بغير الوصول إلى الله تعالى سبحانه عز وجل حتى تحل وتنزل بفضل الله وكرمه عليك في ساحة أمنه ورضوانه، وتجلس على بساط أنسه، وتغيب عن كل ما سواه فتصل إلى المسمى بالإسم الأعظم سبحانه عز وجل، المقام الأسنى والمرتبة العالية، التي قال فيها سادتنا" منذ وصلوا ما رجعوا ومنذ ركعوا ما رفعوا " .

فقال رضي الله تعالى عنه مشيرا إلى هذا المعنى :

اذكره ذكر السر   بعده سر السر

ذا مقام أهل السكر		تم لك المقصود

وتضحي للبقاء		بعد فنا الفناء

تصير من الأوليا		أهل السر الموجود

فهذه الرتبة رتبة السيادة التي ليس بعدها سيادة، سيادة الفحول الذين جاد الله عليهم فتولاهم بولايته، وجعلهم من أهل وداده ومحطة رحمته ولطفه رحماء بجميع المخلوقات ويتلطفون بها مراعاة لجلال خالقها مبتغين ذلك رضوان الله حيث كلفهم الله تعالى وخصهم بقوله:" إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمان ودا" صدق الله العظيم.

ثم يبين اسمه ونسبه الشريف :

واسمي البوزيدي		وجدي محمدي

شفيع في العباد		يوم الوقت الموعود

- وله أيضا رضي الله عنه وقدس سره :

أنا البحر الواسع		أنا هو الخمار

نسقي كل سامع		كؤوس الأسرار

فكن لي تابع		ترفع عنك الأستار

يذهب عنك المانع		تشاهد أنوار

أنواره لامع		ما فيه أغيار

تصير أنت الصادع		تسقيهم أسرار

ها هنا، يبين الشيخ رضي الله عنه ورزقنا بركته، المقام الذي تفضل الله به عليه، والمقصود هنا بـــ" أنا البحر الواسع "أي العلم اللدني الذي أكرمه الله تعالى به، وإن شئت علم الحقيقة وبعبارة أخرى المعرفة الربانية التي تنطوي عى علم الكائنات وواجبات الوجود وكما هو معلوم، فأن علم الله تعالى القديم انحصرت فيه أقسام المعلومات الثلاثة : قسم واجبات الوجود وقسم جائزات الوجود وقسم مستحيلات الوجود وصدق الله العظيم إذ يقول :"ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء" صدق الله العظيم .

وهذه المشيئة الإلاهية اختصّ بها الخواص من عباده كالملائكة والرسل والأنبياء والأولياء كلا على حسب مقامه وطاقته (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) وحاجته حينما يسأل عن أمر ما، فيلهمه الله تعالى الجواب الصائب، فهؤلاء هم الذين امنهم على سره وأهلهم وقوّاهم على تحمل عبء هذه الأمانة، وكما قال سلطان العاشقين سيدي عمر بن الفارض رضي الله عنه :

وإن أودعوا سرا رأيت صدورهم

قبورا لأسرار تنزهت عن نقل

وأما قوله :" أنا هو الخمار"

فقد سبق لي أن قلت أن الخمرة هي المعرفة بالله وأسرار الأنوار القدوسية فهو ملقن ومربٍ وحكيم في ايصال هذه المعرفة كما قال :

"نسقي كل سامع " أي من سمع له قولا وأخذ بنصيحته فعلا من المريدين الذين توسلوا به إلى معرفة الله سبحانه عز وجل، فهذا هو المعبر عنه بكؤوس الأسرار "

أما قوله: " فكن لي تابع ترفع عنك الأستار".

فلا يكون الإنتفاع إلاّ بالإتباع، وكل من سار على قدم السعداء سعد. كما قال شيخنا سيدي أحمد العلاوي رحمه الله تعالى :

وصراطي مستقيم	موصل للأيقان
يسلكه فتى حزيم	مذرع بالإيمان

وكما قال بعضهم " كل من سار على الدرب وصل"أي درب؟ درب ومنهاج سادتنا الصوفية العارفين بالله وأما قوله:" ترفع عنك الأستار" أي الحجب التي حجبت نور الحقيقة أن يشرق على قلبك، والمقصود بالحجب هو اشتغال فكرك بما لا ينفعك واسترسال نفسك في مرتع الشهوات، ما أبيح منها وما حرم، فهذا حال الغافلين عن الله تعالى يتكاسلون في أداء طاعات المولى عز وجل، إلا إذا أدركتهم رحمة الله تعالى بصحبة أهل الخير والصلاح، فبملازمة مجالسهم ترحل عن قلوبهم الغفلة وتحل محلها الهداية ورحم الله سيدي البصيري حيث جاء في همزتيه:

" وإذا حلت الهداية قلبا نشطت في العبادة الأعضاء"

وقوله رضي الله عنه:

" يذهب عنك المانع   تشاهد أنوار"

نعم فإذا رفعت عنك الأستار ولجّمت بلجام الشريعة نفسك الأمارة وأوقفتها عند حدود الشريعة فذاك هو باب الله، فيذهب عنك المانع اللعين وبنجيك الله بلطفه من مكيدة عدوي الباطن وعدو الظاهر .

أما عدوا الباطن فهواك ونفسك الحريصان كل الحرص على الزّج بك في حمأة المخالفات، ورحم الله سيدي البصيري إذ قال :

ولا تطمع منهما خصما ولا حكما

فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

وأمّا العدو الخارجي فهو ابليس الذي قسم بعزة الله حيث جاء حكاية عن قسمه الملعون في قول الله تعالى:" فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين" ومن هم المخلصون؟ هم الذين رفع الله عنهم الأستار والحجب والموانع والقواطع وأشرقت في قلوبهم الأنوار القدسية، وتطهرت سريرتهم، وتنورت بصيرتهم وكانوا على هدى وبينة من أمر ربهم فشاهدوا أنواره في جميع التجليات وهذا معنى قول الشيخ (تشاهد أنوار .) نعم فإذا ررفعت عنك الأستار ولجّمت بلجام الشريعة نفسك الأمارة وأوقفتها عند حدود الشريعة فذاك هو باب الله، فيذهب عنك المانع اللعين وبنجيك الله بلطفه من مكيدة عدوي الباطن وعدو الظاهر .

أما عدوا الباطن فهواك ونفسك الحريصان كل الحرص على الزجّ بك في حمأة المخالفات، ورحم الله سيدي البصيري إذ قال:

ولا تطع منهما خصما ولا حكما

فأنت تعرف كيد الخصم والحكم

وأما العدو الخارجي فهو إبليس الذي قسم بعزة الله حيث جاء حكاية عن قسمه الملعون في قول الله تعالى :" فبعزتك لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين" ومن هم المخلصون؟ هم الذين رفع الله عنهم الأستار والحجب والموانع والقواطع وأشرقت في

قلوبهم الأنوار القدسية، وتطهرت سريرتهم، وتنورت بصيرتهم وكانوا على هدى وبينة من أمر ربهم فشاهدوا أنواره في جميع التجليات وهذا معنى قول الشيخ (تشاهد أنوار) .

وأما البيت الذي يليه فيؤكد ويوضح معاني ما قبله وجاء عنه

"أنوار لامع   ما فيه أغيار"

" تصير أنت الصادع   سقيهم أسرار"

وباعتباره المتمكنين الماهرين في تربية قلوب المريدين على محبة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فبعد السير بهم على هذا السبيل القويم والصراط المستقيم، ففي نهاية المطاف يؤهل الله من شاء منهم إلى مقام المشيخة والتربية ولا يظهر المؤهل للمشيخة إلا بعد وفاة شيخه، وهذا من تمام آداب المريد مع شيخه وإن استعجل بإظهاره حرم منه كما قيل" استعجل شيئا قبل أوانه عوقب بحرمانه" ولهذا قال الشيخ رحمه الله تعالى :

" تصير أنت الصادع " بهذا الأمر ولكن من بعدي .

" تسقيهم أسرار" تصير ساقي هذه المعاني ومعلما ومرشدا ومبينا الطريقة للمريدين الذين يتعلقون بك .

وأما في بقية الأبيات التالية، فشيخنا رحمه الله تعالى لما فني في الله سبحانه عز وجل لم تبق منه بقية(من المفاخرة والمباهات والكبر والتطاول)فهو دائما في حضرة الله تعالى بالأداب التام، منكسر ومتذلل خاضع متواضع ساجد راكع الله تعالى ليس له مراد إلا ما أراده الله، وكل من كان في هذه الحال أصبح من أهل وده ناطقا لبسم الله تعالى يتكلم بلسان الأولوهية كأنَّ ما جاء في هذه الأبيات أمر الله تعالى فقال رضي الله تعالى عنه بلسان الحال نيابة عن الحق سبحانه عز وجل كما قيل :

" الحق على ألسنة الخلق وأي خلق ؟ الذين تشرعوا بالله وتحققوا في الله:

" كل قطب بارع   صافي من الأكدار".

" فلي" أي لله تعالى .

"يبايع" بالسر والإجهار .

" كل غوث شايع   واسع الأفكار"

" هو عبدي " أي عبد الله .

" تابع قهار وجبارا" ليس مخيرًا .
" وجبار" مجبور على ذلك لأن سبق في الأزل وقضى الله له أن يكون غوثا بفضله ومنّه عليه فلا مانع لفضله ولا راد لقضائه.
كل زالي خاضع "لي" لله بالإنكسار .
" حكمي " أي حكم الله .
" عليه واقع بدون إختيار" .
" ومن لي ينازع" الله سبحانه عز وجل في أحديته .
"رافض الإقرار "
ي لا يقر بلا إله إلا الله
" هو غير تابع سادتي الأخيار"
أي الأنبياء والرسل الذين جاءوا بالتوحيد
ثم يتعرض الشيخ في الأبيات التالية إلى قدرة الله تعالى ومخلوقاته الجسام العظام فقال :
" كل الكون الواسع والفلك الدوار"
" في قبضتي " أي قبضة الله تعالى
"كحلقة في القفار"
" والعرش المتسع والشمس والأقمار"
إن حملت على ظاهر لفظها فهي من الأجرام التي خلقه الله تعالى كسائر المخلوقات وإن حملت على المعنى فالمقصود بالعرش ما فوق العرش مخلوق في العلو والإرتفاع والشرف فذاك هو رسول الله صلى الله عليه وسلم .
" والشمس والأقمار" هو هدي الرسول صلى الله عليه وسلم والذين خلقهم الله تعالى من بعده المشار إليهم بالأقمار لأن الشمس نورها من ذاتها والأقمار أنوارهم مكتسبة من الشم عند غيابها فأشعة الشمس تسطع على ظهر هذه الكواكب فتنيرها.
" وفي قلبي يا سامع"

"ويقصد بقلبه" قلب الشيخ " وقلب الشيء لبه ولب الإنسان عقله وكما قال تعالى في كتابه العزيز" إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك " ولقد نور الله تعالى عقول عباده الصالحين بمعرفة حقيقة الله والرسل والأولياء فتعلقت به .

" موجه في البحار" كأنما عقول العارفين بالله تجول وتموج كالموج في بحر معرفة الله الذي لا ساحل له ولا بداية ولا نهاية .

" كل نور ساطع   ظلام وأنوار"

" كل ماء نابع   والليل والنهار"

"والصراط القاطع   ميزان وكوثر"

" كلهم يا سامع   من رشح أنوار"

فهاته آيات الله الدالة على أنه هو الخالق وليس لأحد مشاركة المولى عزّ وجلّ في هذه الصفة.

" من رشح" والمقصود برشح برزت هذه المخلوقات من العدم إلى الوجود بقدرة الله تعالى.

" أنوار" تنير قلوب عباده الصالحين الموحدين لأن هذه المخلوقات تدل على أن الخالق واحد أحد فرد صمد .

" والجنان الواسع   والحوض والنار "

" كلهم لوامع   من ذات أسرار"

" والساجد الراكع   في الليل والأسحار"

" في رضاي الله طامع" في رضوان الله " ورفع الأستار "

" والعاصي والطايع   في الموت والمحشر"

ملجؤه راجع "

" لي"" أي   " لله بلا إنكار "

" هذا مني واقع   كل وقت وإعصار"

فهذه مترادفات ويقصد بها الزمان فإن الأشياء لا يبرزها من العدم إلى الوجود في أجلها إلا خالقها سبحانه عز وجل، وهذا في كل عصر وزمان إلى يوم أن يرث الله عز وجل الأرض ومن عليها وصدق الله العظيم إذ يقول " إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون " فالإدارة الإلاهية تخلق وفقا لما في علمه القديم والقدرة تبرزها بكلمة الله هي أمر الله تعالى كن فيكون كما جاء في الحديث القدسي الذي رواه الرسول صلى الله عليه وسلم عن ربه عز وجل " بي كان ما كان وبي يكون ما يكون " وصدق الله العظيم إذ يقول :" قل لو كان البحر مددا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا"

الآية .

" ومن فيه يشانع فهو في الأكدار "

أي في أكدار الكفر والشرك .

" هذا معطي الصانع "

أي عطاء الله تعالى من فضله لعباده الصالحين السعداء، هذه المعرفة المنبثقة من الإيمان الكامل بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم .

" ما فيه انكار إلا قول القاطع" بمعنى الذين انقطعوا عن السير إلى الله تعالى واكتفوا بزخرف القول غرورا فأنكروا على الصالحين والذاكرين سلوكهم وأخلاقهم الربانية .

" فذاك مزمار "بمعنى صوت في هواء لا معنى له ولا يلتفت إلى قوله .

ثم يوجه الشيخ رضي الله عنه الدعوة لأهل الأوهام الغافلين المحجوبين عن الله تعالى أولئك الذين ينازعون العارفين بالله في قولهم أن الخالق واحد واحد لجميع المخلوقات وعلينا أن نحسن لجميع خلق الله من أجل خالقها .

فقال: " أعزم يا منازع" يا منازع سادتي العارفين بالله الصالحين، بأوهامك وتظن أنها حجة قاطعة وتلفق لها أقوالا من هنا وهناك تنازع أرباب الأفعال بالقيل والقال وشتان ما بين الأفعال والأقوال وأما قوله :" ودع كل عار "

أي جميع هاته الصفات التي تحول بينك وبين الله وعباده الصالحين .

" واقدم لي سارع تنال ذي الأسرار "

ثم يختم القصيدة بالصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي الختام يبين اسمه .

أختم قولي الواسع بصلاة المختار
هو لنا شافع في كل من الدار
أصحابه التوابع السادات الأخيار
بفضلهم يا سامع تنال ذا المقدار
اسمي راه شايع البوزيدي الخمار
ساقي كل والع كؤوس الأسرار

*وله أيضا رضي الله عنه وقدس سره :

الله الله قولي لا نخشى من عذالي
أذكره يا خلي تنال العرفان
هو هو شغلي نهاري وليلي
هو ذاتي ونفلي يا جمع الإخوان
أعزم لي واجر تنال ذا الفخر
بالعلم والسر تتبع بالعرفان
تشرب من خمري وبعد سكري
تفيق من العمر تفوز بالتداني
وتخرج عن نفسك وفعلك ووصفك
يرتفع حجابك عن نور الأعيان
تبق للكمال كمثل الرجال
بهم تم حالي فزت بالإحسان

بعدما أشار الشيخ إلى الفن بصفة الإجمال والشمولية في القصائد السابقة، جاءت هذه القصيدة النيرة ودلت على معاني علم القوم مفصلة تفصيلا ومرتبة ترتيبا، ونقصد بذلك مراحل السير الثلاث إلى الله تعالى الإبتدائية والمتوسطة والنهائية " وأن إلى ربك المنتهى " صدق الله العظيم .

وأم قوله :

" الله الله قولي   لا نخشى من عذالي"

فقد جاء الإسم الأعظم مكررا في براعة الإستفتاح والإستهلال المكرر يفيد التأكيد والمقصود بالقول " قولي وعملي وحالي" ما قولي المقصود به الإقرار بالأحدية لله عز وجل وفعلي الإمتثال لكل ما أمر الله تعالى به واجتنب كل ما نهى عنه .

" وأما الحال " وذاك من القول والعمل بنية وإخلاص لله تعالى والقصد منه التقرب إليه عز وجل لأن القول أو الذكر عند سادتنا الصوفية يشمل الطاعة باللسان أي الإقرار بالوحدانية لله تعالى وبالرسالة لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعمل بالأركان وهو تسخير الجوارح في طاعة الله والحال ما ظهر من أقوالهم وأفعالهم يكون طبقا لعقيدتهم وما في قلوبهم.

أو بعبارة أخرى فإن ما يعتقدونه يظهر على ألسنتهم وجوارحهم وسلوكهم وليس كما يظن الغافلون عن الله قولا من دون العمل وكأن يرددوا قصائدهم في المجالس ويتفننوا في صياغتها بأنغام موسيقية، ثم تراهم يعتقدون أنهم مقتدون السادات الصوفية، رضوان الله عليهم !! " لا تخشى من عذالي " .

ولما كان سيدي الشيخ عن يقين ومشاهدة، وبعدما تحقق بحق اليقين أنّ ما سوى الله باطل وأنّ الأمر ليس بهم ولا لهم أقصد العذال قال لا أخشى عذالي " أي من لامني على انتهاج طريق وسلوك سادتنا العارفين بالله.فإن خالفونا وأنكروا علينا وضايقونا فهم معذورون ولا نلتفت لهؤلاء المجادلين بالقليل والقال لأننا بذلك نضيع وقتا ثمينا كان الأحرى أن نشتغل بالإله وصدق الله العظيم إذ يقول " من يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا" وأما شطر البيت " أذكره يا خلي تنال العرفان " .

لتنال معرفة فالسبيل الوحيد الموصل إليها هو ذكر الله تعالى وليس ذكر اللسان فقط بل كما أشرت سابقا ذكر الجنان وذكر اللسان وذكر الأركان.ويظهر شطر هذا البيت كأنما هو متضمن جملتين جملة شرطية أذكر الله وجواب الشرط تنل العرفان فالتقدير إن أردت يا خلي أن تنال العرفان فاذكر الله .

هذا جواب الشرط مقدم عن الجملة الشرطية أذكر الله .

وأما " يا خلي" بمعنى يا خليلي فقد سبق شرحها .

" هو هو شغلي نهاري وليلي "

"هو ذاتي ونفلي يا جمع الإخون ".

والضمير المكرر" هو هو " يفيد التأكيد يعود على الله سبحانه عز وجلّ حتى قال العارفون بالله هو اسم من أسماء الله الحسنى استدلوا على ذلك بقول الله تعالى " هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم" صدق الله العظيم .

" واتخذ سادتنا العارفون بالله هذا الضمير"هو ذكروا يرددونه هو هو هو إلى آخره .

ورحم الله سيبوية حيث قال :" أعرف المعارف بعد اسم الجلالة الضمير ."

وأما قوله " شغلي نهاري وليلي" عملا يقول اله تعالى واقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم حينما أمره الله تعالى بقوله عز وجل " واذكر اسم ربك وتبتل إليه تبتيلا" انقطع إلى ذكر الله فقط وهذا في بداية أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهكذا لقد سار سادتنا الصوفية السيرة الحميدة المحمدية فبداية أمرهم الذكر والإشتغال به ليلا ونهارا كما جاء عنه " هو شغلي نهاري وليلي " .

وأما قوله :

" هو ذاتي ونفلي يا جمع الإخون"

إن رحمت على وجه الظاهر تكون هذه الجملة مبنية على حذف مضاف "هو" خالق ذاتي " خالق مضاف وذاتي مضاف إليه" وإن حملت على وجه الإشارة فهي كذلك مبنية على حذف مضاف وتقديرها هو المقصود به ذكر الله تنتعش به ذاتي ويقصد بالذات الروح الموجودة في شبحه أي تتنور وتتقدس وتتجوهر فتنقاد إلى طاعة الله ساعية في رضوانه بما افترضه الله تعالى وسنة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . ولقد خصّ الشيخ بالذكر النفل ومفهومه إذا كان المحافظة والإتيان بالسنة فالفرض والواجب فهو أولى وأحرى بإتيانه على الوجه الأكمل .

" يا جمع الإخون" وهم الإخون في الله كما قال الله تعالى " إنما المؤمنون إخوة" .

" أعزم لي واجر   تنال ذا الفخر"

" بالعلم والسر   تتبع العرفان"

ولفظ كلمة أعزم وهي الصبر والثبات على الشدائد لأن المسار إلأى الله تعالى مزروع بألغام شتى، فإن لم يكن السائر إلى الله تعالى ذا صبر وثبات وتحمل للمكاره ومشتقات الإمتحانات توقف عن السير إلى الله تعالى .

ثم قال " أعزم لي واجر "

"واجر " بدون تراخ ولا تكاسل " تنال ذا الفخر" وأي فخر فالذاكرون الله تعالى يباهي الله تعالى بهم الملائكة كما جاء في الأثر في الحديث القدسي " من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خير من ملئه وهو الملأ الأعلى أي الملائكة.أليس هذا هو الإفتخار الذي لا افتخار بعده ."

ورحم الله الشيخ سيدي أحمد العلاوي إذ قال :

لهم افتخار عن كل البشر   فهم الأحبار الوارثين

فهم الأبدال لهم الإقبال   نواب الرسال في العالمين

لهم الهيبة بهاء النسبة   سيمة القربى ترى علين

نحن الأساند لنا شواهد   كل الفوائد في صحبتنا

وأما قوله " بالعلم والسر تتبع بالعرفان" والمقصود بالعلم هنا المعرفة الربانية و العلم اللدني فالعارف شيء آخر لأن العلم يتعلق بالظاهر والمعرفة إن شئت قل هي العلم الذي أحاط بالظاهر والباطن، وصاحب العلم يتوقف عند قواعد علمية منحصرة في المصطلحات والنظريات ولا زال العلم على مدار الزمان يكشف أخطاء نظريات وينفيها بعدما كان السابق يأخذ بها، ويثبت الأخرى ويعتمد عليها وأما العارف فذاك الذي يغترف من علم الله تعالى المتخرج من مدرسة الله التي تخرج منها جميع الأنبياء والرسل والأولياء الكاملون لقول الله تعالى " واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم"ولقوله صلى الله عليه وسلم " من عمل بما علم أو رثه الله علم ما لم يعلم ".

أو كما قال صلى الله عليه وسلم .

"بالعلم والسر" المقصود به كتمان العلاقة بينك وبين الله ولا يجوز لك أن تبوح بما أطلعك الله تعالى عليه من الغيبيات إلا بإذنه، ومن باح بسر الله كما قالوا فقد باء بغضبه ورحم الله الشيخ سيدي أحمد العلاوي ورضي الله عنه في هذا المعنى :

قلبي يا قلبي أفهم عن ربي احفظ لي حبي هو هو الله

قلبي لا تغفل عظم وبجل أياك تعجل تفشي سر الله

كتم الحقائق حفظ الوثائق حسن العلائق بحضرة الله

" وأما تتبع بالعرفان"

فلا تعجل بإظهار معرفتك وعلمك بهذا الفن، حتى يظهره الله عليك وأنت مكره على ذلك فعليك بالطاعة لما أراده الله سبحانه عز وجل منك حيث خصك الله تعالى بهذا المقام مقام إرشاد العباد إلى التحقيق بالله .

وكما قالوا " المأذون مأمون" مأمون من مخادعة النفس وتضليل إبليس فالله يتولاك بحفظه ويقويك بعونه والحمد لله رب العالمين على ذلك .

وأما قوله :

" تشرب من خمري وبعده سكري"

" تفيق من العمر تفوز بالتداني "

" تشرب " تنهل من منهلي أي تشرب من شرابي وهي المعرفة بالله .

" وبعده سكري " فإذا جاد الله عليك وأكرمك بالفهم السليم لسر الحياة كأنك تخرج عن عادة ومألوف البشر، فيحكمون عليك تارة بزوال عقلك وبالجنون إلى آخره لأنك انتهجت منهاجا غير منهجهم، فأصبح لك البشرى والأنس، ولو في خلوتك وحدك وهذا مما يخوف العامة ويستوحشهم فلا يستئنس الغافل ولا يطيب له الوقت إلا مع أمثاله الغافلين، وأما أنت فصدّك عالم النور والروحانيات عن عالم الظلام والماديات فزهّدك في هذا العالم الفاني المضمحل .

نقطة ايضاح :

إن الزاهد ليس هو الذي لا يملك شيئا فذاك يسمى بالمسكين أما الزاهد فهو الذي كسب الأموال الطائلة ثم لا يستأثر بها إذ ينفقها في مصلحة واسعاد المؤمنين ابتغاء

رضوان الله تعالى، لأن عوضه الله تعالى عن عالم الخراب واللعب واللهو كما قال الله تعالى " إنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال والأولاد كمثل غيب أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفي الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان ".

إذن فبسلوكك مسلك العارفين بالله، يرسخك الله تعالى في العالم، عالم المغفرة والرضوان، من أجل هذه ولأجل هذه الحال التي عليه سادتنا العارفين بالله حكم عليهم العوام بأنهم سكارى دراويش مهابيل مجاذيب والمقصود بهذه الألقاب عند العامة أنهم لا يحسنون التصرف وليسوا من الراشدين والعكس أصح، لأن سادتي العارفين بالله هم الراشدون بفضل الله ومنه، لقد عرفهم الله تعالى حقيقة كل شيء ودورهم في هذا الوجود فأدوا ما أوجبه الله عليهم على أكمل وجه، فرفعهم الله تعالى من مقام الحيوانية إلى أعلى مقام الإنسانية.والفترة الزمانية للإنتقال من هذا المقام الأسفل إلى مقام الإنسانية من شأن المولي عز وجل حيث يجود الله تعلى على من خصّه بهذا المقام بالعناية والجاذبية فتجذبه وفي حالة الجذب يكون له السكر عن عالم الحس هذا وأهله، مثلما يعمل الطبيب الجراح، ولله المثل الأعلى، قبل أن يعالج المريض بعملية جراحية ما إذ يعطل فيه الحواس وذاك هو السكر حتى يغيب عن الحرارة والبرودة ثم يعالجه بزوال علته فلمّا يفيق من سكره يحمد الله تعالى على شفائه، فهذه معالجة الأشباح فالمرض معروف وإذا عرفت العلة أو المرض حصلت على نصف العلاج والنصف الآخر يكمل بالعملية الجراحية أو العلاجية وأما أمراض النفس وعللها فهي مختلفة وخفية لا يدركها إلا طبيب ماهر ويحسن العلاج من حيث لا تدري ولا تشعر فيغيبك عن حسك ويزيل منك علتك وأنت لا تدري الكيفية شفاك الله بها على يدي مثال هؤلاء الرجال الصالحين الذين جعلهم الله تعالى رحمة للأنام فتنهض بنا همتهم وترحل بنا من عالم الظلمات إلى عالم النور ولهذا قال :

" تفيق من العمر" أي فيما بقي من أجلك

" تفوز بالتداني" أي القرب إلى الله تعالى .

" وتخرج عن نفسك وفعلك ووصفك "

" يرتفع حجابك عن نور الأعيان"

" وتخرج عن نفسك" المقصود هنا الخروج عن قيود نفسك الأمارة بالسوء بحيث تتقلب النفس في ذاتها راضية ومرضية تصير روحانية نورانية .

وأما قوله " وفعلك ووصفك" فالمقصود فعلك السيء ووصفك الذميم الذي كان من قبل أن يفتح الله عليك بصحبة العارفين بالله والسير بسيرهم وبهذا يزول حجابك الذي كان يحول بينك وبين الله .

" عن نور الأعيان" ترى النور بالمشاهدة لا عن ظن ولا هم بل عن تحقيق .

"تبقى للكمال　　　　كمثل الرجال "

" بهم تم حالي　　　　فزت بالإحسان"

" إن أردت قربي　　　　تهيأ للشرب"

فالجملة شرطية إن أردت قربي بمعنى بمجرد ما تتقرب إلي والمقصود بالقرب هنا العمل بنصائح الشيخ وتطبيق ما يأمرنا به طاعات وواجبات واجتناب المخالفات فهذه هي وسائل التقرب إلى المشايخ لأنهم ليسوا بحاجة إلينا بل نحن بحاجة إليهم فقال :

"تهيأ للشرب " وهذ جواب الرط بمعنى بمجرد ما تتقرب إلي يفتح الله عليك ويسقيك بهذا الشراب ولكن بصدق المربى حينما يسألنا عن حالنا فعلينا أن نصدق له الحديث، وحب الإخوان والمحة أن تؤثر إخوانك المريدين على نفسك في خدمتهم والسعي فيما ينفعهم .

" تشرب من كأسي　　　　غب الإنتفاس"

" تفنى عن الإحساس　　　　وجميع الأكوان"

"غب" بمعنى شربة من كأس العارفين بالله أي تشرب من مشربهم فتنقش عليك الهموم .

تفنى عن الإحساس وجمع الأكون لا يؤثر في حواسك شيء من جميع الكائنات لأنها تعلقت بربّها .

" تأخذ عن علمي　　　　لا يبقى لك وهم"

تصاف بالحلم　　　　وخلق الرحمان"

وخذ مني سري　　　　بالعز والفخر

" صافي من الكدر　　　　وبدع الزمان"

" تشرب بلا فنجان" الشراب تشربه حقا والكيفية مجهولة لأنه سبقت لك السعادة من الله تعالى فسقتك إلى أهل الخير فعرفوك بالله.

" وبلا مكيال" معلوم ولا قناطير ولا أطنان بل تكفي نقطة منها لتجذبك من عالم الشقاء إلى عالم السعادة .

لكل زمان ساقي هذه المعاني ومربي قلوب الأنام على محبة الرحمان كما جاء في الأثر قوله عليه الصلاة والسلام :

" يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد أمر دين هذه الأمة" فقد جعل الله الأمة المحمدية في حصن من غواية الغاوين ومحاولة تعطيل هذا الدين لطمسه، بوجود هؤلاء الأبدال فهم ينوبون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الذبّ والدفاع عن الشريعة وايصالها بالفهم السليم إلى هذه الأمة المحمدية،فهم لا يكتفون بظواهر النصوص ولكن أكرمهم الله تعالى بفهم النص والغوص في روح النص لأن لا نبي من بعده عليه الصلاة والسلام فخصص الله تعالى رجلا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم يحافظون على هذه الأمانة العظمى ألا وهي الرسالة المحمدية وهم سادتي العلماء العاملون الصالحون العارفون بالله فأهلهم الله تعالى للنيابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة عملا بقول الله تعالى واتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم " ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن " صدق الله العظيم .

" هذا عطاء المنان "

المنان هو ذو المنن ومرده منة أي عطية وهنا المنان هو الله سبحانه عز وجل الذي يتفضل بفضله على من شاء من عباده .

" والعطاء " لا يرجى منه عوض فالغني المطلق لا يرجو من خلقه شيئا بل الخلق مفتقر إليه في كل وقت وحين، بل وفي كل لحظة، إذ لا قيام لهم إلاّ به ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصدق الله العظيم إذ يقول " يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذاك على الله بعزيز" صدق الله العظيم .

" تبشر بالوصول كمثل الفحول"

" خمرة الشاذولي ما تبقى أحزان "

" تدخل للحضرة بالفضل والمنة"

" أنت والأحبة في كل زمان "

" تبشر بالوصول " بنيت على صيغة المجهول لأن الفاعل هنا محذوف وتقديره إما رسول الله صلى الله عليه وسلم يبشرك بالوصول عن طريق رؤيا والرؤيا إما تراها أنت وإمّا يراها غيرك لك أو إمّا بالإلهام بتجليات ومشاهدات وإما تكون لك البشرى من شيخك أخذ بيدك يقظة جهرة شفاوية " كمثل الفحول" .

"وأما خمرة الشاذولي ما تبقى أحزان "

فاعلم رحمك الله أيها المريد أن السير إلى الله تعالى مرهق يتطلب تضحيات جساما ويقتضي مرورا بجميع مراحل السير إلى الله سبحانه عز وجل وبالمقامات، وما من مقام لا ويستلزم من المريد رياضة روحية خاصة كالإمتناع عن بعض المباحات من الأكل والملبس إذ يلبس المريد مرقعات ويهجر المضجع أي النوم ويكثر الصيام والأذكار، فكل مرحلة ومقام لهما ذكر خاص والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا عدد، ولا ينتقل من مقام إلى آخر إلا وتظهر له تجليات ومشاهدات، ويخص ببعض الكرامات.كثير من السائرين، إلا ما رحم ربي يتوقفون عن السير ويكتفون بما حصلوه أثناء السير إلى الله تعالى، في بعض المراحل وبعض المقامات، ويظنون أن ذلك هو الوصول إلى الله تعالى، وتحدثهم أنفسهم أنهم حصلوا على ذلك بعملهم وبعلمهم ويقع لهم ما وقع لقارون إذ قال :" إنما أوتيته على علم عندي" فينقطعون عن السير إلى الله تعالى وتتغير فيه صفات السائرين لله بعدم الإفتقار إليه والآداب معه لهذا قيل :" السائرون كثير والواصلون قليل" حفظني الله وإياكم من هذا، ورحم الله شيخ الشيوخ مولانا سيدي عبد السلام بن مشيش حينما أتاه مريده شيخنا محمد أبو الحسن الشاذولي ليأخذ بيده إلى الله فقال له اذهب فاغتسل وبعدما اغتسل الشيخ سيدي أبو الحسن الشاذلي قال لشيخه ها أنا اغتسلت يا سيدي، وبعد أن تكررت هذه العملية بينه وبين الشيخ سبع مرات، ألهمه الله تعالى فقال أبو الحسن لشيخه أتيتك يا سيدي فقيرا واغتسلت من علمي وعملي ففتح الله على سيدنا الشيخ محمد أبي الحسن الشاذلي بصحبة شيخ الشيوخ سيدي عبد السلام بن مشيش وكان

من المجددين لأساليب تربية المريدين والسائرين على يده إلى حضرة رب العالمين فأصبح له سلوك أخف وأسرع في وصول المريدين إلى الله تعالى، وبقيت هذه الطريقة الشاذولية إلى عصرنا هذا الأسلوب التربوي لسيدي محمد أبي الحسن الشاذلي. فما كان يقضيه المريد والسائر إلى الله تعالى في عشرات السنين قبل مجئ سيدي أبو الحسن الشاذلي صارت المدة الزمانية في عهد ببركته وبأسلوبه التربوي، لا تتجاوز أربعين ليلة ومن المريدين من فتح الله عليهم في ساعة ومنهم بنظرة كما قال سيدي عمر ابن الفارض :

" عسى عطفة منكم علي بنظرة

لقد تعبت بيني وبينكم الرسل "

فالذين وفقهم الله تعالى إلى مقام الإرشاد من بعد شيخنا محمد أبي الحسن الشاذلي داوموا على تربية المريدين بالأسلوب الشاذلي الذي أشار إليه شيخنا " خمرة الشاذولي ما تبقى أحزان " والكيفية هي أن الشيخ يأمر المريد بالدخول إلى الخلوة فيكون في النهار صائما، وفي الليل قائما ويكون لسانه ذاكرا الإسم الأعظم " الله الله الله " بإذن الشيخ، ومنهم من يأمر بذكر "ا بسم لله الرحمان الرحيم " ومن حين إلى حين يتفقد الشيخ المريد ليطلع على حاله، وعن طريق الأسئلة التي يسأل الشيخ بها المريد يقرر هل يبقيه في الخلوة إن لم يحصل على المقصود وهي المعرفة بالله والفهم عن الله في جميع المحدثات، أن الفاعل الحقيقي ف جميع المفعولات هو الله سبحانه عز وجل، وإن حصل المرام يكون عبدا لله بحيث تتحقق فيه العبودية لله تعالى في جميع أحواله فيخرج الشيخ حينئذ من الخلوة .

ورحم الله ورضي عن شيخنا سيدي أحمد العلاوي إذ يقول في هذا المعنى :

يأتي ولو بالتجريب	فله منا نصيب
هذا مسلك قريب	أتانا من فضل الله
ننصح له في الطريق	يجعلنا فيها رفيق
نريه معنى التحقيق	خالصا لوجه الله
يوافقني في أيام	لا نطلب منه أعوام

فإن حصل المرام يكون عبدا لله .

هذا هو الفتح الأكبر وهذا هو المقصود وهذا هو مبتغى الذين أسعدهم الله تعالى وتوجهم بتاج العز والكرامة في هذه الدار أسعدهم الله تعالى وتوجهم بتاج العز والكرامة في هذه الدار وفي دار المقامة، جعلني الله وإياكم في عدادهم، ورزنا مددهم ورضاهم، وبعد هذا الحمد لله .

" تدخل للحضرة بالفضل والمنة"

" أنت والأحبة من كل زمان "

وأما قوله رضي الله تعالى عن :

على الدرة البيضاء المولى عنك يرضى

وبقاء تحظى مثل أهل العرفان

ويقصد رضي الله تعالى عنه بالدّرّة البيضاء الشريعة السمحاء كما قال صلى الله عليه وسلم " تركتكم على المحجة البيضاء ليلها كنهارها"...

أو كما قال صلى الله عليه وسلم، والمقصود من هذا أن كل من تمسك بالشريعة وسار على منهاجها لن يضل أبدا .

فالمولى عنك يرضى " كما قال شيخنا رضي الله تعالى عنه وأما قوله " بقاب تحظى"

يقصد ب التقر إلى الله تعالى ولن يكون لنا قرب من الله إلا ما افترضه علينا وسنه النبي صلى الله عليه وسلم .

وخلاصة هذا البيت : يا من أردت أن تكون من العارفين بالله تمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها وبحبل الله المتين ألا وهو كتاب الله أو بعبارة أخرى،" كونك حفيظ حدود الشريعة " بهذا يتم إيمانك وترتقي إلى مقام اليقين ثم إلى مقام المشاهدة وهو عين اليقين ثم يؤكد علينا بإلحاح وبترغيب في الأبيات الآتية:

" تمسك تتجوهر طوى لها تنظر"

"بصيرة لك تزهر تغيب الأعيان "

فنهاية الشريعة بدية الحقيقة أو بصورة أخرى كل من تمسك بها فأحلّ ما أحل الله، وحرّم ما حرّم الله قولا وفعلا، استحق الإنتساب إلى الإسلام ومنه ينتقل إلى درجة الإيمان ومن درجة الإيمان إلى درجة الإحسان كما جاء أركان الدين ثلاثة :

اسلام إيمان إحسان .

ولهذا قال تمسك على حذف مضاف " أي بالشريعة والعمل بها" .

" تتجوهر" أي تتروحن، تصير ربانيًا، وهناك يرفع الله الحجاب على بصرك فيرسخك الله في الحضرة القدسية التي أار إلها بقوله:" طوى لها تنظر "

كما جاء في قول الله تعالى خطابا لسيدنا موسى عليه السلام " فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى" أي فافن فإنك في حضرة اله المقدسة .

وأما قوله:" بصيره لك تزهر تغيب الأعيان" بمعنى إذا وصلت إلى حضرة الله تغيب المعالم والأدلّة لأنك في وسط عين المدلول أو بعبارة أخرى لمّا كنت بعيدا عن الحضرة كنت تستعين بالدليل والأعيان من السادة، وحينما وصلت إلى هاته الحضرة وتضمحل حتى أنت، وفي هذا قال سيدي أحمد العلاوي رضي الله عنه :

امتحق اسمي ورسمي   روحي وجسمي

غيبي عن علمي   لما شهدت

لما بدا مقصودي   غاب وجودي

في حضرة الشهود   ثم لبيت

فتصبح من الناظرين بنور الله، فالله ينور لك البصيرة فترى الأشياء على حقيقتها، لا بالبصر، وأشار إلى ذلك بـــ" تغيب الأعيان" وأما قوله :

" تراه أخي جهرا   فقل ولا فخرا"

" ذي أمداد الحضرة عن قطب الزمان "

فيرشدنا إلى أن هذه التجليات هي عن مشاهدة ويقين لا عن وهم وتخيل وأحلام " فقل ولا فخرا " ويقصد بقل آمر ولا فخر: فهو إنما أتاك من شيخك الذي هو قطب الزمان، ومن النبي صلى الله عليه وسلم وحاشا من أدناه الله تعالى وقربه إلى حضرته وحضرة رسوله وملأ الوحانية أن تكون فيه صفة الكبر والإعجاب والتطاول حتى يفتخر وإنما إذا أمروه

أن يقول فهو من باب التحدث بالنعم لقول الله تعالى:" وأما بنعمة ربك فحدث" من ناحية، ومن ناحية أخرى أن يكون داعيا إلى الله تعالى مرشدا ومعلما ومربيا .

وأما قوله :

ذي أمداد النبي من وقف بالباب

يعطي بلا حساب أسرار المنان

وأشار إلى هذه النعمة العظيمة نعمة الإسلام نعمة المعرفة بالله، وبرسوله أي السلوك المحمودة مع الخالق والمخلوقات فكان صلى الله عليه وسلم يحمد الله على ذلك ويعظم هذه النعم فقال صلى الله عليه وسلم :" الحمد لله على نعمة الإيمان والإسلام وكفى بها نعمة" فقال " ذي أمدا النبي" فأشار باسم الإشارة ذي وعلى حذف مضاف الشريعة أتتنا بواسطة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الذي أمدنا بها وكل من وقف بالباب باب حضرة الله، الشريعة أي كل من تشرع تحقق لأن الغاية من الشريعة التحقيق فهنالك " يعطي بلا حساب " أي يعطيه الله تعالى من كل خير بلا حساب فقال " أسرار المنان" وهو اسم من أسماء الله تعالى والمقصود منا ذو النعم ينعم بها بفضله على من شاء من عباده .

ثم يقول الشيخ رضي الله تعالى إن مقام الإرشاد الذي أحله الله تعالى فيه إنما هو برضوان رسول الله صلى الله عليه وسلم وبإذنه :

" به تم سعدي اذني بالرشد"

" لا مته نهدي ونجول في الأكوان "

" للحلة لبسني" والمقصود بها لباس التقوى فيتقي بقلبه وبلسانه وبكل جوارحه وحاله وعقله، ويسد منافذنا أي الجوارح ويكون يقظان ليس بنائم غافل، حتى تتسرب إليه وساوس إبليس وصدق الله العظيم إذ يقول:" إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون " .

وأما قوله:" من الخوف آمني"، فالأولياء الكمل يجلسهم الله على بساط الأنس وهم المعنيون بقوله تعالى " ألا إنّ أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم" صدق الله العظيم .

فقال :" بنوره خصني" فكان من الخواص الكمل من جميع النقائص ثم يبين نسبه رضي الله تعالى عنه فيقول :

" أنا له إبنا في الحس والمعنى"
" عن الكل فزنا نا والإخوان"
" صلى الله عليه وآله وصحبه "
" وأهله وأولاده وجميع الخلان "

اعترافا بفضل شيخه عليه إذ به حصل له جميع المعارف واللطائف والفوز في هذا الميدان، ميدان الرجال الذين حباهم الله الرجولة وصفاتها المذكورة في القرآن، قد أشرت إلها من قبل كما قيل: " الحر يراعي وداد لحظة وينتمي إلى من علمه لفظة"

وكما قالت عائشة عليها السلام :

" فاظفر بذيل حر فإن الحر في زماننا قليل "

فقال رضي الله تعالى عنه :

" وارضي عن أستاذي " وهو الشيخ سيدي محمد بن قدور الوكيلي الكركري الحسني الشريف رضي الله عنه ونفعنا ببركته هو بحر أمدادي به تم اسعادي وجميع الإحسان، ثم يعرف الشيخ اسمه في البيت الأخير فقال :

"اسمي البوزيدي أبي عن جدي "
"معروف بالبلد وجميع العرفان "

وقال رضي الله تعالى عنه :

نبد باسمك يا سلام يا ذا الجود والإنعام
يا ذا الفضل والكرم يا خالق العباد
تنزهت عن الزمان والوقت كذا المكان
واجهة كذا الأركان مفرد الإفراد

لقد افتتح الشيخ رضي الله عنه هذه القصيدة باسم السلام وهو اسم من أسماء الله الحسنى، وجاء هذا الإسم مناسبا لمقام إشارة صاحب هذه الطريقة أنها موصلة إلى حضرة الله بأمن واطمئنان وسلام لكل من تتلمذ واستمد المدد من حضرة شيخنا سيدي محمد بن الحبيب

البوزيدي، ثم أردف هذا الإسم " أي اسم الله السلام" بأسماء صفاته الكاملة فقال :" يا ذا الجود والإنعام " .

ص 182

بمعنى يا صاحب الجود والمقصود بصاحب يا مولى الجود والإنعام.

أما الجود فهو عطاء من الله بلا سؤال والمقصود بالإنعام النعم التي لا تحصى ولا تحصر ، كما جاء في قول الله تعالى:«وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها».

وأما قوله: « يا ذا الفضل والكرم" أي صاحب الفضل ، أما الفضل فهو العطاء بلا عوض، فهذه الصفات تدل على عظمة كرم الله تعالى وأما قوله : "يا خالق العباد"فكما خلق العباد خلق جميع المخلوقات بإراته وقدرته وفقا لعلمه القديم بكلمته و أمره "كن فيكون" وأخرجهم من العدم إلى الوجود، ولم يسبقه بالخلق أحد حتى ينقل عليه الكيفية وصور مخلوقاته فسبحانه وتعالى الله عن ذلك علوا كبيرا، فو الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم". وأما قوله: "تنزهت عن الزمان والوقت وكذا المكان".

ولا جهة كذا الأركان

تنزيه المولى عز وجل هو نفي جميع ما لا يليق بقدره سبحانه عز وجل، حيث جاء في مصطلح علماء الكلام أن الله عز وجل لا يتقيد بمكان ولا زمان كان سبحانه عز وجل قبل المكان والزمان، والمكان من مخلوقات الله تعالى والخالق لا يفتقر ولا يتأثر بمخلوقاته فهو الغني وكل المخلوقات مفتقرة إليه، فهو الذي يدبر شؤون مخلوقاته ولا يتقيد بجهة من الجهات فسبحانه على العرش استوى وبكل أحاط وأحتوى وصدق الله العظيم إذ يقول: «الله إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم » صدق الله العظيم.

وأما قوله: « مفرد الإفراد » فأفرد علينا سبحانه عز وجل غلإفراد وهو التوحيد وأوجب علينا أن نوحده سبحانه عز وجل وأن نقر له بأحدية الذات والأفعال والصفات وأنه سبحانه عز وجل أرسل رسله ليبلغوا لنا هاته المعاني الدالة على الأحدية والفردية

الصمدية لله عز وجل وحده لا شريك له وهي مجموعة في قولنا : «لا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم»، كما قال محمد بن عاشر رحمه الله تعالى :

«فهي أم القواعد   وما انطوت عليه من العقائد »

«أذني بالتربية   ارجال الصوفية »

«سقي الناس الكليا   بلا حد وعدد »

كل ما تصدر إلى مقام إرشاد العباد بلا إذن من الله تعالى فعليه الخوف وعلى كل من تعلق به.

وأما الإذن فهو الأمر من الله تعالى للذين كلفهم سبحانه عز وجل بالتبليغ عنه وإذا لم يمتثلوا لأمر الله تعالى كذلك عليهم الخوف كما جاء في قول الله تعالى: «يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس » صدق الله العظيم.

إذن فالمأذون مأمون من شر النفس وأذى الناس، هذا في الرسل عليهم الصلاة والسلام كما جاء في قوله تعالى خطايا لعبده ورسوله سيدنا محمد عليه السلام «يأيها النبي إن أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا » صدق الله العظيم.

كذلك سادتنا المشايخ أهل التربية والسند فهم ينوبون عن رسول الله صلى الله عليم وسلم بإذنه وأمره من الله تعالى فان كانت العصمة للرسل فالحفظ للأولياء من شر النفس وأذى الناس كذلك.

"أذني بالتربية لرجال الصوفية"

التربية هي إعطاء الشيخ المربي المعلومات والمعرفة شيئا فشيئا على حسب طاقة واستيعاب التلميذ إلى أن يصل إلى الهدف المنشود والمقصود.

وأما قوله "لرجال الصوفية"

"أما الرجولة فقد ذكرتها في ما سبق "

وأما الصوفية فقد اختلفوا فيهم، إذ كل ذهب في تعريف الصوفي على حسب بغضه أو حبه له، وأما الجاحد والناقد فقد أنكر عليهم سلوكهم المحمود ونسب ذلك إلى بودا وكونفوسيوس والى قدماء الفلاسفة اليونانين من سقراط وأفلاطون وغيرهم ، ومنهم من

نسب التصوف إلى قدماء فلاسفة الفرس، وهذه الأفكار والآراء مصرها واحد وهو ملة الكفر الكامنة في صدور علماء الغرب المستشرقين حيث لا يثبتون هذه الأخلاق الإنسانية والسيرة المحمودة الروحانية إلا لأنبيائهم من بني إسرائيل كعيسى عليه السلام وعزير ويجحدونها في المبعوث رحمة للعالمين وهداية للناس أجمعين سيد الأولين والآخرين سيدنا محمد بن عبد الله القائل فيه الله سبحانه عز وجل « وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » وكذلك نفوا هذه الروحيات والاخلاق المحمودة عن خواص أمته صلى الله عليه وسلم.

ورموا الإسلام والرسل والمسلمين بالغلظة والعنف وسفك الدماء واستبعاد المخلوقات وسلبهم ممتلكاتهم ظلما وعدوانا، هكذا إذن عرفت طبقة الشر والكفر والجحود والبغضاء والحسد الدين الإسلامي الذي آتى به صلى الله عليه وسلم، ومشى في هذا الخط المعوج واعتنق هذه الفكرة السقيمة الذين لم ينور الله لهم العقول والمتعطشون للثقافة الغربية، فصاروا يروجون هذه الدعاية من حيث لا يدرون ولا يشعرون بما يقترفون من أكبر ذنب وجريمة ألاوهي شهادة الزور، والتفوه بما لا يعلمون «قل نما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطان وان تقولوا على الله ما لا تعلمون» صدق الله العظيم . والتقوى على الله وعلى رسوله وعلى الخاصة من أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بلا علم هو من أكبر الكبائر حيث جاء معطوفا على التي تضمنتها الآية الكريمة.

وأما العبائر المحبون لهذا التصوف فان كلا منهم عبر عنه بحسب ما قد فتح الله عليه، فمنهم من قال التصوف مشتق من الصوف لأن أصحابه كانوا يلبسون الثياب الخشنة الغليظة من الصوف، وهذا نوع من المجاهدة للنفس كالمبالغة في العبادات إلى آخره. ومنهم من قال التصوف من الصفاء أي صفت قلوب الصوفية من الأكدار. ومنهم من قال التصوف كان في أهل الصُّفة ويعنون بذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأما سادتنا العارفون بالله فانهم قالوا بان التصوف هو ما اتصف به الرسول صلى الله عليه وسلم في أقواله ومعاملاته لخالقه وللمخلوقات. وبعبارة أخرى هو مقام الإحسان وهو المنشود والغاية من الأركان الثلاثة لدين الإسلام (الإسلام والإيمان والإحسان) القائل فيه

صلى الله عليه وسلم لإحسان هو ان تعبد الله كأنك تراه فان لم تكن تراه فان لم تكن تراه فانه يراك».

وان شئت فقل التصوف هو الأخلاق الكريمة الفضيلة النبيلة التي قال فيها صلى الله عليه وسلم: « وما بعثت الا لأتمم مكارم الخلاق» التي شهد الله بها لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم إذ قال: « وإنك لعلى خلق عظيم» إذن التصوف هو أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن فاتك تصوفا فاتك أخلاقا.

نسقي الناس الكليا　　　بلا حد وعدد

وأما قوله رضي الله تعالى عنه:

"نسقي الناس الكليا　　　بلا حد وعدد"

فمعناه أن كل من أتى عند الشيخ ليستمد المدد والمعرفة الربانية والسداد في الأقوال والرشاد في الأعمال والسلوك في الأحوال يبلغه الله تعالى مقصوده ويحقق رجاءه فهو "الشيخ" مصدر من مصادر رحمة الله تعالى وكل من وقف في بابه لا يخيبه الله تعالى ولا يحرمه من فضله لأنه توسل إليه بمفتاح من مفاتيح الخير الذي قال صلى الله عليه وسلم في أمثاله: "طوبى للذي خلقه الله تعالى مفتاحا للخير مغلاقا للشر" واما قوله" بلا حد وعدد" بمعنى مدد الشيخ قوي وجاهه مقبول عند الله وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل من رشحه الشيخ إلى مقام التفريد والتوحيد الخالص لا يخيبه الله فدعائه مقبول عند الله تعالى وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو من ضمن الرجال الذين قال فيهم صلى الله عليه وسلم "إن لله رجالا لو أقسموا على الله لأبرَّهم ا كما قال عليه الصلاة والسلام وفي البيت التالي يذكر ما أكرمه الله تعالى به من خالص العبودية له، فحصل على وداده وصار من المحبوبين عنده فقال: "ناداني يا عبيدي وإسم عبيدي جاء بالتصغير والمقصود بهذه الصيغة الشفقة والرحمة .

يا حبي يا بوزيدي　　　منحتك ودادي فأصدع ولا تجحد

ولا تجحد بمعنى ولا تكتم هذا الأمر فأصدع واجهر به وادع إلى الله ولا تخشى لومه لائم فالله من وراءهم محيط.

في الحين اسقيت الأحباب　منهم أفراد وأقطاب

لبسوا نعم الثياب			من حضرة الأحد

ولما كان للشيخ الإذن من الله تعالى، وأمر بإرشاد العباد فما عليه الا ان يقوم بما كلف به قهرا عليه وهو المعذور كما قال سابقا في منظومته والى هذا أشار "في الحين أسقيت الأحباب" أي هم المحبون لحضرة الله تعالى الباذلين أقصى المجهودات بالتضحيات في الوصول إلى موطن التحقيق والمعرفة بالله بنعم الوسيلة ألا وهو الشيخ المأذون من الله ورسوله لمقام إرشاد العباد "منهم أفراد وأقطاب" الأفراد يقصد الشيخ بكلمة الأفراد المريدين الذين فتح الله عليهم وصاروا من العارفين بالله ولم يكلفوا بإرشاد الناس إلى هذا الفن النبيل.

" وأما الأقطاب "يقصد به المشايخ الذين تخرجوا من مدرسته وعلى يده فهم من المأذونين في التربية وتلقين الإسم الأعضم المفرد وكل من الفريقين لبس نعم الثياب والمقصود بهذا كما جاء في قول الله تعالى "ولباس التقوى ذلك خير "تقوى الجوارح والقلوب المسخرة للتفكير في الله ولطاعته فيما أمر ونهى. وذلك التوفيق لهم "من حضرة الله".

وأما قوله رضي الله تعالى عنه وقدس وسيره:

"طريقتي موصوفة			بالصدق مع الوفـــا"

"يالسر والمعرفـــة			وسبـــل الإرشـــاد"

فلقد بين صفة هذه الطريقة بالصدق مع الله تعالى ومخلوقاته والوفاء بالعهود والعقود.

"بالسر" يقصد بالسر النور من الله تعالى يقذفه المولى عز وجل في قلوب أحبابه لتوطيد العلاقة بخالقهم، ومن هذا السر تتفجر المعرفة الإلاهية وهو استمرار الحضور مع الله تعالى في حالتي الجمال والجلال بحيث لا يرى سواه في الوجود فيرزق الفهم عن الله تعالى ولا يسمع ولا يرى فعلا الا وينسبه للفاعل الحقيقي في الأشياء، وان لا حركة ولا سكون إلا بالله تعالى ، ولا سمع كلمة إلا كذلك وينسبها الى الذي أنطق جميع المخلوقات. ومن هذا لا يلوم ولا يعاتب أحدا ولا يثنى ولا يشكر إلا الله سبحانه عز وجل في جميع ما قضى وقدر.

" هذا معنى السر والمعرفة والله ورسوله أعلم.
واما قوله: " سبل الإرشاد"
"سبل" وهي جمع سبيل وإن شئت قلت الطريق والطرق الموصلة إلى الله تعالى بعدد أنفاس المخلوقات لأن لكل مخلوق داءه ودواء الخاصين به، وسادتي المشايخ الذين نصبهم الله تعالى في مقام الإرشاد هم أطباء النفوس والأرواح حيث علمهم الله تعالى كيف يعالجون المردين ولكل منهم علته ومانعه عن الدخول في حضرة الله فالشيخ هو قطب الدائرة ولكل من المردين يستمدون منه المدد، فهم أشعة الدائرة وهو النقطة المركزية لها، إنه يستمد المدد من الله ورسوله في معالجة هؤلاء المردين الذين لهم صلة بهذه النقطة المركزية ألا وهو الشيخ المربي والله ورسوله أعلم.

" مقصدي للسلوك   كذا النفي للشكوك"
" يصير ملك الملوك   في مقام الأفراد"

وبه يعني الشيخ أن من قصدني طالبا الله عز وجل وليكون من السالكين لا من المجاذيب، ويكون إن شاء الله من أهل اليقين والمشاهدة لا الشكوك ولا الريب.
"ملك الملوك" الذين أعطاهم الله سلطانا قويا على أنفسهم فلا تزيغ ولا تميل عن الصراط القويم المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهمولا الضالين "في مقام الأفراد" أي مقام التوحيد الخالص له تعالى في جميع ما يشهدون بحيث لا يشهدون شيئا إلا ويرون معه نور الإله الذي ملأ أركان العوالم "الله نور السموات والأرض " صدق الله العظيم.
ثم ينادي الشيخ رحمه الله تعالى قائلا :

"هلموا يا إخواني   لجنة العرفان "
" ترى كل الأعيان   ما لا ترى بالأثماد "

ينادي الشيخ باسم الأخوة الإنسانية والدينية ويرغبهم في هذه الدعوة إلى الله تعالى والتي بها إن شاء الله يدركون المعرفة وحقيقة الأشياء التي تدرك بالبصيرة لا بالبصر .

" لتعلمو كلكم   فرعكم وأصلكم"
" يظهر منكم سركم   الكائن في العباد"

والفرع والأصل واحد لأن الفرع هو امتداد للأصل يظهر منكم سركم الكائن في العباد وهو من أمر الله تعالى الذي يحرك ويسكن جميع مخلوقاته والمقصود بأمر الله تعالى هنا لتعلموا وتتطلعوا على سر الأرواح الموجودة في العباد أي في أجسامكم وما هي إلا أمر من الله عز وجل " يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا " .صدق الله العظيم

ثم أردف يقول :

"وكلكم أزهار وأنوار وأسرار"

" لكن رؤية الأغياب عمت كل الأكباد "

هنا يشير الشيخ إلى الذين طهرت سريرتهم وتنورت بصيرتهم ويرون جميع المخلوقات برؤية عظيمة كاملة جميلة فقال:" كلكم زهار وأنوار وأسرار"، إذ جاء في القرآن " هذا خلق الله فتبارك الله أحسن الخالقين". لكن رؤية المحجوبين عن الله تعالى أطلق عليهم لفظ الأغيار لأنهم احتجبوا بالصورة عن المصور وبالخلق عن الخالق ورأو غير النورانية الإلاهية في مظاهر الوجود، ولهذا قال هذه المصيبة عمت كل الأكباد ومفردها (كبد) " ولقد خلقنا الأنسان في كبد".

"كبد" أي مصائب الدنيا والآخرة إلا الذين سبق له اللطف من الله تعالى فإلى هذا يشير الشيخ مبرزا بأن الغلة والحجاب عن الله سبحانه عز وجل أكبر المصائب التي عمت إلا ما رحم ربي .

ثم يختم هاته القصيدة فيقول :

" فهذه النصيحة للخلق مفرحة"

" بلسان مبرحة هلم يا أسياد "

"والصلاة والسلام على بدر التمام"

"هو أصل الأنام هو النور الموقد"

" وآله والأصحاب وأزواجه والأقراب"

" وأصهاره والأحباب بلا عد وعدد"

" والرضى عن أستاذي هو بحر إمدادي "

" عنه نسقي العباد في لحظة الإشهاد"

ففي هذه الأبيات الأخيرة يعترف بالجميل لشيخه وهو سيدي محمد بن قدور الوكيلي الكركري بإقليم الناظور المملكة المغربية وهو شري حسني نفعني الله والمسلمين ببركته، ومن جملة الإعتراف لهذا الرجل العظيم والطود الشامخ الراسخ في بحر المعارف واللطائف والتحقيق والتشريع قال الشيخ سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي نيابة عن شيخي أسقي وأشد وأوجه وأعرف ضمنيا بأن هاته الأسرار ليست لي بل هي لشيخي رضي الله تعالى عنه وهذا شأن المتأدبين المعظمين لشيوخهم سواء في الحياة أو في الممات وصدق من قال :

" الحر يراعي وداد لحظة وينتمي إلى من علمه لفظة "

وكما قيل :" إذا أنت أكرمت الكرم ملكته

وإذا أنت أكرمت اللئيم تمردا "

وله أيضا رضي الله تعالى عنه وقدس سره :

يا من تطلب وصلها وتشرب من كأسها

تمسك بأهلها ساداتنا ناس الجود

أقصدهم لأجلها واسألهم بفضلها

يسقوك من خمرها فيها نار الوقود

إنّ ضمير الهاء من بداية المنظومة إلى آخرها يقصد به الناظم شيخنا رحمه الله تعالى الحضرة الإلاهية العالية ويستر أمره بهذا بهذا الضمير المؤنث " ها" في قوله " يا من تطلب وصلها" فأهل الفن والمعرفة بالله يعرفون الغرض والمقصود من هذا الضمير والمحجوبون عن الله والعوام يظنون أنّه يتعزل بحسناء أو بليلي أو بمريم فسيتريح العارفون بالله من جدالهم ومن قيلهم وقالهم لأن العوام يحبون هذا فيحول العارفون بالله بينهم وبين ما يحبون ويشتهونه .

ففي هذين البيتين يشير الشيخ رضي الله تعالى عنه كأنه يقول:" يا من طلبت شيئا فعليك أن تقصد أربابه كما تشير الآية الكريمة "" واتوا البيوت من أبوابها" وليس كل من يدعي فنا من النون متمكنا وماهرا في ايصاله إلى من اقتدى واهتدى به .

وعلينا ن نقارن سيرة هذا الشيخ مع سيرة النبي صلى الله عليه وسلم في القول والعمل والحال فإن كان تمام التطابق مع سيرته صلى الله عليه وسلم فعلينا الإقتداء به وطاعته، وإلا فلا.وكما قيل :" السنة تجمعنا والبدعة تفرقنا " .

ورحم الله شيخنا سيدي أحمد العلاوي رضي الله تعالى عنه القائل في هذا المعنى :

فإن صادفت الداعي محقا في زعمه

مشيرا إلى التحقيق والمقام الأعلى

فإياك والإهمال فافحص عن قوله

وسله عن الوصول هل يعرف الوصلا

فإن أشار بالبعد فذاك لبعده

وإن أشار بالقرب فاعتبره أهلا

يوضح لك السبيل للحق قاصدا

بذالك وجه الله جل وتعالى

وينهض بك في الحال عند لقائه

ويضع لك قدما في السير عند المولى

لهذا أوصانا رحمه الله تعالى " تمسك بأهلها"الذين أهلهم الله تعالى إلى مقام ارشاد العباد إلى موطن سعادة الدارين .

فقال: " سادتنا ناس الجود"

وهم الذين إن رأوا فينا صدق النية وتمام الإستعدد أمدونا بالمدد بلا سؤال، لأنه كما سبق الجود هو العطاء بلا سؤال ورحم الله سيدي أحمد العلاوي رضي الله تعالى عنه مثنيا على شيخه البوزيدي قدس الله سره كأنه يقول ليس الجود من جاد عليك بنعمة من نعم الدنيا وإنما الجود هو من جاد عليك بسر ومعرفة الله .

فقال رضي الله تعالى عنه أي سيدي أحمد العلاوي :

"جزى الله من جاد علينا بسره   فالجود فذاك الجود من جاد بالسر "

وأما قوله رضي الله تعالى عنه :

أقصدهم من أجلها   واسألهم بفضلها

" إنما الأعمال بالنية" كما قال صلى الله عليه وسلم والنية هي القصد أي أقصدهم لمعرفة الله والآداب مع الخالق والمخلوقات لا كالعوام الذين يصاحبون الصالحين لتحقيق مقاصدهم الدنيوية كطلبهم من الصالحين سيدي أدع لي المولى عز وجل أن يرزقني مالا وزوجة وبنينا أو مسكنا فسيحا جميلا أو رتبة من الرتب أو السلطة أو المكانة المرموقة حتى إذا تحقق لهم ما طلبوا من سادتي الصالحين سيدي أدع لي المولى عز وجل أن يرزقني مالا وزوجة وبنينا أو مسكنا فسيحا جميلا أو رتبة من الرتب أو المكانة المرموقة حتى إذا تحقق لهم ما طلبوا من سادتي الصالحين، انقلبوا عليهم وزكانوا من أشد الناس عداوة لهم وحربا عليهم فيبتليهم الله تعالى بالسلب بعد العطاء وبالفسخ لأنهم فسخوا ونقضوا عهد الله تعالى وبالتالي بالمقت والمسخ " ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين" فعلينا أن نعمل بما أوصانا رسول الله صلى الله عليه وسلم كما قال :" إذا سألتم الله فعظموا المسألة" وأي نعمة دنيوية أعظم من رضوان الله تعالى ورحمته الواسعة وعفوه الشامل الذي خص الله تعالى به عباده المتقين العارفين به. وكما قال الله تعالى " ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون " صدق الله العظيم .

ومن هنا يتبين لنا في صورة جلية واضحة أن لا تكون صحبتنا للصالحين ومحبتنا للمشايخ إلا لله وفي الله، لا نسألهم شيئا من أمور الدنيا لأننا لا نعرف ما يصلح لنا، فلنترك أمرنا لله تعالى وهو أعلم منا بما ينفعنا في الدارين وما خاب عبد قط فوض أمره إلى الله فهو المولى ونعم الوكيل .

وأما قوله "يسقوك من خمرها فيها نار الوقود "

فنتيجة صحبة العارفين بالله تعالى تعود علينا بهذه السقاية الطاهرة المباركة ألا وهي المعرفة بالله فبها تعرفة في جميع التجليات الجمالية والجلالية بحث لا تتفتن ولا تتأثر بأي مظهر من المظاهر وتقول كما قال سيدي محمد المداني القصيبي التونسي :

فغب عن الصفات وافن في ذات الذات

هذه تلونات مصيرها لله

ولا تتأثر إلا بمولاك الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم وما تزيدك هذه المعرفة إلا محبة وغراما كأن منها نارا تتوقد في قلبك فتحرق كل ما سوى الله ويبقى المولى عز وجل وحده لا شريك له الذي قال الحديث القدسي:لا تسعني أرضي ولا سماني إلا قلب عبدي المؤمن أو كما قال والحمد والشكر لله على ذلك ثم واصل فقال :

ومن توجه لها تمتع بحسنها

وكان من أهلها تايه عن جمع الوجود

من شرط التمتع والإنتفاع بحسنها أو إن شئت قلت سناها ونور هذه الحضرة الإلاهية توجه كليا بحيث لا يكون مع الله محبوبا آخر لأن ذلك هو عين الإشراك عند العارفين بالله فواجب ولا بد أن يتفرد المولى في قلبك وحده لا شريك له عز وجل ولقد ضرب لنا سادتنا العارفون بالله مثلا ما أروعه وما أجمله إذ قالوا من أراد أن يغرس أي حبة من الحبوب الجافة سواء كانت شتوية أو صيفية و أعني بالشتوية التي تغرس في الشتاء كالقمح والشعير أو الصيفية كالحمص إلى آخره فلا بد أن تدفن الحبة بكاملها ورشيمها أي المعروف عند العامة نباتها وإن جزأتها أجزاء فلا ينبت منها شيء .

كذلك المحبة الإلاهية ينبغي أن تصرف كلها لله. وأما قوله رضي الله تعالى عنه :

" لتكون من أهلها" أي من أهل المحبة لله .

" تايه بها عن جمع الوجود" بحيث لا تتأثر بجميع الموجودات وتكون همتك معلقة برب الوجود .

إذا انجذب إليها ورفعت سترها

تمتع بنظرها كان من أهل الشهود

فمن سبقت له العناية الربانية وجذبته الحضرة الإلاهية بقوة الجاذبية من حيث لا يدري ولا يشعر يبدل الله فيه بالرذائل الفضائل ويلبسه المولى عز وجل الحلة المرضية فيصبح من المؤهلين بأتم الآداب لهذه الحضرة فيرفع الله عليه حجاب الغفلة ولهذا قال الشيخ رحمه الله تعالى" ورفعت سترها"والواو في هذه الجملة واو العطف للترتيب فلا

يرفع عليه الحجاب إلاّ إذا كان من أولي الألباب وليس هناك حجاب مادي بينك وبين الله ولا سد ولا خندق ولا مسافة بعد وإنما حجابك هو اهتمامك وبذل أقصى قوتك في تحصيل ما قد كتبه الله لك في الأزل ويسره لك كالرزق والمكتسبات والغفلة والزهد فيما طلب منك ورحم الله سيدي أحمد بن عطاء الله السكندري رضي الله تعالى إذ يقول :

حرصك على ما ضمن لك وزهدك فيما طلب منك

لدليل على انطماس بصيرتك

وأما قول الشيخ رحمه الله تعالى :

" تمتع بنظرها كان من أهل الشهود"

وهنا المقصود به يتلذذ بالمشاهدة وحيث ما وقع بصر العارف بالله إلا ويرى نور القدرة الإلاهية التي تسير جميع ما في الكون وفقا للإدارة الإلاهية فيسلمون الأمر لله تعالى ولو كان القضاء لهم أو عليهم لأنهم لا يشاهدون في المشهودات إلا الشاهد الأعظم وهو الأكبر وأعظم وأجل الشاهدين " وكفى بالله شهيدا ".

وأما قوله رضي الله تعالى عنه :

ومن ينظر إليها أين يجد غيرها

إذا باح بسرها كان في حاله مفقود

قال سادتنا العارفون بالله رضي الله تعالى عنهم " ما في الوجود إلا رب الوجود" ولم يروا غيره باعتباره موجد الوجود ورحم الله سيدي محمد المداني القصيبي التونسي .

غاني أنت المبتغى وفضلك إلى قد صغى

ما زاغ البصر ما طغى عند التجلي في مرئاه

من رأى غيرك بغى لا إله إلا الله

أي من رأى غيرك خالقا رازقا موجدا منعما نافعا ضارا محييا مميتا فقد بغى أكبر بغي وأكبر ظلم لنفسه لأنه أشرك بالله .

" إذا باح بسرها كان في حاله مفقود"

إذا باح بسرها لغير أهلها وبلا إذن فإنه يخرج من عداد العارفين بالله الصالحين ويسلب،أعوذ بالله من السلب بعد العطاء لأن من الآداب وكتمان ما أطلعك الله عليه وفي هذا المعنى قال شيخنا سيدي أحمد العلاوي رضي الله تعالى عنه :

كم كتمنا ثم زدنا كتما ولا ذنب لنا في الإكتتام

وقد نذرت للرحمان صوما إذ في الكتم عز واحترام

ولولا إذن الله فيه حتما لما فشيناه على الداوم

ثم قال رضي الله تعالى عنه :

يا من تطلب لقاها أين تجد سرها

تجد روحك معها إذا فقت من الخمود

فإن المولى عز وجل لا يبحث عنه في أي مكان كان ولا في أي زمان لأنه لا يتقيد بمكان ولا زمان وإنما علينا أن نبحث في أنفسنا فنجتهد في إزالة كل القواطع والموانع لمعرفة ربنا وبداية المعرفة من أنفسنا والنهاية " وأن لربك المنتهى " .

ولقد قال الله تعالى " وفي أنفسكم أفلا تبصرون" كما قال أيضا :" ولقد خلقنا ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد " صدق الله العظيم .فعلينا أن نحوز نور هذه المعاني الموجودة في هذه الآيات .

ولهذا قال :

" تجد روحك معها إذا فقت من الخمود "

والرقود والغفلة والملاهي واللهو والقيل والقال، ثم يستسمح الشيخ الذين لم يكن لهم في هذا الفن الذي هو معرفة الله وعلم الأشواق والأذواق حظ لأنهم جهلوه " والناس أعداء لما جهلوا " كما قيل، فقال:" يا من تلوم أهلها إذا فاهوا" إذا تكلموا بحسنها سامحني بفضلها وبجاه اسم الودود"، ثم يعتذر لهؤلاء المحرومين كأنما يقول لن نستطيع صبرا على من ينعشنا وبه تقوم حيتنا الروحية وتزين حالنا حيث أكرمنا الله برضوانه وذاك هو المقصود فقال :

كيف يصبر من رآها وذاق من هواها

ويتيقن برضاها وبتمام المقصود

بعد ذلك يوصينا شيخنا أن نتقرب إلى الله تعالى بأنواع القروبات والنظر والعمل بما أمر المولى عز وجل والإبتعاد عمًّا نهى عنه لنحصل على هذه السقاية الإلاهية وفقا لما يقال "من عمل بما علم علمه الله ما لم يعلم " كما قال الله تعالى " واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم" فهناك تزول العوائق والقواطع والموانع وتتهدم السدود .

فقال رضي الله تعالى عنه :

قصد وانظر لها	وأمر بأمرها
سقتني من مائها	به انهدم السدود

وأما قوله رضي الله تعالى عنه :

قصد وانظر لها	وأمر بأمرها
سقتني من مائها	به انهدم السدود

وأما قوله رضي الله تعالى عنه :

نطقت بصوتها	وغيبتني فيها
سقتني بحبها	فيها غيبة الوجود

إذا حب الله عبدا ألهمه، كما قيل فالإلهام للأولياء والوحي للأنبياء وهذا هو المعبر عنه بالصوت، وهذا الصوت ليس كصوت البشر مفتقرا إلى هواء وإلى قصبة الهواء وأحبال صوتية تفرق بين مخارج الحروف أو يأتي من جهة معينة بل هذا الصوت أو الإلهام يسمعه في أعماق كيانه من ضمير وعقل وروح فلا يرتاح له بال ولا يجد راحة ولا لذة إلا إذا استجاب للنداء وفي الإستجابة لنداء المنادي يغيب العارف عن حظوظه وينسلخ عن عادته وطبيعة البشر فعبر عن كل ذلك بقوله :" وغيبتني فيها" .

وأبدل بكل ما كان يحبه من قبل محبة خدمة وطاعة الله فغاب عن الوجود المادي إلى الوجود بربه فذاك ما أشار إليه الشيخ " سقتني بحبها فيها غيبة الوجود " فواصل رحمه الله تعالى بعدما فتح اله عليه فأصبح لا يرى إلا الحسنى والجمال فيما قد ظهر من قضاء الله وقدره ومثل هؤلاء الرجال لا يشتكون ولا ينزعجون ولا يستتكنون ولا يتألمون فيما ظهر من قضاء الله الجلالي لأن عندهم لا يكون الحبيب حبيبا إلا إذا رضي عن محبوبه فيما جرى منه ولا يرى في محبوبه إلا الخير والكمال والجمال فهم يتلذذون بالجلال كما

يتلذذون بالجمال إلا أنّهم لا ينفتنون بالمظاهر الجمالية ولا تبطرهم النعمة ولا تصدهم عن العبودية والشكر لله على ما جاد به عليهم في الحالتين بل تضمحل إرادتهم فيما أراده الله ولا يرون وجودهم مع وجود الله .

لهذه المعاني أشار في هذه الأبيات :

ظهرت بحسنها ومزقت سترها
عمتني بنورها ولم يبق لي وجود
قربتني إليها ملكتني سرها
سطعت بدويها ولا تخشى من جحود

ثم قال رضي الله تعالى عنه :

ومن ينكر إليها كان محجوب عليها
تحرمه من سرها كان من ذلك مطرود

وهنا يقصد الشيخ الذين يريدون أن يوحدوا الله ولكن لا يتم التوحيد في عقيدتهم السقيمة والعقيمة إلا إذا أساءوا الأدب مع أهل حضرة الله من الرسل والأنبياء والأولياء والصالحين، معتقدين خطأ أن مواقفهم السلبية بالإنكار على هؤلاء إنما هي لله ولهذا قال:"ومن ينكر إليها" .

وإلى هؤلاء تشير الآية الكريمة " قل هل أنبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضلّ سعيهم في الحياة وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا " صدق الله العظيم.ففي زعمهم أن الإنكار على أهل الله إنما هو التقرب إلى الله ولكنهم بذلك إنما يبتعدون كل البعد عنه ولذلك قال الشيخ رحمه الله تعالى " كان محجوب عليها"

أي على الحضرة الإلاهية بأنانيته وتطاوله وحسده لأهل الله العارفين الصالحين(آه)" أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله" وبسبب هذه الصفات الرذيلة الكامنة في أنفس هؤلاء المنكرين أصبحوا محرومين من سرها ومطرودين من حضرتها.ثم انتقل إلى الثناء الجميل على العارفين بالله فقال :

ومن يعرف قدرها وكان من حزبها
روحه باش يكفيها مهرها ليس معدود

نعم مهرها ليس معدودا فمن يريد الله لا يشح على الله في دفع مهرها ليكون من أهل حضرتها فلا تعطى له هذه المعرفة الكلية إلا إذا دفع لله تعالى نفسه بأجمعها ومالها ولا يبخل بنفس ولا نفيس في نيل رضوان الله تعالى فالكل رخيص فمن دفع الكل يعطي الكل ومن دفع الجزء يعطي الجزء .

ثم يواصل شيخنا رضي الله تعالى عنه بقوله :

فوض أمرك إليها يا من ذقت سرها

كرمتك بفضلها وانفكيت من القيود

ثم يعرف اسمه في هذه المنظومة ويصلي على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الختام فقال :

ابن البوزيدي لها عبدا في طاعتها

متمكن بحبها طه مفتاح سرها

هو المدد لها محمد سيد الوجود

وله أيضا رضي الله تعالى عنه :

يا لائمي لا تلوم أمهل عليا

لا شك تعذرني لو تعلم خبياتي

الحب افناني واملكني راعيا

مالي طقة لكتم الحقيقة

أنا العاشق والعشق مني إلي

أنا الحبيب وقصدي أهل المحبة

ففي هذه القصيدة يسمو بنا الشيخ رحمه الله تعالى ورضي الله عنه إلى المقام الأعلى الأسنى ويشير إلى ذلك بذكر بعض الرموز الكوكبية كالثريا والعامرية كأنما يقول بلسان حاله فانسلخوا من عالم الماديات إلى الملكوت وما فيه من راحة الضمير واطمئنان الأفئدة وتسخير الجوارح فيما يسعدها في دنياها ودينها بعدما يطلب الإمهال من لائمة ليوضح ما هو فيه من حياة روحانية نورانية لعله يكون له حظ في موطن السعادة والفوز بتحرير نفسه من قيودها فقال :

" يا لا تلوم أمهل عليا لا شك تعذرني لو تعلم خبياتي "

" خبياتي" مفردها خبية وهو المكان الذي يستر فيه عن عيون الناس كل نفيس وهنا يقصد الشيخ رحمه الله تعالى ورضي الله عنه بخبياتي صيانته في أعماق نفسه الأسرار الإلاهية وأشواق المحبة الربانية ومشاهدته للأنوار القدسية حتى غاب عما سواها التي حصلت له في انتهاجه لهذه الطريقة الصوفية بقيادة وارشاد شيخه سيدي محمد بن قدور الوكيلي رضي الله تعالى ونفعني وإياكم ببركته .

ثم أردف يبين شيئا فشيئا أمره فقال :

الحب افناني واملكني راعيا مالي طاقة لكتم الحقيقة

فالحب عبارة عن قوة تجذب القلوب إلى المحبوب وكل حبيب إلى حبيبه بقلبه يميل فهناك يفنى فيه والمقصود بالفناء جميع الملهيات والمفتنات والمغربيات التي تحول بين الحبيب ومحبوبه تتلاشى وتزول وتضمحل ولا يبقى منها بقية ولو مقدار شعرة لأنها إن وقعت على البصر أعمته فبزوالها تصفي النظرة وتطيب الحضرة كما قال شيخنا سيدي أحمد العلاوي رضي الله تعالى عنه :

صافت النظرة طابت الحضرة جاءت البشرى لأهل الله

وأما قوله رضي الله تعالى عنه :

" وأملكني راعيا" فلما تحققت في الشيخ العبودية أكرمه الله تعالى بسر الربوبية فتنور فؤاده بأن ليس له ربّ ولا ملك سوى الله فأصبح يشعر في أعماقه أنه مملوك لله تعالى والمملوك لا يعصى مولاه فأصبح الشيخ راعيا يراعي ويحافظ على المواثيق والصلة الواجبة على العبد نحو مولاه أي الطاعة التامة في الحس وفي المعنى، ولما أطلعه الله تعالى وأكرمه بهاته الحقيقة قال" مالي طاقة لكتم الحقيقة" ولما عرفه الله تعالى وأطلعه على أسرار معاني قوله تعالى :" ولما عرفه الله تعالى وأطلعه على أسرار معاني قوله تعالى :"ونحن أقرب إليه من حبل الوريد " وأحسّ بالحاسة الخاصة لساداتي العارفين بالله بأن الله أقرب إليه من نفسه أنشد يقول :

أنا العاشق والعشق مني إلي

أنا الحبيب وقصدي أهل المحبة

ثم واصل فقال :

هب هب نسيمي من علاه تيا

أشرح لي صدري به دامت حياتي

وهنا يقصد الشيخ رحمه الله تعالى هب نسيم محبته من علاه فالمحبة نعمة وعطاء من الله تعالى لأهل وداده فإن القلوب بين أنامل الرحمان كما جاء عنه صلى الله عليه وسلم ويدع فيها الله تعالى ما شاء فليس لأحد له الخيار أن يحب أولا يحب فالذين أكرمهم الله تعالى بمحبته، كل على حسب ما يستطيع، أن يتحمل من نور المحبة لا يكلف الله نفسا إلاّ وسعها وأما قوله :" من علاه تيا" .

يقصد بها نسيم قوي شديد بلا مقدار ولا كيل صادر من خزائن الله " وإن شيء إلا عندنا خزائنه " فهذه المحبة الكاملة التامة التي قال فيها العارفون المحبة تتألف من الحروف الميم ميم الممات والحاء حاء الحياة والباء باء الإبتلاء والتاء تاء التجرد،.وأما شطر البيت " اشرح لي صدري به دامت حياتي"

وكيف لا قد طهر الله صدور عباده الصالحين من جميع ما يلوث حياتهم ويكدرها وأسعدهم بدوام الطاعة لهذا أشار " دامت حياتي " فلا حياة ونعم الحياة إلا للذين سخروا حياتهم كلها لطاعة الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون " صدق الله العظيم .

فإن كانت الآية قد نزلت في شهداء أحد على وجه الخصوص فإن ذلك لا يمنع أن تجر بذيلها كل من أكرمه الله تعالى بالصلاح وتسخير الجوارح في طاعته ممن كانوا موصولين بربهم، لا من الغافلين ولا من المحجوبين، فأحياهم الله تعالى به وله قوة إلا بالله وبكلمة وله أي فهم لله تعالى في جميع الحالات وكل ما أكرمهم الله تعالى به من النعم يصرفونها له عز وجل طالبين بذلك عفوه ورضوانه " رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربّه " الآية .

ثم يبين لنا رضي الله تعالى عنه أن كل من أكرمه الله تعالى بتلك الفتوحات الربانية أطلعه على أسرار الكون المستورة عن الغافلين المحجوبين فقال :

" وانفتقت أسرار كانت رتقيا

ونارت الأكوان من حبي ونشوتي "

" انفتق" تهتك الحجاب أو مزق الحجاب وقد ظهر ما كان وراء الحجاب أي ظهرت أسرار كانت رتقيا " .

" رتقيا" بمعنى كتلة واحدة فكانت في حيز الغيبيات فلما انفتقت صارت ظاهرة بعضها من بعض فأصبحت لهذه الأسرار إشارات لا يفقها ولا يعرفها إلا الذين فقهتهم وعلمتهم كما قال سلطان العاشقين رضي الله عنه :

ولي في الهوى علم تجل صفاته

ومن لم يفقه الهوى فهو في جهل

وممن كان في هذه الحال ترحب به الحضرة العالية.

وواصل الشيخ رحمه الله تعالى قائلا :

أهلا وسهلا بطلعة الثريا

مرحبا مرحبا بالعامرية

سمعت نداء تعرضت إليا

وقالت يا عاشق تجرد لزورتي

ولما كان الناس يعيشون في ليل دامس فإن الله أنار لسادتي العارفين السبيل وجعلهم كواكب يهتدي الناس بهم في ظلام الليل وعبر على ذلك بالثريا والعامرية وكما قيل " اطلب الخير تجده لنفسك " وهذا شأن ساداتي أهل الخير يوجهون النداء للناس قاطبة يدعونهم إلى ساحة رضوان الله تعالى فقال رضي الله عنه :

" سمعت نداء تعرض إليا

وقالت يا عاشق تجرد لزورتي"

ولما قالت فالقول من الله أمر وإذا أراد الله شيئا أن يقزل له كن فيكون فجردهم الله تعالى من جميع القواطع والموانع وأكرمهم بزور ساحة عفوه ورضوانه .

ثم أردف يبين فقال :

وانقذنتي من قيود الوهيا

وأجلستني في أعلى المقامات

وقد دارت لنا كأس الحميا

خمرة لتسبي ملوك الطريقة

طلعت شمس على نجم المعيا

وبدا نورها في كل المكانات

فمن سبقت له العناية الربانية أسعده الله تعالى بإنقاذه بمعنى ينجيه الله تعالى ويفكه القيود الوهمية التي أشار إليها " بقيود الوهيا " معنى ضعيفة هشة كخيوط العنكبوت وتسمو به الهمة الإلاهية إلى أعلى مقامات ومراتب الإنسانية الكاملة الفاضلة بحيث لا تتم إلا بإخلاص النية والصدق في العبودية وهنا تبدو العطايا الإلاهية من المعارف واللطائف التي أشار إليها بقوله :

" قد دارت لنا كأس الحميا "

وهذه الخمرة كل من ذاقها أو بعبارة أخرى كل من أكرمه الله تعالى بهذه المعرفة الإلاهية يسلم الأمر لله تعالى ويبقى بلا حول ولا قوة أمام هذه العظمة الربانية ويصير " مسبيا" فيسبيه الله تعالى بجماله يتحقق لديه قوله تعالى " وما بكم من نعمة فمن الله " فأشار بقوله "خمرة لتسبي ملوك الطريقة " فهناك تشرق شمس المعارف واللطائف فيصبح من الذين يهتدى ويقتدي بهم بعدما كان من قبل الفتح الأكبر في ظلام الدجى يهتدي بالنجوم ألا وهم أهل التربية وأصحابه صلى الله عليه وسلم كل من ورث منه مقام الدعوة والعلم والمعرفة الذين شملهم الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله :

" أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم" وأصحابه صلى الله عليه وسلم كل من ورث منه مقام الدعوة وتبليغ الرسالة والأنوار المحمدية إلى يوم الدين ألا إنّ لكل مقامه ورتبته، وإذا طلعت الشمس لا بقاء للنجوم معها، وجميع الكائنات تستنير بنورها وإلى هذا أشار في البيت :

طلعت شمس على نجم المعيا

وبدا نورها في كل المكانات

وبعد ذلك يقول :

لو ذقت يا خلي لذيذ الثريا

لغبت به عن كل المحسوسات

أخلع عذار الحس وكن فنيا

في بحر المعاني حط الرحالات

حط الرحال في بحر الأحدية

أخلع نعليك عند باب الخمرات

لك البشرى يا خلي وكن هنيئا

لا تخشى من فزعي ومن أفتي

إن علم القوم لا يتوقف على النظريات والمصطلحات المضبوطة بشتى القواعد وإنما هو علم الأذواق وكل من ذاق تشوق حتى يصير عين المعرفة، وجميع مصادر المعلومات يفجرها الله تعالى في قلبه أي في قلب العارف فذاك ما يشير إليه الله تعالى بقوله:" وعلمناه من لدنا علما" و" واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم" صدق اله العظيم.فهذا هو العلم اللدني الذي أكرم الله تعالى به أولياءه إذ قالوا ما كان لله أن يتخذ وليا جاهلا وإذا اتخذه علمه وإذا علمه الله تعالى حسن أخلاقه وأتم آدابه كما جاء عنه صلى الله عليه وسلم " وما بعثت إلا لأتمم مكارم الأخلاق" و" أدبني ربي فأحسن تأديبي " وهذا كله نتيجة ذوق الخمرة التي أشار إليها بقوله في هذا البيت بالثريا.فيغيب العارف بالله عن عالم الحس بحيث لا تؤثر فيه الشهوات المادية وهو معنى " لو ذقت يا خلي لذيذ الثريا لغبت به كل المحسوسات " .

ثم يرشدنا فيقول :

" أخلع عذار الحس وكن فنيا

في بحر المعاني حط الرحالات"

فعلينا أن نهتم كل الإهتمام وأن نعلق قلوبنا بهذه المسائل النورانية والأسرار الربانية التي تبرز الأشياء من العدم إلى الوجود ومن الوجود إلى العدم فتحرك جميع الحركات وتسكن جميع السكنات وأن نتمعن لا في الأسباب ولكن في المسبب بمعنى أن لا ننسب التأثير في الأشياء إلا لله سبحانه عز وجل وأن نغوص في هذا البحر بأفكارنا وهو بحر المعاني الذي أشار إليه" بحر المعاني حط الرحالات " ثم يؤكد فيقول :

" حط الرحال في بحر الأحدية

واخلع نعليك عند باب الخمرات"

والمقصود أن جميع المخلوقات خلقها الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد.وإذا عرفت هذا يجب عليك أن تحترم جميع المخلوقات من أجل خالقها لأنه سبحانه عز وجل لا يرضى أن يعبث بخلقه وإلى هذا أشار في شطر البيت" واخلع نعليك عند باب الخمرات " .

" لك البشرى يا خلي وكن هنيا

لا تخشى من فزعي ومن أفتي "

ومن حصلت له الخلة بالحضرة الربانية فتخلل جسمه وروحه وكله بالمحبة الإلاهية فله البشائر والتهنئة ولكن من حين إلى حين يأتينا الإبتلاء من الله تعالى فلنصبر لله تعالى ولنا أجر ذلك كما جاء في قوله تعالى :" وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون " صدق الله العظيم .وهذا ما معنى شطر البيت الأخير .

" لا تخشى من فزعي ومن أفتي" والله ورسول أعلم .

وله أيضا رضي الله تعالى عنه وقدس سره :

عليك بتقوى الله حيث توجهت

وكن كريم الخلق في السر والجهر

وحسن الظن بالعباد إن شئت

سرورا مؤبدا من اللب والقشر

وهب عرضك للخلق صادقا إن كنت

تريد بها ثم فخرا على فخر

ولو أذاك واحمل أذاهم واصبر حتى

يرى صبرك القوي والرضا بالأمر

إن الرضا باب الله والصبر يا فتى

به تنال المقام الأعلى من الشكر

فبادر في الإستفتاح يوصينا بتقوى الله والتخلق بالأخلاق الكريمة في السر والجهر أ ي الخلا والملأ عملا بقوله صلى الله عليه وسلم :" اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن " ومن هذه الأخلاق الفاضلة الكريمة حسين الظن بالعباد كما هو عند سادتي العارفين معروف ومتفق عليه حسن الظن مع الخطأ خير من سوء الظن مع الإصابة، ومن كان هذا حاله مع المخلوقات لاشك يلحقه سرور مؤبدا لراحة ضميره وحسن علاقته بأهل اللب أي الخواص من أمة رسول الله صلى الله عليه وسلم كالعارفين بالله والأولياء والعلماء الصالحين وما يقصده بمفردة "والقشر " .

فهي عامة الناس ثم يوصينا بكف الأذى وتحمله من الخلق صادقا لله تعالى ويحمل هذا على الله تعالى " وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتبصرون وكان ربك بصيرا " ومن صبر على أذى الخلق ثم أكرمه الله تعالى بالعفو عنهم عند المقدرة توّجه الله تعالى بتاج البهاء "وفخر على فخر" .

فهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الرضى بالقضاء والقدر والتسليم لله تعالى فأشار إليه رضي الله تعالى عنه " حتى يرى صبرك القوي والرضى بالأمر" والمقام الأعلى للشكر لا يعطيه الله تعالى إلا للذين رضوا وصبروا بما قد جرب به المقادير " رضي عنهم ورضوا عنه ذلك لمن يخشى ربه".

الآية .

ثم واصل رضي الله تعالى عنه فقال :

" وقم واجتهد في الفرض والنفل يا فتى

وكن ظاهرا في البر والقلب في البحر "

فبداية السير إلى الله تعالى هي المحافظة على أداء العبادات في وقتنا المحدد شرعا وعلى أكمل وأحسن وجه كما يحبه الله ويرضى وكما أداها الرسول صلى الله عليه وسلم من الواجبات والسنن ومع ذلك فعليك بكتمان ما أكرمك الله تعالى به أثناء سيرك إلى الله تعالى ولا تجهر به إلا بعد الوصول إلى حضرة الله وبإذنه فأشار رضي الله تعالى عنه فقال :

"وكن ظاهر في البر" أي فلا تخاطب الناس إلا بالشريعة لأنّ الناس لم يذوقوا ما ذقت ولم يعرفوا ما عرفت ولو كان قلبك في بحر الحقائق والأنوار القدسية فيرشدنا كيف نتخلص من القيود الوهمية والوساوس الشيطانية والهواجس النفسانية في سيرنا إلى ربنا فقال :

وغب عنك والغيبة في الغيب إن غبت

وكن حاضرا في الغيب والسر والجهر

بمعنى غب عن جميع الموجودات وأنت من الموجودات فغب عن أنانية وجودك ولا تجعل شأنا كبيرا لهذا الحال ألا وهي الغيبة فغب عنها كذلك .

" وكن حاضرا" أي أستحضر عظمة الله تعالى في الغيب عن حسك وجميع المحسوسات حتى يضمحل الكل في بحر عظمة الله تعالى وأما قوله:" في السر والجهر" هو استحضار المولى عز وجل والتأدب معه في حالة السر قبل الإذن وتصديرك واحلالك مقام صدارة الإرشاد والجهر بعد الإذن وتوفيق الله لك إلى مقام إرشاد العباد .

ثم واصل فقال :

وراقب جمال المعنى في الحس إن جئت

إلى بلاد العيان بالصحو من الشكر

كما سبق له أن قال :

إذا عرفت المعنى في الحس لاحظ سناه

فالكل قائم به موجود بمن تهواه

وراقب جمال وسر نور الخالق في جميع المخلوقات .

وأما قوله:" إن جئت إلى بلاد العيان"

أي المشاهدات وتحقق بقوله تعالى :" أينما تولوا فثمّ وجه الله " فلم يبق للذي فتح الله عليه ورفع عنه الحجاب إلا نور الله المشهود في جميع المشهودات وأما قوله :" بالصحو من السكر".

فمعناه :

إذا جئت من مقام الجذب إلى مقام السلوك، وأشار إلى الجذب بالسكر وإلى السلوى بالصحو .

وأما قوله رضي الله تعالى عنه :

سلكت طريق القرب هكذا إن كنت

وإلا فسر ما دام يومك في العمر

أمامك أقوام تراهم إذا تهت

عن الكون وإلا إنك في الستر

حجابك هو القرب بالقرب قد غبت

ولولا وجود القرب لم تكن في الهجر

فإنك واهم بالجهالة ما دمت

وإن جاءك التحقيق صرت عين الأمر

فسرك مرموز في نفسك إن قلت

فإنك عين السر وأنت لم تدر

فإذا ساقك الله تعالى إلى أرباب فن التصرف المتمكنين في معرفة الله عرفوك إياه بكيفية سهلة وفي مدة وجيزة من الزمان فتصل بهمتهم العالية إلى معرفة الله فتعرف صفات الله في جميع المخلوقات" إن في خلق السموات والأرض لآيات لأولي الألباب الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض " صدق الله العظيم.

وأنت كذلك من المخلوقات فبداية معرفة الله أن تعرفه في نفسك كما يقال : من عرف نفسه فقد عرف ربه، وصدق الله العظيم إذ يقول :" وفي أنفسكم أفلا تبصرون" صدق الله العظيم .

إذن هذا ما أشار إليه الشيخ رحمه الله تعالى :

سلكت طريق القرب هكذا إن كنت وإلا فسر ما دام يومك في العمر إلى الله لم تصل إليه ما دام يومك في العمر وأما الأقوام الذين أشار إليهم فهم المشايخ العارفون بالله " إذا تهت عن الكون " أي كونك أي لا وجود لك مع وجودهم ولاحظّ لك مع حظوظهم " وإلاّ " أي إن نزعتهم فيما يبدو لك أنه من الخير والصلاح فإنك في الستر أي حجبتك أنانية نفسك فحرمت من الإستفادة منهم ومن نصائحهم.وأما قوله " حجابك هو القرب بالقرب قد غبت" وأعظم حجاب يحجبك هو القرب حتى قيل أنّ العين ترى غيرها ولا يمكن لها أن ترى

عينها إلا بواسطة مرآة مصقولة وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال :" المؤمن مرآة أخيه " وحال عزتك بنفسك التي بين جنبك ولم تتخلص من قيودها لأن بالنسبة إليك هي أقرب بالنسبة إليك وأنصح وأنفع لك فرمتك في موطن القطيعة والهجر فإلى هذا أشار بقوله (فإنك واهم بالجهالة) ما دمت معتزا بنفسك مترفعا بأنانيتك إلا أن يدرك المولى عز وجل بعفوه وفك قيودك وتخليصك من أوحال نفسك، وجاء التحقيق فيتفجر عينه في قلبك ويصير الفرع أصل لأن الفرع هو امتداد الأصل فقال :

صرت عين الأمر .

فبين هذه المعاني فقال :

فسرك مرموز في نفسك إن قلت

فإنك عين السر وأنت لم تدر

ثم يواصل يقول رضي الله تعالى عنه :

أزل منك وصف البعد بالوصف قد تهت

ولولا ذلك لكنت في أنوار البدر

كما يعتقد العامة إذا سألتهم عن الله عز وجل، أشاروا إليك بالبعد وذاك لبعدهم عن الله عز وجل وجهلهم بالمعاني الربانية والأنوار القدسية، فأرشدنا رضي الله تعالى عنه أن ننزع هذا الوصف من أفكارنا وأن نزيل الغفلة عن الله بالوصف الذي يقربنا إلى الله تعالى المتمثل في اليقظة من سبات الغفلة لنكون في أنوار البدر والبدر وشمس الهداية فينا ومنا تشرق وإلى ذلك أشار :

وبعدها فجر الصبح في الوصل قد بدأ

شموس الضحى تبدوا إلى آخر العصر

فيشير إلى من كانت فيه هذه النهضة الربانية إلى حضرة الله والذي وصل إلى الله تعالى هو في موطن الأنس والأمن والأمان ولهذا أشاروا بقولهم (منذ وصلوا ما رجعوا ومنذ ركعوا ما رفعوا) إذ يبقون على هاته الحالة حتى آخر نفسهم ونهاية آجالهم في الدنيا وأشار بذلك" شموس الضحى تبدو" أي تظهر منك إلى آخر العصر أي آخر أجلك ثم يبين

لنا هذا بمدح أهل هذا المقام فقال " فهذا سر الرجال إن كنت جئت لحضرتهم فاهجر هواك كل الهجر" .

" الهوى" هو ما يهوي بصاحبه إلى الحضيض الأسفل ثم يرشدنا رضي الله تعالى عنه فيقول :

وبع نفسك لهم حقيقا إذا شئت مقاما تقيم فيه بالفتح والنصر

وصدق الله العظيم إذ يقول :" إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة " ثم يوصينا أن نتمسك بزمام الشريعة مهما كان الفتح لئلا يلحقنا السلب بعد العطاء والطمس بعد الفتح عفاني الله وإياكم، وأن نكون شاكرين لله على ما جاد به علينا وتفضل، ونقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم القائل قولته المشهورة لعائشة عليها السلام :" أفلا أكون عبدا شكورا" أو كما قال عليه الصلاة والسلام. ثم قال :

" ولازم أداب البر في البحر إن همت

وكن قائما بالعدل في الخير "

والمقصود في بآداب البر أي لا نفشي سر الله تعالى ولو كنا مستغرقين في بحر الحقائق ولا نتفوه بهذا إلا لذويه وأهله كما قيل فلا تؤتوا الحكمة لغير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها عن أهلها فتظلموهم وإلى هذا أشار بقوله :" وكن قائما بالعدل في الخير والشر".

ثم يوصينا أن نزن أعمالنا بميزان الشريعة فقال :

"وقم بميزان العلم في كل ما قمت

إلا أن علم الحال خيرا على خير "

ويقصد به المعرفة بالله وصف هذا العلم" المعرفة بالله " فحيثما جئت تشاهد صفات الذات بارتفاع السر فإن كنت حصلت على هذا فواصل وإن كنت تراه بعيدا في نفسك فقف بباب العصر والمقصود بالباب أي البواب أي شيخ العصر والزمان أي فلازم صحبة الشيخ العارف بالله وصحبة الذاكرين فعسى يجود الله عليك " .

الخاتمة :

لقد تم بحمد الله وفضله كتاب الأنوار القدسية الساطعة على الحضرة البوزيدية وأعني بذلك حياة ومآثر ومناقب شيخ الشيوخ سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي وكذلك محاولة لشرح وحل رموز ومعاني القصائد الموجودة في ديوانه بقدر ما وفقني الله تعالى بالفهم السليم لمقاصده وإشاراته للعلم اللدني والمعرفة الربانية محاولة مني في رفع الستار على ما أراده الشيخ من خلال نظمه الذي لا يعبر عنه أحسن تعبير في شرح معانيه وحل لغزه وفك طلاسمه إلا سيدي الشيخ محمد ابن الحبيب البوزيدي وإن لم أوفق إلى ذلك مائة بالمائ إني على يقين بأني قد قربت هذه المعاني إلى العقل السليم للقارئ النزيه أسأل الله القبول والإقبال والإنتفاع لكل من قرأه بعين الإنصاف وأن يحفظها جميعا من العين الحاسدة الآسفة الظالمة المجحفة، وصلّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد خير الأنام وعلى آله الطيبين الطاهرين الحاملين لواء السلام وعلى صحابته الكرام .

لقد تم الفراغ من كتابته يوم الأربعاء 19 شوال 1420هـ من السنة الهجرية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام الموافق لـ 26 2000م والحمد لله رب العالمين في المبدء والختام .

الإمضاء القائم بمشيخة زاوية

سيدي محمد بن الحبيب البوزيدي

المفتقر إلى الله عبد القادر بن طه

الملقب بدحاح البوزيدي

طبع بمطبعة هومه

الهاتف: 94.19.36 (02) و 94.41.19(02)

الفاكس 94.17.75 (02)